العبرة الساكته

مجالس عزاء ومحاضرات في العترة الطاهرة
صلوات الله وسلامه عليهم

(الجزء الأول)



العبرة الساكته

مجالس عزاء ومحاضرات في العترة الطاهرة
صلوات الله وسلامه عليهم

(الجزء الأول)

إعداد
خادمة الإمام الحسين عليه السلام
أم جعفر دهيني

اللهم صلِّ على فاطمة وأبيها
وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها
بعدد ما أحاط به علمك
اللهم إنّا نبرئ إليك ممن آذاها
من الأولين والآخرين
اللهم العن قاتليها وظالميها
وغاصبيها ولاطميها
وعذبهم عذاباً يَئِنُّ منه أهل
النّار....

الفهرس

الفهرس ٥

الإهداء ٩

تمهيد ١١

الأداب المعنوية للحضور في مجالس أهل البيت عليهم السلام ١٦

١ . نية الحضور ١٦

٢ . عدم تناول الطعام قبل المجلس ١٧

٣ . لبس السواد ١٨

٤ . الإستغفار من الذنوب والتوبة قبل الدخول ٢٠

٥ . هجر الدنيا ٢٢

٦ . حسن الظنّ بالله ٢٤

٧ . عدم منع أحد من الدخول إلى المجلس ٢٥

٨ . إستحضار حضور أهل البيت عليهم السلام والتسليم عند الدخول .. ٢٧

٩ . التزام الصمت ٢٨

١٠ . حضور القلب ٢٩

١١ . التواضع والجلوس بخشوع وتذلل ٣٠

١٢ . عدم مراقبة الحاضرين وتتبّع عيوبهم ٣٢

١٣ . عدم إنكار الأحاديث والروايات ٣٣

١٤ . البكاء والتباكي والإبكاء ٣٥
١٥ . اللطم وإظهار الحزن والتفجّع ٣٧
١٦ . الدعاء لشيعة أهل البيت عليهم السلام ٤٠
١٧ . الختم بالدعاء لصاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه ٤٠
١٨ . التولّي والتبرّي من أعدائهم وطلب العشق والشهادة مع صاحب الزمان عليه السلام ٤١
١٩ . استغلال الوقت بعد الانتهاء من المجلس ٤٢
٢٠ . تناول الطعام على حبّهم والمبادرة إلى الإطعام ٤٤
٢١ . تقديس مكان المجلس واحترامه ٤٥
النفحة الأولى مجلس الرسول الأكرم صلى اللّه عليه وآله وسلّم ٤٩
النفحة الثانية مجلس الصدّيقة فاطمة الزهراء سلام اللّه عليها ٦٥
النفحة الثالثة مجلس الإمام أمير المؤمنين علي عليه السّلام ٨١
النفحة الرابعة مجلس الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ١٠١
النفحة الخامسة مجلس حضور السيدة فاطمة سلام االلّه عليها في كربلاء ١٢١
النفحة السادسة خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة المنوّرة .. ١٣٧
النفحة السابعة مجلس السيدة فاطمة العليلة عليها السلام ١٥٥
النفحة الثامنية مجلس مسلم بن عقيل عليه السلام ١٧٣
النفحة التاسعة مجلس أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ١٨٧
النفحة العاشرة مجلس المولى علي الأكبر عليه السلام ٢٠٥
النفحة الحادية عشر مجلس حضرة أبو الفضل العباس عليه السلام ٢١٩
النفحة الثانية عشر مجلس القاسم ابن الإمام الحسن عليه السلام ٢٣٧

النفحة الثالثة عشر مجلس الطفل الرضيع علي الأصغر عليه السلام ٢٤٩
النفحة الرابعة عشر شهادة الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام ٢٦٧
النفحة الخامسة عشر مجلس الهجوم على المخيّم وإحراقه ٢٧٩
النفحة السادسة عشر مجلس ليلة الحادي عشر من محرم ٢٩٣
النفحة السابعة عشر مجلس السبايا في الكوفة والشام ٣١١
النفحة الثامنة عشر مجلس لقاء هند بالسبايا ٣٢٧
النفحة التاسعة عشر مجلس السيدة رقية عليها السلام ٣٤٣
النفحة العشرون مجلس أربعين الإمام الحسين عليه السلام ٣٦١
النفحة الواحدة والعشرون مجلس حليلة الكرار أم البنين عليها السلام . ٣٨١

الإهداء

هو العزيز

إلى الذي رباني بإحسانه صغيراً ونوّه باسمي كبيراً.

إلى الذي كنت يتيماً فآواني وضالّاً فهداني.

إلى من هو في شاهده غريب ومصحوبه في شاهده غريب.

إلى الذي يعيش غربة الغربة.

إلى غريب الدنيا وغريب الآخرة.

إلى سيدي ومولاي وأستاذي العارف الكامل آية الله السيد أحمد الموسوي النجفي دام ظله الوارف أرفع هذا الجهد راجية من الله تعالى ومن صاحب العصر والزمان القبول.

تمهيد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«سبحان من استعبد أهل السموات والأرضين بولاية محمدٍ وآل محمد صلى الله عليهم . . سبحان من خلق الجنة لمحمد وآل محمدﷺ . . سبحان من يورِثُها محمداً وآل محمدﷺ وشيعتهم . . سبحان من خلق النار من أجل أعداء محمد وآل محمدﷺ . . سبحان من يُملِكها محمداً وآل محمدﷺ وشيعتهم . . سبحان من خلق الدنيا والآخرة وما سكن في الليل والنهار لمحمد وآل محمدﷺ»[1] .

وصلى الله على النور الساطع والاسم الجامع، عقل العقول خاتم الأنبياء هادينا ومُرَبّينا، حبيب قلوبنا أبي القاسم محمد وآله الأطيبين الأطهرين الذين أشرقت الأرض بنورهم وفاز الفائزون بولايتهم لا سيّما بقية الله في الأرضين البقية الباقية من آل أحمد قطب رحى الوجود.

أرواحنا لتراب مقدمه الفداء واللعن الدائم على أعدائهم من الساعة إلى أن يشاء الله ربُّ العالمين في العذاب المقيم عذاباً يستغيث ويئن منه أهل النار.

آمين ربّ العالمين . . . .

إن كربلاء بما تمثّله من واقعة، تارة تكون هداية عامة تشمل وتعم كل

---

(١) عن التهذيب الشريف: ج٣، ص٩٨؛ من الأدعية المعصومية الشريفة.

الناس ولا تختص بطائفة دون أخرى كغاندي الذي قال: «لقد تعلّمت من الحسين عليه السلام كيف أكون مظلوماً فأنتصر».

وتارة تكون هداية خاصة، تختص بطبقة وفئة من الناس دون غيرهم. ومعلوم أن الهداية الأولى هي للعوام والهداية الثانية للخواص. وكلٌ يهتدي بحسب ظرفيته الوجودية، بحسب حبه «**حسب نواياكم ترزقون**».

ومعلوم أن الإمام الحسين عليه السلام توجه إلى كربلاء لأن التوحيد المكنون بصدره ما كان أحد ليتحمل سماعه ومشاهدته على الإطلاق لعدم وجود وعاء له ولهذا صنع كربلاء وتوجه إليها حتى يُدرَك التوحيد والعشق والحب وو . . . . لذا فمن أراد الوصول إلى هذه الحقائق فعليه أن يتوجه إلى كربلاء وينقشها في وجوده عندها يصل إلى الحقيقة. فكربلاء تختزن كل الحقائق التوحيدية الولائية وأسرارها.

وإن الباب الوحيد للورود إلى كربلاء هو البكاء على الإمام الحسين عليه السلام وإن الباكي يكتسب وجوده وحياته وكماله من هذه الدموع المنهملة لأنها تمثل الإمام الحسين عليه السلام ونفهم ذلك عندما نسمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول لولده الحسين عليه السلام «**ولدي حسين أنت عبرة كل مؤمن**» فهو عليه السلام تلك الدمعة التي نذرفها وطوبى لمن يفهم ويدرك هذه الحقائق ويشاهدها بعين قلبه.

وإن من المعلوم أن الإنسان الموالي لا يبحث عن الوجود اللفظي أو الكتبي أو الذهني لواقعة كربلاء، بل يبحث عن الوجود الواقعي لها، وهذا الوجود الواقعي والحقيقي إنما هو موجود عند صاحب الزمان عليه السلام فقط. وهذا الوجود الواقعي لكربلاء هو الذي تترتب عليه كافة الآثار الواقعية،

ولولاه عليه السلام لما كان للوجود اللفظي أو الكتبي أيّ نحو من الأثر. ومعلوم أن كل تلك الآثار هي دلالات على الوجود الواقعي لكربلاء الموجود عنده وعند الفاني به عليه السلام كالأولياء. ولا يمكن الحصول على هذه الحقيقة الكربلائية الواقعية إلا بالإرتباط والمعرفة والعشق والولاء الحقيقي له عليه السلام وبمقدار هذا الإرتباط بمقدار فهم الحقائق والأسرار الكربلائية والتحقق بها.

وأما من ليس على ارتباط به عليه السلام أو الذي يكون إرتباطه به ضعيفاً فعليه أن يبحث عن ظرف ووعاء أكبر من ظرفه ووعائه الوجودي كالعارف، وأن يكتسب الإرتباط بالإمام عليه السلام من خلاله، وعلّة ضعفه منشؤها أنه قد أحاطت به خطيئته ومعلوم أن الذي احتجب لن يستطيع فهم الحقائق الكربلائية. وكما ورد في الخبر «**ربّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه**» ومعلوم أن القرآن الناطق هو الإمام المعصوم، فربّ جالس أو سامع لهذا القرآن الناطق والقرآن يلعنه. وإن من لم يكن طاهر المولد أو كان في وجوده جذور المخالفين ستشكّل هذه الحجب سداً منيعاً في وصوله إلى الحقيقة وإن كل هذه الحجب ستمنعه من تحمّل أمرهم أو تقبّل مقاماتهم وبالتالي لن يشهد الحقائق والأسرار الكربلائية التي توصله إلى معرفة الله عزّ وجل ورضاه بل سيشك بها، أعاذنا الله وإياكم من ذلك بحق محمد وآله الطاهرين.

لذا فلا تنسَ أيها المحب، أنَّ الذنوب وآثارها لها الخطر الكبير علينا إذ تحرمنا من الكثير من الأرزاق المادية والمعنوية، وعلينا أولاً وقبل كل شيء أن نتوب إلى الله مما صنعنا، والتوبة إلى الله، كما هو معلوم، هي التي تتكفّل بغفران السيئات. إلا أنها لا تزيل آثار الذنوب فيبقى هذا الأثر موجوداً حتى بعد التوبة. وهذا الأثر لا يذهبه شيء إلا البكاء على الإمام الحسين عليه السلام لأنه

هو مظهر ماحي السيئات ورحمة الله الواسعة وحلم الله والذي به تغفر الذنوب وتمحى السيئات وهذه كرامة له من الله تبارك وتعالى.

وإن البكاء على الإمام الحسين عليه السلام يحرق صحيفة عمل الموالي ويصيّرها حقيقة ملكوتية جديدة، وتقلع كل جذور الخبث والفساد من النفس. لذا علينا أن نعلن عجزنا وفقرنا ونعترف بتقصيرنا، عندها يسمح لنا بالورود إلى محضر الإمام الحسين عليه السلام. لذلك على الموالي أن يحرص على عدم إرتكاب الذنب لأن بعض الذنوب وآثارها تؤدي إلى عدم القدرة على تحمل كرامات وفضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام لأن الذنب وأثره يضعف عقل الإنسان بل يفقده إيّاه فكما ورد في الرواية **«من قارف ذنباً فارقه عقل لا يرجع إليه أبداً»**[1] فعدم تقبّل أمرهم وحديثهم أو استثقاله يكون بسبب ضعفِ وخفّة العقل والذي سببه الذنوب وآثارها، مهما كانت رتبة وشأن هذا الشخص في عالم الدنيا (شيخ، عالم، مرجع، مسؤول، فقير، غني، ....).

ولهذا ورد في الزيارة الجامعة واجعلني «محتملٌ لعلمكم» فنحن نطلب من الله تعالى أن يجعلنا نتحمّل ونتقبّل علمهم وأمرهم لأنه كما ورد **«إن أمرنا صعب مستصعب لا يتحمّله إلا ملك مقرّب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان»** ولهذا ورد أيضاً في دعاء الإفتتاح **«اللهم ما عرّفتنا من الحق (حق محمد وآل محمد) فحمّلناه»** أي أجعلنا نتقبّله ونحمله في قلوبنا **«وما قصرنا عنه فبلّغناه»**.

وأخيراً علينا أن نتّكل على حلم الله عزّ وجل كما علّمنا ذلك سيدنا

---

(١) تعرف على الإسلام: ص١٠٤.

وإمامنا علي السجاد عليه السلام بقوله: «**إلهي لسنا نتكل في النجاة من النار على أعمالنا ولكن بحلمك علينا**».

وإن التجلي الأعظم لهذا الحلم الإلهي هو الإمام الحسين عليه السلام فإنه يذيب إنيّتنا وأنانيتنا، وبمقدار وجود هذا الحلم الإلهي بمقدار ما يتبدّل وجودنا وتبدّل سيئاتنا إلى حسنات ونخرج من الظلمات إلى النور.

أيها العاشق الطالب للحقيقة، إن أردت القرب منهم أو أن تدخل إلى محضر أبي عبد الله عليه السلام طهّر فؤادك بمحبتهم وبغض أعدائهم، واطلب العشق والتوحيد والولاية فإن معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاء لآل محمد أمان من العذاب. وتأدّب بهذه الآداب التي ستقرأها علّه إن شاء الله تعالى يسمح لك حينها بالدخول إلى محضرهم على نحو الحقيقة، وليس بجسدك الظاهر فقط. فإن حدث ذلك بحوله تعالى عندها نجلس مع فاطمة سلام الله عليها والإمام الحجة عليه السلام ونواسيهما بالمصاب الجلل.



١. نية الحضور

قف أيها المحب بين يدي معشوقك الأزلي، وتلفظ بسكنات الفؤاد نية الدخول إلى ملكوتهم العلوي.

أسلك في ركب حجيجٍ ينظرون بعين باقر أئمتهم إلى ذلك المدّ البشري، فتأبى أفئدتهم طواف الجاهلية ذاك، وترنو إلى طواف الوصال . . .

فلا يزال صدى نداء إمامهم يتردد جليّاً في مسامع قلوبهم وهو ينظر إلى الناس يطوفون حول البيت: «**هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية إنما أُمِرُوا أن يطوفوا بها ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم ومودتهم ويعرضوا علينا نصرتهم**»[1].

أيها العاشق، أسكب في سواقي الماضي بقايا حاجاتك ومتعلقاتك الدنيوية من رزق، وحفظ في مال، وولد، أتركها عند الباب، فأمامك إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه يتكفل بها. وادخل مواسياً خاشعاً منحني الظهر، كسير القلب، مستحضراً عزاء الزهراء سلام الله عليها، لتغرف من ذاك الغدير المتدفق نوراً يشرق به قلبك الواله لنظرة من المحبوب. فتنشر

---

(١) القطرة.

بساطك بقرب الواصلين إلى كعبة العشق، إلى مجلس الحسين عليه السلام الحقيقي الذي تنوح وتبكي فيه الملائكة المقرّبين والأنبياء والمرسلين والمؤمنين الممتحنين المواسين لمولاتهم فاطمة الزهراء سلام الله عليها، لتتنزل عليك تلك الفيوضات اللامتناهية.

ولا تظنن أنك قادر على الوصول إلا بخلوص النية والسمو بها إلى درجات الصفاء، بحيث يصل السالك العاشق كما يذكر الخميني العظيم قدس الله سره إلى درجة «**تصفية السر عن رؤية غير الحق تعالى، في جميع الأعمال الصورية واللبيّة والظاهريّة والباطنيّة، كما بالإخلاص ترك الغير مطلقاً وجعل الإنية والأنانيّة والغير والغيريّة تحت قدميك ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾**[1]»[2].

لذا فليكن دخولك لساحة الذكر الحسيني بنيّة القرب المطلق لا سواه، ودع الإنية وحب النفس، واعلم أنه على قدر تلك المؤونة تأتي المعونة. وحتى تطعم شجرة وجودك بوجودهم الأقدس، أطلب حبهم وولايتهم ومعرفتهم ليتم الوصال والاتصال.

٢. عدم تناول الطعام قبل المجلس

أيها المحب، وأنت ترنو إلى ذاك الملكوت القدسي، تمكث عند أطراف المخيم، تتأمل في خيامه الموصولة بأعنان السماء، توجه إلى محبوبك، وانتظر متلهفاً ذاك الجواب السماوي، عاملاً بوصية المختار صلى الله عليه وآله «**لا يدخل ملكوت السماوات والأرض من ملأ بطنه**»[3] فيشتد ظمأُك لتلك

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.
(٢) الآداب المعنوية للصلاة.
(٣) بحار الأنوار.

الكأس الأوفى التي لا ظمأ بعدها. مقتدياً بسلوك العارفين ومستنبطاً من قصصهم العبرة كما نقل أحد محبي العارف الشيخ رجب علي الخياط بقوله:

«أحس الشيخ بضعف في بدنه وهو في مجلسٍ كان يعقد في دار أحد أصدقائه قبل أن يبدأ بالحديث، فطلب رغيفاً فجاءه صاحب الدار برغيف، فتناوله وبدأ بعد ذلك بالحديث في ذلك المجلس وفي الليلة التالية قال: سلّمت الليلة الماضية على الأئمة لكنني لم أرهم فتوسّلت إلى الله لمعرفة سبب عدم رؤيتي لهم، فقيل لي في عالم المعنى: لقد أكلت نصف ذاك الرغيف فزال ضعفك، فلماذا أكلت النصف الثاني؟!

لا بأس أن يأكل المرء من الطعام ما يسدّ رمقه ولكن كل ما زاد عن ذلك يحدث في القلب حجاباً وظلمة»[١].

واعلم أنه بهذا التوجه والإقتداء والمواساة لمحمد وآل محمد ترتقي لمقام ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[٢] وتُسقى من عينٍ آنية. فتتنحّ عما يسمّ قلبك ويبطئ جوارحك عن الطاعة، إلتزاماً بوصية المصطفى ﷺ: **«إياكم وفضول المطعم فإنه يسم القلب بالقسوة ويبطئ الجوارح عن الطاعة ويصمّ الهمم عن سماع الموعظة»**[٣].

٣. لبس السواد

«سأجعل من ذلك الثوب جبّة العشق، يا من تصوّب سهامك نحو جسدي» هذا ما كان يتمتم به سلطان العاشقين الإمام الحسين عليه السلام وهو يرى

---

(١) كيمياء المحبة.
(٢) سورة الإنسان، الآية: ٢١.
(٣) تنبيه الخواطر.

سهام القوم قد مزّقت ثوبه. فهو بذلك يتقدم أكثر في ميدان حبه السرمدي فيصل إلى محبوبه الأزلي.

هلمّوا لنتدثّر بأثواب الحزن، أولسنا من المتيّمين بالآل ونستنّ بسنّتهم؟ فلنسمع صدى نداءاتهم ولنستجب لها، لننظر بعيون قلوبنا إلى عتبة الباب، للسجاد وزينب عليهما السلام والثكالى، هل نرى غير السواد!

وانظر أيها الموالي ما كنت صانعاً لو فقدت ما فقد زين العابدين عليه السلام وحرائر المختار الأمين صلى الله عليه وآله. ولا يكن من يعزّ عليك أعز ممن يعزّ على سيد المرسلين وحبيب رب العالمين. ولا يهن عندك ما لم يهن على الله جل جلاله. وكن على أتمّ صفة في مشاركة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فيما جرى من سفك دماء ذريته وسبي نسائه. أولست تريد أن تكون من أهل الوفاء لخاتم الأنبياء وأن تسكن معه في دار البقاء!

لذا فلا تفارقه في مصابه وأحزانه كي ترجو أن يلقاك بإحسانه ويسكنك معه في دار رضوانه وأمانه، إذ يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله: **«لا يؤمن عبد حتى أكون أَحَبَّ إليه من نفسه وتكون عترتي إليه أعزّ من عترته»**[1].

فقوموا أيها المؤمنون يرحمكم الله، وأجيبوا نداء ذاك الملاك من ملائكة الفردوس الأعلى الذي حطّ على البحر ونشر أجنحته عليه وصاح: **«يا أهل البحار، إلبسوا أثواب الحزن فإن فرخ الرسول صلى الله عليه وآله مذبوح ثم حمل من تربته في أجنحته إلى السموات فلم يلق ملكاً فيها إلا وشمها وصار عنده لها أثر ولعن قتلته»**[2].

---

(١) علل الشرائع: ج١، ص١٤٠.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٣، ص٣٢٥.

٤. الإستغفار من الذنوب والتوبة قبل الدخول

أيها المحب الآتي مخلصاً بنية القربى من محمد وآله الأطهار، سارع وتمسّك بتلك السفينة قبل أن يأخذك الطوفان فلا يبقي لك من باقية، وتغرق في مستنقعات البعد عن المحبوب.

أيها السالك لروضة الذكر الحسيني، يا من ستمسك بسفينة نجاة العوالم كافة، إستحضر ذنوبك ومعاصيك، والهج بالإستغفار في طريقك إلى ساحة الذكر العلي.

لا تراودك الظنون فالوعد أتى على لسان الصادق الأمين: «**عوِّدوا ألسنتكم الإستغفار فإن الله تعالى لم يعلّمكم الإستغفار إلا وهو يريد أن يغفر لكم**»[1].

وحقيقة هذه المغفرة ومحو هذا الذنب والتوبة منه تكون كما علّمنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه مجيباً سائله عن كيفية محاسبة الرجل نفسه قائلاً:

قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأكيس الكيّسين وأحمق الحمقى؟ قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ. قال: أكيس الكيّسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت، وأن أحمق الحمقى من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله تعالى الأماني.**

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين عليه السلام وكيف يحاسب الرجل نفسه؟ قال: إذا أصبح ثم أمسى رجع إلى نفسه فقال: يا نفس إن هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبداً، والله تعالى يسألك عنه فيما أفنيته، فما الذي عملت فيه؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٩، ص٢٨٣.

أذكرت الله أم حمدتيه؟ أقضيت حوائج مؤمن؟ أنفست عن كربه؟ أحفظتيه بظهر الغيب في أهله وولده؟ أحفظتيه بعد الموت في مخلفيه؟ أكففت عن غيبة أخ مؤمن بفضل جاهك؟ أأعنت مسلماً؟ ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه، فإن ذكر أنه جرى منه خير، حمد الله تعالى، وكبّره على توفيقه، وإن ذكر معصية أو تقصيراً، إستغفر الله تعالى، وعزم على ترك معاودته، ومحا ذلك عن نفسه بتجديد الصلاة على محمد وآله الطيبين، وعرض بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام على نفسه، وقبوله لها، وإعادة لعن أعدائه وشانئيه ودافعيه عن حقه، فإذا فعل ذلك قال الله عزّ وجل: لست أناقشك في شيء من الذنوب مع موالاتك أوليائي، ومعاداتك أعدائي»[1].

تعرّض لنفحات ربك القدسية: «**فإن لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها ولا تُعرضوا عنها**». وهل هناك نفحة إلهية أقدس من مجلس سيد الشهداء أو أعظم منها؟ فاستعد قبل دخول المجلس، لجهة الإستغفار وذكر الله تعالى كثيراً والصلوات على النبي وآله الطاهرين، لتتنزل عليك أنواع الرحمة الإلهية التي لا يمكن أن تحصل عليها في غير تلك المجالس. واعلم أيها المحب، أنك ستدخل إلى مجلس مقدّس، عليك توقيره لأن مجالس ذكر الحسين عليه السلام إنما هي في واقعها ذكر الله تعالى، فبه صلوات الله عليه تجلّت أعلى صور العبودية لرب العالمين وهي الفداء بالنفس، فتهيأ بالتسمية والطهور. والطهور المطلوب ليس ظاهرياً فقط كالحضور على وضوء، بل هو طهور القلب والذي هو أجلّ وأعظم، والذي لا يحصل إلا بالتوبة كما قال الأمير عليه السلام: «**التوبة تطهر القلوب وتغسل القلوب**» لتنجلي من أفئدتنا تلك القسوة التي تزداد بازدياد ذنوبنا صلابةً واشتداداً. فتعرّض أيها

---

(١) تنبيه الخواطر: ج٢، ص٩٤.

التائب المستغفر، لتلك البركات اللامتناهية. وليكن حب الحسين عليه السلام زادك لسفرك البعيد في صحاري عمرك القاحلة وليلهج قلبك دائماً قبل لسانك. **وأشهد أنّا قد طهرنا بولايتك يا فاطمة.**

٥. هجر الدنيا

أيها المحب، إسعَ إلى حبّك الأوحد، وجاهد في هجرك الأوّل لدنياك الزائلة . . . وكيف لك أن تتحسّر على زائلٍ فانٍ، وفي قلبك حبّ وعشق للآل الأطهار عليهم السلام؟ كيف تقارن البخس بالدرّ الثمين، ولا تجمع بين هذا وذاك أبداً؟

فعن الرسول صلى الله عليه وآله: «**حبّ الدنيا وحبّ الله لا يجتمعان في قلبٍ أبداً**»[١].

وعن الإمام علي عليه السلام: «**كيف يدّعي حبّ الله من سكن قلبه حبّ الدنيا**»[٢] فكن بحبّك لهم كالمتيّم، فإنّك بمحضر ملك عالم العشق، كالمسافر إلى اللاّمكان. وكما أنّ الحقّ اشترى من المؤمنين أنفسهم بأنّ لهم الجنّة، أطلب من حبيبك أن يشتري قلبك بحبّه وأن يجعل ثمنه جنّة الوصال إليه. . .

إغسل قلبك من أدران الدنيا، تكن من أهل اللقاء والبقاء وبجوارهم في ساعات نهارك وليلك أيضاً. أنظر إلى نبي الله موسى عليه السلام كيف استطاع أن يدخل في بقعة التقديس وأن ينزع كل ما يحول دون صفاء القرب والوصال . . .

---

(١) المحبة في الكتاب والسنة.
(٢) المحبة في الكتاب والسنة.

يذكر أنه قد سأل أحدهم الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه فقال: أخبرني يا ابن رسول الله عن قول الله عز وجل لنبيه موسى عليه السلام: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ فقال: **إن موسى عليه السلام كان بالواد المقدس فقال: يا رب إني أخلصت لك المحبة مني، وغسلت قلبي عمن سواك وكان شديد الحب لأهله، فقال تبارك وتعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾** أي إنزع حب أهلك من قلبك إن كانت محبتك لي خالصة وقلبك من الميل إلى سواي مغسول...[1].

أيها الموالي أنظر إلى سيّد الشهداء، شهيد العشق الإلهي صلوات الله عليه وقد وقف على مذبح الحبّ يدافع عن حبّ الإله بفداء نفسه. وبنى بحقيقته قبراً أضحى كعبة العشاق ثمّ أَذّن بالعشق الأكبر، فتهافت على أنواره أهل الوله والفناء، وأضحى لطفاً خفيًّا في ارتقاء مراتبهم ومنازلهم وسيرهم وفنائهم...

عليك أن تعلم أيّها المعجون بنور حبّه، والمخلوق من فاضل طينته أنه يظهر لك يوم عاشوراء أثر ذلك المعجون بنور ولايتهم...

فطوبى لك ولمثواك أيّها المطلّق لدنيا الفناء، والمتعلّق بمسك الجنان لآل البيت الأطهار عليهم السلام.

أيها الواله، لا تنسَ البُراق، ففرس الحسين عليه السلام ينتظرك ليحملك إلى كربلاء، إلى عابس الّذي أجنّه حبّ الحسين عليه السلام بعد أن يئست منه الدنيا. وعرّج إلى ظلّه، وانحنِ إجلالاً لكلمات نورانيّة ملكوتيّة لإبنه البار الّذي ما أبكته شهادة ابنه السيّد مصطفى الخميني ولكن ذكر الحسين عليه السلام أقرح

---

(١) مكيال المكارم.

جفناه. وافتح أُذن قلبك واستمع إلى نجواه: «بني إنّ ما هو مذموم ومنشأ جميع ألوان الشقاء والعذاب والمهالك ورأس جميع الخطايا والذنوب إنّما هو حبّ الدنيا الناشئ من حب النفس. فالدنيا المذمومة هي في داخلك أنت، والتعلّق بغير صاحب القلب، هو الموجب للسقوط. فإنّ أيّ قلب لا يمكنه ـ فطريّاً ـ أن يتعلّق بغير صاحب القلب الحقيقي، لكن هذه الحجب الظلمانيّة والنورانيّة»[1] تحول بين القلب وصاحبه الأوحد.

٦. حسن الظنّ بالله

أيها العاشق، أدخل إلى تلك الروضة وأنت ترجو من إمامك ما لا ترجو. أي **«كن لما لا ترجو، أرجى منك لما ترجو»**.

ولا بدّ أن تعي حقيقة الرحمة الإلهيّة بجلوسك في محضر العشق الأزلي. وتنزّه عن كلّ ما يحول بينك وبين هِبات الرحمان العظيمة. وأفرغ فؤادك، وتناول تلك العطايا وخبّئها ذخيرة لك في أحشائك. وأعبر بها إلى مقاصد العزّة والجلال لسيّد الشهداء عليه السلام، واجتز أسرار القرب والوصال. ولكن عليك أن تعلم أيّها السالك أنه لن يكون لك هذا إلاّ إذا تيقّنت من أنّك في محضر الإله ومحطّ نظره وكرمه وجوده، فعندها يعطيك بحسن ظنّك به خير الدنيا والآخرة.

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **«والله ما أعطي مؤمن قطّ خير الدنيا والآخرة إلاّ بحسن الظنّ بالله ورجائه له وحسن خلقه والكفّ عن اغتياب المؤمنين»**[2].

---

(١) وصايا عرفانية.

(٢) أعلام الدين: ص٤٥٥.

وعليك أيها المحب أن لا تكون من ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[1].

ولن تكون بظنّك الحسن إلاّ ممّن فاز بيقين المغفرة ببركات حضرة الصدّيقة الزهراء سلام الله عليها، وسوف تُكشف لك بعد ذلك منارات العلوّ المقدّس لجلال الآل عليهم السلام.

لذا أحسن ظنّك، فبارؤك قد وسعت رحمته كلّ شيء، فكيف بك وعروقك ولهى بسيّد الشهداء عليه السلام؟ وكن على يقين أنّه «أحبّ الله من أحبّ حسيناً» فأنت بذلك حبيب الحسين عليه السلام وحبيب الإله معاً.

٧. عدم منع أحد من الدخول إلى المجلس

أيّها العاشق الحسيني، إعلم أنه في محفل الذكر الشريف لسيّد الشهداء عليه السلام تتنزل رحمة الله الواسعة وتعمّ كل الحاضرين والموجودين دون استثناء.

لذا فلا تمنع أحداً من الدخول إلى محضرهم. فكلٌّ له نصيب من بركاته وفيوضاته حتّى الرضيع والجنين في أحشاء أمّه.

وإليك هذه الحكاية الّتي تحدّث بها أحد الشيوخ الأجلاّء إذ قال: «كان في زماننا رجل نصراني في البصرة وكان ذا أموال كثيرة، وفيرة. فجمع أمواله وكل ما كان له من الأشياء النفيسة وغيرها فوضعها في سفينة وركبها مع من كان معه من خدّامه وغلمانه، وأراد المجيء إلى بغداد، فلمّا جرت السفينة في الشطّ مدّة ثلاثة أيّام أو أزيد خرجت جماعة من اللّصوص وأخذوا السفينة

(١) سورة الفتح، الآية: ٦.

ونهبوا من فيها، وقتلوا جمعاً من أهل السفينة. ونجّى الله تعالى ذلك التاجر النصراني من القتل ـ إلاّ أنّه كان بما أصيب به مسلوب الفؤاد ومنزوع العقل، فلمّا جنّ الليل مرّ به واحد من أهل الحي وأنزله في مضيف شيخ تلك القبيلة. ولما اطّلعوا على حاله وما جرى عليه ترحّموا عليه، فكان الشيخ يكرمه ويعزيه ويصبّره حتى بعد الإطلاع على كونه نصرانياً. ثم إنه لما قرب وقت زيارة الغدير عزم الشيخ وجماعة من رجال الحيّ والنساء أن يذهبوا إلى النجف الأشرف للتشرّف بزيارة أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ ذلك الرجل النصراني لمّا اطّلع على ما أراد الشيخ وجماعة من أهل القبيلة، هاجت أحزانه وتحرّكت غمومه وزادت همومه. فطلب مرافقة الشيخ فقال له: لا وجه لسفرك معنا فإنّ الطريق بعيد ونحن مشاة حفاة، نرضى بما نتحمّله من التعب والنصب وارتكاب الشدائد لأجل ما نرجو من مثوبات جزيلة ودرجات عظيمة في الآخرة، وأنت رجل نصراني غير معتقد بما نحن عليه.

فلمّا ألحّ النصراني في السؤال، رضي الشيخ بما يريد، فوصلوا إلى تلك البقعة المباركة ومنعوه من الدخول إلى الصحن الشريف. ثمّ عزموا على زيارة كربلاء.

قال النصراني للشيخ: أنا لا أفارقك وأكون معك حيث ما كنت، فلما وصلوا إلى كربلاء قبيل غروب الشمس في التاسع من محرّم أو بعد دخول ليلة عاشوراء، قال الشيخ للنصراني: قد قضت الضرورة والحاجة أن تدخل الصحن وتحرس ما نضع لنا من أوعية وزاد ونفقة، فإنّا لا ننام الليلة أصلاً بل نكون من الطائفين والصارخين والضاربين رؤوسهم وصدورهم في الحرم الشريف. فجلس النصراني عند هذه الأشياء. فلمّا شاهد ما حصل في الصحن الشريف زعم أنّ القيامة قد قامت فكأنّ أرض كربلاء وما فيها من الجدران والفضاء والهواء تضجّ وتبكي وأفواج من الشيوخ والشبّان والكهول

والصبيان وفي مقدّمهم شبيه جواد الإمام عليه السلام ملطّخاً بالدماء، وهم مكشوفو الرؤوس ويصيحون صيحة الثكلى، ويئنّون أنّه من قطعت أعضاؤه إرباً إرباً، فكان الناس على ذلك المنوال حتّى مضى ثلث الليل بل أزيد. فشرع الناس بالرجوع إلى منازلهم. وبينما النصراني في حيرة مما شاهد ورأى وإذا برجل عظيم الشأن جليل الرتبة قد خرج من الحرم الشريف، فملأ الصحن الشريف بنور وجهه وسطع نوره إلى السماء وقد حضر عنده شخصان قائمان بغاية الخضوع والخشوع ونهاية التأدّب، فقال لهما: ائتيا دفتركما. فلمّا نظرا إليه قال: ما أجدتما بحيث لم تستوفياني الكتابة، وردّ الدفاتر إليهما. فقالا: بحقّك وحق من فضّلكم أهل البيت على العالمين، إنّا كتبنا كل من كان في الحرم والرواق والإيوان والصحن، وهكذا كل من في حرم العبّاس ورواقه وأبوابه وصحنه وفوق الحجرات وسطحها فقال لهما ثانياً: الأمر كما ذكرت لكما فأنتما ما استوفيتما. فقالا: ما قصرنا حتّى أنّا كتبنا الطفل الرضيع ثمّ قال أحدهما: نعم. إنّا ما كتبنا هذا الرجل النصراني، فقال عليه السلام: لماذا؟ قالا: لكونه كافراً، فقال: سبحان الله، أما حلّ هو باحتنا؟ فلما رأى النصراني تلك الحالة وسمع هذه المقالة من سيّد الشهداء عليه السلام أغمي عليه ولمّا استفاق قال للشيخ الّذي أتى معه: أقسمكم بالله تعالى، لقّنوني كلمة الإسلام، فعلّموه كلمتي الشهادتين فلمّا أسلم حدّثهم بما رأى وسمع»[1].

٨. إستحضار حضور أهل البيت عليهم السلام والتسليم عند الدخول

أيها المحب، إجعل فؤادك هياماً خالصاً يرتوي من معين العشق المحمديّ، وينهل من عبق الحضور المجلّل لأنوار الآل عليهم السلام. وقلبك يلهج بذكرهم قبل الدخول، فتجري فيك نفحة الرحمة الإلهية وتلفح وجهك نسمة

(١) إكسير العبادات: ج١، ص٢١٦.

الإشراق العلويّة. فيهفو بك الفؤاد إلى جمالهم وجلاله، وتستقر بك الحال إلى أن يبكي فؤادك قبل عينك. وها أنت في حضرة الميامين، ينظرون إليك ويستغفرون لك. وعندها إن فعلت ذلك ترى إن شاء الله تعالى عبق الجنان قد فاح في الأرجاء، وصاحبة المصاب الجلل قد حلّت في روضة الوصال، تطوف بين المواسين لتحلّ في وسط المجلس بحنين وأنين، والآل قد اجتمعوا من حولها، فتهيأ عند ذلك لنظرة من السبط الشهيد، ترفعك إلى أعلى عليين كما قال صادق أهل البيت عليه السلام: **«إن الحسين مع جده وأبيه وأمه وأخيه عن يمين العرش ينظر إلى زوّار قبره والباكين عليه ويستغفر لهم ويطلب من أبيه وأمه أن يستغفروا للباكين عليه ولزوار قبره»**[١].

واعلم أنك مستضاف من أهل الله وأحبائه. فبادر بالتحية والسلام قبل دخولك، واشرح صدرك لذاك النداء **«فما من اثنين يعقدان مجلس عزاء إلا وتكون فاطمة حاضرة»**[٢].

ولا تنسَ عند رحيلك أن تجمع من مكانهم رياحين الجنان لتنثرها على صفحات قلبك فتسري في الأعماق نبضات عشقٍ وولاء . . .

٩. التزام الصمت

طأطئ رأسك إجلالاً، واغضض صوتك حياء، فها هي أطياف الملائكة قد حلّت مع صاحبة العزاء الأكبر تقوم بقيامها وتتقدم مع خطواتها، سبّح ربك لقداسة ما جرى، واعبده جل جلاله بما أوصاك به وليه الأعظم عليه السلام: **«أفضل العبادة الصبر والصمت وانتظار الفرج»**[٣].

---

(١) الطريق إلى منبر الحسين.
(٢) المحجة البيضاء: ج٣، ص٣٥١.
(٣) بحار الأنوار: ج٦٨، ص٩٧.

قدّم لسانك صدقة في هذا الجو المهيب، وأجب دعوة الهادي الحبيب ﷺ: «**أمسك لسانك فإنها صدقة**»[١] لتلقى نفحات الخير الجزيل كما قال أبو عبد الله: «**ثلاثة لا يصيبون إلا خيراً: أولو الصمت وتارك الشر والمكثرون لذكر الله عز وجل**»[٢].

واعلم أن هذا الصمت مطلوب قبل المجلس وبعده، فكما ستلتزم الصمت حياء من الزهراء سلام الله عليها ومهابة لها، عليك أن لا تسترسل في اللغو بعد انتهاء المجلس، لأن في ذلك خسارة كبرى لما اكتسبته أثناءه، وحاول أن تغادره صامتاً إن كنت تخشى من الوقوع في الباطل. ومن المعروف في هذا المجال أن الإدبار الاختياري بعد الإقبال مع رب العالمين أو في مجالس أهل البيت عليهم السلام من موجبات العقوبة الإلهية، فحذار من آفات هذا اللسان الأحمر كما أوصى الإمام الخميني قدس الله سره بقوله: «**هذا اللسان الأحمر يطيح بالرأس النضر ويجعله ألعوبة للشيطان وأداة فيفسد الروح والفؤاد**»[٣].

١٠. حضور القلب

أيّها السالك، نحِ الأشواك عن باب فؤادك الواله الحزين، وارتفع به إلى مقام الحضور في ساحة ذكر الحبيب، فحضوره هذا هو نفسه مفتاح قفل الكمالات وباب أبواب السعادات والعروج إلى الله.

أيها التائق المسجّى ببردة الرجاء، هذا قلبك يشع بقبسٍ مستقى من سيّد

---

(١) بحار الأنوار.
(٢) مستدرك: ج٩، ص٢١.
(٣) وصايا عرفانية.

الشهداء عليه السلام، فابعث بنوره إلى نفسك لتضيء نسيج الدرب المؤدي إلى حبيب الزهراء سلام الله عليها. أجرِ عليه أنفاس العشق الأصيل فتزول الأستار وتُمحى المسافات.

لترتقي عندها بأحزانك وآهاتك، وتواسي دم المهدي السائل من مقلتيه حزناً على مصاب الغريب في صحراء كربلاء. وتكون ممّن يليق بهم حديث أبي عبد الله عليه السلام: «**نفس المهموم لظلمنا تسبيح وهمه لنا عبادة وكتمان سرنا جهاد في سبيل الله**» ثم قال عليه السلام: «**يجب أن يكتب هذا الحديث بماء الذهب**».

وإعلم أنك بهذا الحضور تفتح باب من أبواب السعادات وسر من أسرار العبادات، وإلا لن تكون إلا كلاهٍ قد أضاع الطريق إلى حيث المبتغى والرجاء.

وإعلم أيضاً أنه كما ورد في الخبر «**أيها العبد لا يقبل منك إلا ما أقبلت عليه بقلبك**».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما تراه عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ولم يحزن صدره بما أعطي غيره**».

١١. التواضع والجلوس بخشوع وتذلل

بعد سلامك على الزهراء وصاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه عند الباب، أدخل بقلب تائق متلهف إلى مواساة الميامين، واجلس في إحدى الزوايا مبتعداً عن وسط المجلس، فهذا مكان الصدّيقة الطاهرة فاطمة سلام الله عليها. إخضع بكل أركانك وسكناتك، فإنك في حضرة سادة الخلق

أجمعين، وتواضع فإنك في دارة قدسٍ قد حلّت فيها بنت سيد المرسلين ﷺ.

لا ترض بأي مظهرٍ من مظاهر التشرّف والتعظيم، ولتنتقل بخشوعك وتذلّلك الظاهري إلى باطنك لتستوجب بذلك الإرتقاء إلى مستوى نيل الرحمة والخير الجزيل. إجلس على الأرض متواضعاً، كسير القلب للمصاب الجليل، كما قال أبو عبد الله عليه السلام: «**فإن من رضي بدون التشرف من المجلس لم يزل الله عز وجل وملائكته يصلون عليه حتى يقوم**»[١].

واخشع لربك فتكون مصداق لحديث المعراج «**ما عرفني عبد وخشع لي إلا وخشع له كل شيء**»[٢].

ولا تظنن أن بإيمانك فقط تكون قد حصلت مرتبة الخشوع، لأنها مرتبة عالية تحتاج إلى سعي من كل مؤمن يتوق لإجابة ذاك النداء الإلهي الوارد في الذكر الحكيم ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٣].

وذكر الله يتمثّل بالرسول الأكرم وأمير المؤمنين كما ورد عن الخميني العظيم(قدس الله سره) «**ذكر الله واسم الله وآيات الله كما فسّر وطبق الذكر بالرسول الأكرم وعلي بن أبي طالب صلوات الله عليهما وآلهما فهم الآيات الإلهية وأسماء الله الحسنى وذكر الله الأكبر ومقام الذكر من المقامات العالية والجليلة . . .**»[٤]. فاجعل من حب الحسين الذي يتوقد في قلبك ويدفعك للمشاركة في عزائه سلام الله عليه معراجاً يرتقي بك إلى تلك المرتبة الرفيعة،

---

(١) صحيح الكافي.
(٢) ميزان الحكمة.
(٣) سورة الحديد، الآية: ١٦.
(٤) الآداب المعنوية للصلاة.

وسفينة توصلك إلى حيث المبتغى والغاية الحقيقية. أوليست سفينة الحسين عليه السلام أسرع السفن وصولاً؟

١٢. عدم مراقبة الحاضرين وتتبّع عيوبهم

أيها العاشق الحسيني، وأنت في مجلسك المبارك لا تنسَ أنّ الحسين عليه السلام ينظر إليك، لذا لا تسمح لنفسك الأمّارة بالسوء أن تخرجك من محضر البركة والرضوان.

واسعَ إلى عدم مراقبة الآخرين الحاضرين وتتبّع عيوبهم، فربّما كان من بينهم وليًّا من أولياء الباري. فكما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله: **«إنّ أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم أحد غيري»**[١].

لذا فلا تحرم نفسك وروحك من بركاته عليك ومودته لك. فعن الإمام عليّ عليه السلام: **«من تتبّع خفيات العيوب حرمه الله مودّات القلوب»**[٢]، مودّات من لأجلهم ينبغي الوصول، فعليك بنفسك، ودّع غيرك كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»**[٣] وربَّ متتبّع لعثرة وقع في غيبة وعنه صلى الله عليه وآله:

«الغيبة أشدّ من الزنا فقيل يا رسول الله ولما ذاك، قال: صاحب الزنا يتوب فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة يتوب فلا يتوب الله عليه حتّى يكون صاحبه الّذي يحلّه»[٤].

---

(١) المحبّة في الكتاب والسنّة.
(٢) المحبّة في الكتاب والسنّة.
(٣) المحجّة البيضاء: ج٥، ص٢٦٤.
(٤) بحار الأنوار.

وكما ورد عن الإمام علي عليه السلام : **«أبغض الخلائق إلى الله تعالى المغتاب»**[١] وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام : **«ومن اغتابه بما فيه فهو خارج من ولاية الله تعالى داخل في ولاية الشيطان»**[٢].

عافانا الله وإيّاكم من إهانة أوليائه وتتبّع عثراتهم ومن الوقوع بغيبة مؤمن أو أذية إنسان، وخاصة في محضرهم سلام الله عليهم فهو عاصم من استعصمه.

١٣. عدم إنكار الأحاديث والروايات

أيها المحب للإمام الحسين عليه السلام، إفتح مسامع قلبك لما قاله السيد الإمام روح الله الخميني إلى ولده السيد أحمد:

«بني إن لم تكن من أهل المقامات المعنوية، إسعَ أن لا تنكر المقامات الروحانية والعرفانية، لأن الإنكار من أخطر مكائد الشيطان والنفس الأمارة بالسوء التي تصدّ الإنسان عن بلوغ جميع المراتب الإنسانية والمقامات الروحانية. وهو يدفع الإنسان إلى إنكار السلوك إلى الله والإستهزاء به أحياناً مما يجرّ إلى الخصومة والمعاداة لهذا الأمر».

أيها العاشق، لا تحرم نفسك من النفحات الإلَهية والبركات التي لا مثيل لها لمجرد الشك في الرواية أو الحديث، فإنك بذلك تفتح الباب واسعاً أمام الشيطان ليأخذك إلى عوالم شتى، بعيدة كل البعد عن المجلس المبارك والنعم اللامتناهية التي تسعى للتزوّد ولو بشيءٍ منها. فتجنّب ذلك ولا تحكم فوراً على ما سمعته بالبطلان بل أترك الأمر إلى ما بعد المجلس للإستفسار

(١) المحبّة في الكتاب والسنّة.
(٢) بحار الأنوار: ج٧٥.

عنه وتدبّر بهذا الكلام الذي قاله السيد الإمام روح الله الخميني قدس الله سره:

«فمثلاً عند سماعك الحكيم الفلاني أو العارف الفلاني أو المرتاض الفلاني يقول شيئاً لا يتلاءم وذوقك الخاص، فلا تحكم عليه فوراً بالبطلان والوهم. فقد يكون بذلك القول أصل في الكتاب والسنة ولكن عقلك لم يطلع عليه بعد. فما الفرق بين أن يفتي فقيه بفتوى في باب الديّات وأنتم لم تعرفوها ثم من دون مراجعة دليله تردّونه، وبين أن يقول شخص سالكٌ إلى الله أو عارفٌ بالله قولاً يتعلّق بالمعارف الإلهية أو بأحوال الجنة والنار وأنتم دون مراجعة لدليله لا تردّون فحسب بل وتهينونه وتتجرأون عليه؟ فمن الممكن لذلك الشخص وهو أهل ذلك الوادي وصاحب ذلك الفن أن يكون له دليل من كتاب الله أو من أحاديث الأئمة ولكنك لم تطلع عليه بعد. ففي هذه الحالة تكون قد رددت على الله دون مبررٍ مقبول ومعلوم فإن الاحتجاج بأسلوب أن ذلك لا يتلاءم مع ذوقي أو لم يصل إليه علمي أو سمعت خلاف ذلك من الخطباء فإن هذا كله لا يشكل عذراً مقبولاً»[1].

واعلم أن حديث آل محمد ليس حديث عادياً فهو مشروط بالطهارة الباطنية حتى نستطيع تقبله وعندها تلين له قلوبنا بسهولة فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**حديث آل محمد عظيم صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان فما ورد عليكم من حديث آل محمد عليهم السلام فلانت قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه وما اشمأزت له قلوبكم فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد عليهم السلام وإنما**

(١) الأربعون حديثاً.

الهالك من يحدث أحدكم بالحديث أو بشيء لا يحتمله فيقول والله ما كان هذا، والإنكار لفضائلهم هو الكفر»[١].

١٤. البكاء والتباكي والإبكاء

ترنو إليك أيها العاشق النوراني أحداق عاشقيك، فتنساب دموعنا وعبراتنا ينابيع ضياء، لتتكسر على جرحك القدسي وتمزّق القلب إلى أشلاء. فينتفض الدمع من الوجد الناحب دماً يبلسم جراح عصارة النبوة وخلاصة الأولياء عجّل الله تعالى فرجه نقرأ ونحن الوالهون زيارة الناحية بعين مملوءة بالدم قبل العبرات:

«فلئن أخرتني الدهور وعاقني عن نصرك المقدور ولم أكن لمن حاربك محارباً ولمن نصب لك العداوة مناصباً، فلأندبنك صباحاً ومساءً ولأبكين عليك بدل الدموع دماً، حسرة عليك وتأسفاً على ما دهاك وتلهفاً حتى أموت بلوعة المصاب...»[٢]، فتأمن بذلك عيوننا يوم الفزع الأكبر، وتأتي ضاحكة كما قال الحبيب المصطفى ﷺ: **«يا فاطمة كل عين باكية يوم القيامة إلا عين بكت على مصاب الحسين عليه السلام فإنها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة»**[٣].

نبكي مع ابن شبيب لحديث الرضا عليه السلام له وهو يقول: **«يا ابن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابك الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه ذبح كما يذبح الكبش...**

---

(١) القطرة في بحار مناقب النبي والعترة.
(٢) زيارة الناحية المقدسة.
(٣) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٩٢.

يا ابن شبيب لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده، لما قتل جدي الحسين أمطرت السماء دماً وتراباً أحمر، يا ابن شبيب، إن كنت بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً . . .»[١].

فالبكاء على الإمام الحسين عليه السلام والعترة الطاهرة يختلف عن البكاء على سائر الناس الذي يتمثل في ذرف الدموع والبكاء على المصاب، فالباكي على الحسين عليه السلام يكتسب وجوده من هذه الدموع المنهملة.

كما أن هذه الدموع والمآتم على مصاب سيد الشهداء عليه السلام هي التي حفظت الإسلام.

وإذا لم توفّق أيها الموالي للبكاء، حاول أن تتباكى وتتظاهر بمظهر الحزن والتلهف على ما دهى سيد الشهداء عليه السلام، لأن المتباكي له كأجر الباكي كما ورد في مناجاة موسى عليه السلام مع ربه: **«يا موسى ما من عبد من عبيدي في ذلك الزمان بكى أو تباكى وتعزّى على ولد المصطفى صلى الله عليه وآله إلا وكانت له الجنة ثابتاً فيها . . .»**[٢]. فالتباكي والبكاء بشكل خاص هو الذي «يحفظ كيان المذهب» كما قال الإمام الخميني ويضيف قدس الله سره: «إن رمز انتصارنا على الأعداء يكمن في مجالس العزاء وفي البكاء وفي اللطميات وفي الرثاء»[٣].

ولقد اعتبر (قدس الله سره) أن الثورة الإسلامية في إيران هي ومضة من عاشوراء والثورة الإلهية العظيمة التي اندلعت فيها.

---

(١) الطريق إلى منبر الحسين عليه السلام.
(٢) مستدرك الوسائل: ج١، ص٣١٩.
(٣) صحيفة نور: ج١٠، ص٢١٧.

واعلم أيها الباكي على مصاب الغريب عليه السلام بأنه سلام الله عليه يعرفك بإسمك ويستغفر لك كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام : **«أيها الناس إعلموا أن الحسين حي عند ربه يرزق من حيث يشاء وهو دائماً ينظر إلى موضع معسكره ومصرعه ومن حل فيه من الشهداء، وينظر إلى زواره الباكين عليه والمقيمين العزاء عليه وهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وبدرجاتهم ومنازلهم في الجنة وإنه ليرى من يبكي عليه ويستغفر له»**[1].

ولا تعترض ولا تأسى إن لم توفّق لذرف الدموع، فأنت قد سلّمت الفؤاد ووضعته في محضر الآل، وبذلك فإن كل ما سيجري عليك هو بتوفيق ورضا منهم عليهم السلام.

فردد بسكنات فؤادك بأي حال من الأحوال ـ بكاء أو تباكي ـ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله رب العالمين. ولا تبخل بدعائك لمن ذكر مصاب آل الرسول صلى الله عليه وآله وأبكى ذاك الجمع من المحبين، فهو أفضل من ألف عابد كما قال صادق أهل البيت عليه السلام عندما سأله أحدهم: رجل راوي لحديثكم يبث ذلك في الناس ويشدّه في قلوبهم وقلوب شيعتكم ورجل عابد من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيهما أفضل؟.

فقال عليه السلام : **«الراوي لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد»**[2].

١٥. اللطم وإظهار الحزن والتفجّع

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشط الفرات

---

(١) إكسير العبادات: ج١، ص١٠٤.

(٢) الطريق إلى منبر الحسين.

إذاً لـلـطـمـت الـخـد فـاطـم عـنـده وأجريت دمع العين في الوجنات

أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي نـجـوم سـمـاواتٍ بـأرض فـلات

أُنظر أيها المحب بعين قلبك إلى ذاك المجلس الذي يقيمه ثامن الأقمار الزاهرة علي بن موسى الرضا عليه السلام على جده الغريب، وأنصت إلى دعبل، تخيّل معه لطم الزهراء لخدها على مصاب السبط الشهيد.

أتتخيل ذلك؟ أترضى بأن تفجع الزهراء وحدها؟ بأن تلطم الفاطميات دون مواساتنا؟ بأن تتأوّه دون مشاركتنا؟

قم واذرف دموعك على تلك المواضع التي ضُربت من أجسادهم حتى تلتئم جراحاتهم. واسِ بصوتك صوت الرضا سلام الله عليه الذي علا في ذاك المجلس من شدة تأثره وتفجعه بمصاب جده عليه السلام بل أكثر من ذلك، أولست تتوجه في صبيحة الجمعات، تناجي إمام زمانك، وتردد دعاء الندبة:

«فعلى الأطايب من أهل بيت محمد وعلي صلى الله عليهما وآلهما فليبكِ الباكون وإياهم فلينذب النادبون. . . ، وليصرخ الصارخون، ويضج الضاجون، ويعج العاجون. . .»[1].

أوليست دعوة واضحة لكل عاشق يرنو للإستمساك بأسرع السفن وصولاً إلى حيث الحبيب؟

إسمع أيها المحب الراغب في المواساة ما حصل مع العلاّمة بحر العلوم الذي كان لا يتخلّف عن المشاركة في مواكب اللطم لأن صاحب الزمان يشارك فيها:

---

(١) دعاء الندبة.

كان العلاّمة ذاهباً من النجف إلى كربلاء سيراً على الأقدام مع بعض الأصحاب، وأثناء الطريق، مرّ موكب لطم على سيد الشهداء عليه السلام فشارك معهم السيد. وأثناء لطمه وقعت عصاه، فعمامته، فعباءته، فلما انتهى الموكب أخذ أصحاب العلاّمة يقولون بأنه بفعله هذا قد هتك المرجعية، فقال لهم: ويحكم لقد كان صاحب الزمان حاضراً فلما وقعت عصاه وقعت عصاي، ولما وقعت عمامته وقعت عمامتي، ولما وقعت عباءته وقعت عباءتي[١].

واعلم أيها المحب أن كل ما يظهر على المشاركين في عزاء الحسين من جزع برفع الصوت وإعلان الصيحة والضجة، فلا شك في كون ذلك من الأمور المنبعثة عن شدة وجع القلب وكثرة تألمه وإحتراقه، فهذا في الحقيقة من الكواشف عن شدة المحبة والموالاة وسداد الإخلاص والوداد، والأخبار المتضمنة لجزع الباكين والنائحين على سيد الشهداء، مما لا يمكن عده وإحصاؤه، لأن كل شيء ناح وبكى عليه . . . [٢].

فالبكاء والنواح على السبط الشهيد لم يقتصر على أهل الأرض والسموات، كما يذكر صادق أهل البيت عليهم السلام في زيارة سيد الشهداء عليه السلام: **«أشهد أن دمك سكن في الخلد واقشعرت له أظلّة العرش وبكى له جميع الخلائق وبكت له السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا وما يرى وما لا يرى»**[٣].

لذا فواسِ سيدة النساء سلام الله عليها، وأظهر حزنك بذاك المصاب، ولا تخجل من لطمٍ أو صرخةٍ هي لهم، فتشملك الرحمة الإلهية بدعاء

---

(١) كامل الزيارات: ص٨٠.
(٢) إكسير العبادات: ج١، ص١٥٠.
(٣) مفاتيح الجنان: زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

إمامك الصادق عليه السلام : «**اللهم إرحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمةً لنا وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم الصرخة التي كانت لنا. اللَّهُمَّ إني أستودعك تلك الأنفس والأبدان حتى توافيهم على الحوض يوم العطش**».

اللهم ارزقنا دعاءه وخيره وهب لنا رأفته ورحمته وامنن علينا برضاه.

١٦. الدعاء لشيعة أهل البيت عليهم السلام

أيها الحبيب، إغتنم وجودك في دوحة الحبيب، حرّر ذاتك من شوائبها، واروها من ذاك الفيض. أنظر بعين قلبك إلى دعاءٍ قد تفوه به لسانك في محضرهم الجليل وعلا بجناح الرحمة إلى بارئ النسمات، وكيف لا يعلو وهو المتيّم بالحسين؟ وكيف لا يدنو من ذات الرحمة وباب نجاة العالمين؟

فاذكر في هذا المحضر شيعة الكرار بالخير الجزيل، وتلفظ بخالص الدعاء لعشاق الحسين تنل بذلك الفضل الكثير، إذ يقول إمامنا زين العابدين عليه السلام : «**إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب أو يذكره بخير قالوا: نعم الأخ أنت لأخيك تدعو له بالخير وهو غائب عنك وتذكره بخير قد أعطاك الله عزّ وجل مثل ما سألت له وأثنى عليك مثل ما أثنيت عليه ولك الفضل عليه**»[1].

١٧. الختم بالدعاء لصاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه

إن صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف موجود وهو

---

(١) المحبة في الكتاب والسنة.

من بين الحاضرين يبكي غربة جدهعليه السلام ، تجري في مقلتيه مشاهد الأحباب في أرض الكرب والبلاء، وفي يديه الشريفتين تجمَّع الدم حرّاً لغربة سيّد الشهداءعليه السلام وأنت في ذاك المكان تذكر أن له حق علينا بالدعاء لتعجيل طلعته الغراء.

فعن الإمام الصادقعليه السلام : «**إن من حقوقنا على شيعتنا أن يضعوا بعد كل فريضة أيديهم على أذقانهم ويقولوا ثلاث مرات يا رب محمد . . . عجّل فرج محمد، إحفظ غيبة محمد، يا رب محمد إنتقم لأبنة محمد**»[1].

وفي دعوة لهعليه السلام من الشيخ المفيد يقول: «**أكثروا من الدعاء بتعجيل الفرج فإن في ذلك فرجكم**».

واعلم أن صاحب الأمر يدعو لك إذ يقول في المنام لأحد الصالحين «**إني لأدعو لمؤمن يذكر مصيبة جدي الشهيد ثم يدعو لي بتعجيل الفرج والتأييد**».

علّك تنال بدعائه موعداً للقاء وساعة وصال وتسمع حسيسه ونجواه، وتكون من خدّامه وأعوانه والمستشهدين بين يديه.

١٨. التولّي والتبرّي من أعدائهم وطلب العشق والشهادة مع صاحب الزمانعليه السلام

إغتنم أيها المحب وجودك في مجلس سيّد الشهداءعليه السلام ، وردد بسكنات الفؤاد بيعة، لطالما جدّدتها في كل صباح شوقاً لتلك الطلعة الغراء وطُهراً من ذنوب حالت بينك وبين صاحب الزمانعليه السلام . وجدِّد البيعة

(١) مكيال المكارم: ج٢، ص٧.

والولاء بين يدي الباكي على مصاب جده كل صباح ومساء، وناد بقلب مشتاق «**اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهداً وعقداً وبيعة له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول أبداً**»[1] ولا تنسَ أن تتبرّأ من أعدائهم ففي ذلك تمام الإيمان. فعندها تفتح أمام قلبك أسرار العشق الأصيل وحلاوة الموالاة للآل، وإذا وفّقت لذلك عندها تستطيع أن تطلب الشهادة بين يديّ صاحب المقام قائلاً: «**اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه والمستشهدين بين يديه**» لتهاجر مع مواكب الأنفس المشتاقة إلى حيث المبتغى والمراد.

تدنو نحوه وهو في عليائه، تنهل من معين فيضه. ترسو على ضفافه علك تحظى بلمسةٍ على ذاك الفؤاد، أو بنظرةٍ تحوّل التراب دُرًّا يتلألأ عشقاً وولاء.

ولن تجد نفسك بعد كل هذا إلا وقد حملها طيفها إلى أكناف مقلتيه، لتصبح روحاً تناجي الإمام وتناديه، تستغيثه وتفديه، ترسل مواكب الشكوى في غمرة تلك العطايا والبركات ترسم بدمعها بريقاً يحفر في الأعماق عشق صاحب الزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

١٩. استغلال الوقت بعد الانتهاء من المجلس

لجلال العشق لآل محمدﷺ، وقعٌ جميل في قلوب الأحباب، فلا تدع تلك اللحظات دون أن تسكن معها، وتُجاور ما يحدّث به فؤادك المتيم، وبذلك ستملأ قلبك من شذراتهم وومضاتهم النورانية التي ستضيء دربك وتهدي سبيلك.

---

(١) دعاء العهد.

تجافَ أيها العاشق عن كل ما يفسد لك روعة الوصال في محضر الآل عليهم السلام واعلم أن أفضل الدعاء هو بعد المجلس، لذا اغتنم الفرص فإنها تمرّ مرّ السحاب.

وابقَ في مجلسهم، في زمانهم ومكانهم، وتوسل بحق أسمائهم فإنها خير الأوقات وأجلّها. ولا تهدر رحمة عظيمة أرسلها لك الباري، وتأمل في كونك المحدود الفاني، وكونهم الخالد الباقي. لا تهمل ساعات التفكر والذكر، فربما تُسرع بك تلك اللحظات إلى محل اليقين بنسائم ونفحات الكرم الإلهي المهيب، كن في ساعاتك هذه في ساحة نيل الهبات الربانية واعلم أنه «**تفكّر ساعة خير من عبادة ألف سنة**» كما علّمنا أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وإذا حُرمت من تلك العطايا، فإنك بذلك تحرم من شرف التواصل والبقاء في حضرتهم الشريفة طوال سني عمرك المتبقي.

وتدري حينئذٍ أنك أضعت كنزاً ثميناً من كنوز العرفان العظيمة. فتعيش غريباً عن معاني الإخلاص والوصال، بعيداً عن سمو الرفعة والإجلال. لا تستخفّ بوقت يوصلك إلى ذاك المكان، بل إصنع لنفسك عبق الحضور والعبور، فتستقرّ في أنحائك أشجانهم وأنفاسهم المباركة، هذا ما يقدمه لك مجلسهم ومحضرهم. أعظم ما تتمناه في جرمك الفاني. أخلص قلبك لهم، واقبض على كل لحظة تعيشها معهم، خلّدها في جوف فؤادك لتشهد يوم القيامة أنك من أهل الله. لا تدع لدنياك سبيلاً إلى فراقك لهم وهجرانهم لك... بل إجعل دنياك لهم، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**كيف يدعي حب الله من سكن قلبه حب الدنيا**»[1].

---

(١) المحبة في الكتاب والسنة.

٢٠. تناول الطعام على حبّهم والمبادرة إلى الإطعام

إذا كنت ـ أيّها المحبّ ـ قد ارتقيت إلى أمنية كونك في زمان سيّد الشهداء عليه السلام فتكون ذابًّا عن حرمه. فها أنت الآن في محضر الخدمة لجلاله المبارك، فلا تبخل ببذلك وعطائك. فأيّ شرف أكبر من أن تقرض الله قرضاً حسناً؟ فكيف إذا كان هذا القرض حبًّا بآل بيت الوحي والنبوة عليهم السلام. إن من أعظم القربات إلى الله تعالى هو الإنفاق في سبيل سيّد الشهداء عليه السلام وأهل بيته، وإن شيعته ومحبيه يعتبرونه واجباً إلهيًّا وذلك من وجهة حسن المودّة والصلة، وأقلّ مظاهر الوفاء لهم صلوات الله عليهم.

والموالي لآل البيت عليهم السلام لا بدّ من أن يكون ثابتَ القدم في جادّة المودّة ومسلك الإخلاص لهم بحيث يبذل ماله ونفسه ووجوده فيما يتعلّق بهم عليهم السلام من إقامة مجالس عزائهم وإنفاق للحاضرين فيها وإطعام محبّيهم عليهم السلام ونحو ذلك.

وإذا كانت إقامة تعزية آل الرسول صلى الله عليه وآله بالبكاء والإبكاء والتباكي والصيحة والنوح والنحيب على الدرجة العظمى من المطلوبيّة والمحبوبيّة عند الله تعالى وعند حججه الطاهرين عليهم السلام، كان صرف الأموال والتعرّض للخدمات للأمور المتعلّقة بتلك المواضع والمجالس المعدّة لاجتماع الباكين والباكيات والصارخين والصارخات مثل البكاء والإبكاء والنوح والنحيب في الدرجة وفي المحبوبيّة عند الله تعالى وعند حججه المعصومين مع أنّ ذلك، أي إعداد المجالس وتهيئة المآدب لقراءة القرّاء والرثاء واجتماع الناس ممّا ينبعث عنه، أمور عظيمة من التشبّه بأفواج الملكوتيين من الملائكة وأرواح الأنبياء والمرسلين والشهداء والصّديقين الباكين المساعدين لسيّدة نساء العالمين سلام الله عليها.

ولا تكن أيها الحبيب من المحرومين من هذا الخير العميم وهذه العبادة الّتي تتقرّب بها لمولاك، وبادر لمقام ـ الإطعام ـ تأسّيًا بهم ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[1] . . . ولا تنسَ نفسك فشربك الماء وأكلك الخبز على حبّه يبارك أحشاءك ويسبّح بحمد الخالق لذا استحضر بكلّ طعام تتناوله أو شراب تشربه نيّة حبّه فإنّها تطهّر وتشفي من الأسقام الأليمة ما ظهر منها وما بطن بمسحةٍ نورانيّة من عشق الحسين عليه السلام .

وهلّموا بنا إلى مولى الموالي وأمير الموحّدين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ننهل من معينه فإنّها حكمة أشرقت على النفوس لتؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها إذ قال عليه السلام **«قوت الأجساد الطعام وقوت الأرواح الإطعام»**[2] .

٢١. تقديس مكان المجلس واحترامه

أيها الموالي العاشق، إنتبه وأنت تعبر الباب لعلّ فاطمة تجلس هناك تنتظر ذكر المصاب. أدخل واجلس خاشعاً مستمعاً علك تسمع آهات فاطمة.

قم أيها المحب وتلمس ذاك البساط لعل خيطاً من ثوبها سلام الله عليها قد بقي عليه، تلمس الأرض فلعلّ عبرة من عبراتها قد انهملت بين الحاضرين.

تلمس الباب فلعل صاحب العزاء الحجة بن الحسن المهدي أرواحنا لتراب مقدمه الفداء قد لمسه بيديه الشريفتين. ولا تمر مرور الكرام بالجدار، فلعل صاحب الزمان قد حط برأسه المبارك عليه. لملم ما بقي من آثار المواسين.

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٩.
(٢) المستدرك: ج١٩، ص٢٤٦.

تأمل ذاك المجلس بكل ما فيه، فلعلها سلام الله عليها قد وقفت في إحدى الزوايا تدعو للموالين الحاضرين: إلهي شيعتي، إلهي شيعتي، إلهي شيعة ولدي.

وها هي أطياف الملائكة قد عزمت على الرحيل، وتقدّمت مع الصّديقة الكبرى لتغادر ذاك المجلس المهيب.

فتأهب وقم لعزائها بالحسين الشهيد العطشان الغريب، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطيبين الطاهرين.

* * *

وفي الختام يبقى أن نشير إلى أن ما نضعه بين يديك هو مجموعة محاضرات كانت ألقيت في محافل الإمام الحسين عليه السلام وقد جُمعت وحذف منها المتكرر وتم توثيق رواياتها مع المحافظة على طريقة طرحها وإلقائها. آملين أن تكون قطرة من بحر كربلاء الذاخر تنهل منها قلوب عشقت آل الرسول لتلتحق بركب الشهداء والصالحين. تجيب استغاثة مولانا صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه فذا صوته يهز الوجدان طالباً من مواليه النصرة: **«أسألكم بحق الله وبحق رسوله وبحقي فإن لي عليكم حق القربى من رسول الله صلى الله عليه وآله ألا أعنتمونا ومنعتمونا ممن يظلمنا فقد أخفنا وظلمنا وطردنا من ديارنا، وأبنائنا وبغي علينا ودفعنا عن حقنا، وافترى أهل الباطل علينا، الله الله فينا لا تخذلونا وأنصرونا ينصركم الله»**.

فلنستل سيف النصرة لنغمده بنحر الكفر وأهله..

ولنتبصّر مقالة أبي عبد الله الحسين عليه السلام أرواحنا لتراب قبره الفداء **«إن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظَلَمة عليكم وعملوا في إطفاء نور نبيكم..»**.

والملتقى بتوفيق الله تبارك وتعالى ورعاية صاحب الزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء في عزاء الآل الأطهار من كتاب الدمعة الساكبة الجزء الثاني ونسألكم الدعاء. . .

والله ولي الحمد والتوفيق



«إن لله في أيّام دهركم
نفحات ألا فتعرّضوا لها ولا
تعرضوا عنها»



النفحة الأولى

مجلس الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم



٥٠ ..... العبرة الساكتة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا سيدي ويا مولاي يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب وعلى حبيبتك وقرّة عينك فاطمة الزهراء، صلى الله عليك سيدي ومولاي يا أبا عبد الله يا غريب يا مظلوم كربلاء لعن الله من آذاك، يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

أظلم وجه الكون والشمس تلبَّست ثوب السوادِ حزناً للنبي محمدِ
ومزّقت الدنيا عليه فؤادَها وشقّ عليه الدهرُ جيبَ التجلُّدِ
اليوم قد فقدت أباها فاطم فقدت أباها أرأف الآباء
من ذا يعزي المرتضى في المصطفى والأنبياء بسيد الأمناء
من ذا يعزي المجتبى في جده حسن الزكي وسيد الشهداء
وتنادي فاطمة بقلبٍ والهٍ ودمع العين منهمرٌ على الوجناتِ
ماذا على من شمّ تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا
قل للمغيّب تحت أطباق الثرى إن كنت تسمع صرختي ونداثيا
صبّت عليّ مصائب لو أنها صبّت على الأيام صرن لياليا

* * *

لقد كانت فاطمة سلام الله عليها بعد شهادة رسول الله ﷺ حزينة باكية

كئيبة تقول: أبتاه فما أجد بعدك أنيساً لوحشتي ولا رادّاً لدمعتي، أبتاه فأما الدنيا فبعدك مظلمة وعليك ما ترددت أنفاسي باكية، من للقبلة والمصلى؟ من لإبنتك الوالهة الثكلى يا ربيع الأرامل واليتامى؟

تصيح أم الحسن بدمع جاري يا بوية أظلم على فراقك نهاري
يبو إبراهيم يا رحمة الباري يا نور عيني ومهجة فؤادي

* * *

يا رسول الله نورك من خفه وغاب غدت ظلمة المدينة بكبر المصايب
عليك الحسن يبكي وقلبه انصاب وأخوه حسين يبكي بدال الدمع دم



سيدي ومولاي يا صاحب الزمان عظم الله لك الأجر ففي هذه الأيام تجتمع المصائب والآلام عليك وترتسم على قلبك الأحزان وعلى عينيك الدموع.

إن في هذه الأيام يُفجع الموالون والمحبون بفقد أئمتهم واحداً بعد آخر. سيدي يا صاحب الزمان عظم الله لك الأجر بجدك الحسن المجتبى وجدك علي بن موسى الرضا عليه السلام، سيدي يا صاحب الزمان نحن شيعتك واقفون ببابك نريد أن نعزيك أيضاً بمصيبة عظيمة ونحن بعد لم ننسَ كربلاء ولم تنته مصائبها إلى هذا اليوم. سيدي ما زالت زينب سلام الله عليها في مثل هذه الأيام على الطريق متوجهة من كربلاء إلى المدينة. وهذه المصيبة مصيبة سيد الشهداء أبي عبد الله عليه السلام ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالفجيعة التي حلّت في مثل هذا اليوم على أمة الإسلام بكاملها، هذه الفجيعة التي أثكلت الإسلام بفقد الداعي إلى هذه الرسالة الإلهية. سيدي يا صاحب الزمان عظم الله لك الأجر بشهادة جدك السيد الأكبر خاتم المرسلين الحضرة المقدسة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وهو القائل في حديثه المشهور مُعلناً فيه عمق محبته لسيد الشهداء أبي عبد الله عليه السلام **«حسين مني وأنا من حسين»** هذه العبارة المتواضعة في عدد كلماتها، لكنها دنيا من المعرفة من ناحية معناها فكلمة «حسين مني» واضحة العظمة في «وأنا من حسين» لكن أنظروا إلى القائل لهذه العبارة من يكون؟ «إنه صاحب مقام من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى».

ورد في الخبر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: **«إن الله تعالى خلق من نور محمد صلى الله عليه وآله عشرين بحراً من نور، في كل بحر علوم لا**

يعلمها إلا الله تعالى ثم قال لنور محمد: إنزل في بحر العز، فنزل ثم في بحر الصبر ثم في بحر الخشوع ثم في بحر التواضع ثم في بحر الرضا ثم في بحر الوفاء ثم في بحر الحلم ثم في بحر التقى ثم في بحر الخشية ثم في بحر الإنابة ثم في بحر العمل ثم في بحر الهدى ثم في بحر الحياء حتى تقلّب في عشرين بحراً، فلما خرج من آخر الأبحر قال الله تعالى: يا حبيبي ويا سيد رسلي ويا أول مخلوقاتي ويا آخر رسلي أنت الشفيع يوم المحشر فخرّ النور ساجداً، ثم قام فقطرت منه قطرات كان عددها مئة ألف وأربعة وعشرين ألف قطرة، فخلق الله تعالى من كل قطرة من نوره نبياً من الأنبياء. فلما تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور محمدﷺ كما تطوف الحجاج حول بيت الله الحرام وهم يسبحون الله ويحمدونه فناداهم الله تعالى: تعرفون من أنا؟ فسبق نور محمدﷺ قبل الأنوار ونادى: أنت الله الذي لا إله إلاّ أنت، وحدك لا شريك لك ربُّ الأرباب وملك الملوك. فإذا بالنداء من قبل الحق تعالى: أنت صفيي وحبيبي وأنت خير خلقي، أُمّتك خير أُمّة أخرجت للناس. ثم خلق من نور محمد جوهرة وقسمها قسمين إلى أن خلق القلم وقال له: أكتب توحيدي فبقي القلم ألف عام سكران من كلام الله، فلما أفاق قال: أكتب قال: يا رب وما أكتب؟ قال: أكتب: لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما سمع القلم إسم محمد خرّ ساجداً ثم رفع رأسه من السجود وكتب، ثم قال: يا رب ومن محمد الذي قرنت إسمه باسمك وذكره بذكرك؟

فقال الله تعالى: يا قلم فلولاه ما خلقتك ولا خلقت خلقي إلا لأجله فهو بشير ونذير وسراج منير وشفيع وحبيب فعند ذلك انشق القلم من حلاوة ذكر محمدﷺ»[1].

---

(١) القطرة.

فهو النبي الخاتم الذي أعطاه الله كل أسمائه. فقد ورد في القرآن أكثر من مئة وسبعة وعشرون إسماً لله تعالى وكل هذه الأسماء أعطاها الله لمحمدﷺ فعلى سبيل المثال: الله هو الولي ولكنه أيضاً وصف نبيه بذلك فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1] ومن أسمائه الشهيد فقد ورد في الآية ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[2] وهذا الإسم أُعطي للنبي فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3].

وكثير من الأسماء الأخرى، بل أن كل الأسماء تجلّت وظهرت به صلوات الله عليه ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[4]، بل هم الأسماء الإلهية فكما ورد عن سيد الشهداءعليه السلام أنه قال: «**نحن والله الأسماء الحسنى**»[5].

وإن خاتم النبيين هو الذي ختم كل المقامات وهو صاحب الرحمة المطلقة الذي كما ورد في الخبر **يأتي يوم القيامة، يسجد لله على باب الجنة ثم ينادي هو وعلي**عليهما السلام : **اللهم شيعتي شيعتي نجّهم من النار، فيلتفت آدم ويقول: أنظروا إلى النبي الخاتم أبي الزهراء واطلبوا منه الشفاعة.**

هذا هو رسول اللهﷺ الذي كان أول شيء خلقه الله ويذكر الخبر أنه لما سأل جابر الإمام الباقرعليه السلام «**ما أول شيء خلقه الله؟ فقال نور نبيك يا جابر، ثم خلق من نوره كل خير**»، بالله عليكم من هو هذا الخير الذي خُلق من نور

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٢) سورة البروج، الآية: ٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٣١.
(٥) الكافي: ج١، ص١٤٣.

رسول الله ﷺ؟ إنه الحسين عليه السلام من نسل رسول الله ﷺ «حسين مني وأنا من حسين» لكن ما معنى هذا الكلام؟ ولتوضيح المطلب نضرب هذا المثال: الثمرة والشجرة والفرق بينهما ومعلوم أن الفرق بينهما هو الإجمال والتفصيل فالشجرة مُفصَّلة والثمرة مجملة ولكن حقيقة الشجرة موجودة في الثمرة بشكل إجمالي فهذه الثمرة تصبح بعد مدة شجرة وتلك الشجرة أيضاً ستعطي ثمرة والثمرة إن زرعت تعطي شجرة وهكذا يمكن أن نعبر أن الشجرة من الثمرة ويمكن أن نقول أن الثمرة من الشجرة وكلاهما صحيح ودقيق لهذا ورد «**حسين مني وأنا من حسين**» وما أجملها من عبارة؟! تبين هذا الإحترام والتبجيل والمحبة الخاصة التي يكنّها الرسول الأعظم إلى سيد الشهداء. أنظروا إلى هذه المحبة واستنبطوها من خلال هذه الرواية التي تقول كان رسول الله ﷺ يخطب على المنبر إذ دخل الحسين عليه السلام إلى المسجد وهو يومئذ صغير السن فعلقت قدمه بذيل ثوبه، فوقع، فما كان من النبي على عظم جلالته ووقاره إلا أن قطع خطبته ونزل من على المنبر وحمله. دُهِش بعض الناس وقالوا: يا رسول الله ما رأينا محبة لطفل كهذه؟ فقال رسول الله: «**إن الله قد أمرني بحبه**». وكان إذا رآه، يركض وراءه ويقول أمسكه يا علي، ويضمّه ويقبّله ويقول يا علي إن الحسين ريحانتي من الدنيا. وكان يقول «**يا علي إن ولدي هذا يُقتل ويبقى عارياً يا علي يُحمل رأسه على رأس رمح طويل**». ويذكر الخبر «**أن الرسول الأكرم في أحد الأيام خرج من بيته فمرّ على بيت فاطمة سلام الله عليها فسمع الحسين عليه السلام يبكي فقال للزهراء سلام الله عليها: بنية ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني**». وفي رواية أن النبي ﷺ كان يصلي يوماً والحسين عليه السلام كان صغيراً بالقرب منه فإذا سجد النبي ﷺ جاء الحسين عليه السلام فركب ظهره وحرّك رجليه فإذا أراد الرسول أن يرفع رأسه أخذه فوضعه إلى جانبه، فإذا سجد عاد الحسين عليه السلام وركب ظهر جده.

وتذكر الروايات أن الرسول الأكرمﷺ قد مدح الحسينعليه السلام بصفات عظيمة ومنها أنه قال له يوماً: «**مرحباً بك يا زين السموات والأرض**» فقال له أحد أصحابه وهل غيرك يا رسول الله زين السموات والأرض؟ فقال له الرسولﷺ: «**والذي بعثني بالحق نبياً إن الحسين بن عليعليه السلام في السموات أعظم مما في الأرض وقد كتب الله في يمين العرش أن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة ثم أخذ بيده وقال: أيها الناس هذا الحسين بن عليعليه السلام فاعرفوه وفضّلوه كما فضّله الله**». ونحن نجد أنه ورد في مستحبات الصلاة التكبير ستة مرات قبل تكبيرة الإحرام وذلك كرامة للحسينعليه السلام فكما ورد في الرواية عن أبي جعفر أنه قال: «**خرج رسول الله إلى الصلاة وقد كان الحسين أبطأ عن الكلام حتى تخوفوا أنه لا يتكلم وأن يكون به خرس فخرجﷺ به حاملاً له على عاتقه وصفّ الناس خلفه فأقامه على يمينه فافتتح رسول اللهﷺ الصلاة فكبر الحسين فلما سمع رسول اللهﷺ تكبيره عاد فكبر وكبر الحسينعليه السلام حتى كبر رسول اللهﷺ سبع تكبيرات وكبر الحسينعليه السلام فجرت السُنّة بذلك**»[1].

وهناك رواية تبين أكثر مدى تلك العلاقة المميزة بين الرسول الأعظمﷺ وسيد الشهداءعليه السلام حيث كان الرسول يضع على فخذه الأيسر ابنه إبراهيم وعلى فخذه الأيمن الحسينعليه السلام وهو تارة يقبل هذا وتارة يقبل هذا، فهبط جبرائيل وقال: يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: إفدِ أحدهما بصاحبه فنظر النبي إلى إبراهيم فبكى وقال فديت الحسين بولدي إبراهيم حتى لا تحزن ابنتي فاطمة وابن عمي وأحزن بفقده فإذا قبض ولدي إبراهيم لن يحزن عليه غيري وصار كلما يراه يقبله ويضمه إلى صدره ويقول: فديت من فديت بابني إبراهيم . . .

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج١، ص٣٠٥.

هذه هي محبة رسول الله لولده وسبطه الحسين عليه السلام بل وأعظم من ذلك، لذلك عزّ عليه ما سيجري عليه في كربلاء حتى في آخر لحظات حياته حيث أنه لما نظر إلى الحسين عليه السلام بكى وقال مالي وليزيد لعن الله قاتليك يا أبا عبد الله.

هلموا ندخل إلى الحضرة المقدسة لمحمد بن عبد الله فاليوم هو يوم المصيبة الكبرى والفجيعة العظمى ولكن قبل أن ندخل إلى المحضر افتحوا مسامع قلوبكم بهذه الرواية التي تكشف عن حقيقة نحن نجهلها، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**تدرون مات النبي أو قتل؟ ثم قال إن الله يقول: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَٰبِكُمْ﴾**[1] **فسمّ قبل الموت، إنهما سمتاه! فقال أصحابه: إنهما وأبويهما شرّ من خلق الله**»[2]. تقول الرواية فمرض رسول الله على أثر ذلك السمّ وقبل يوم من شهادته صعد المنبر معصّب الرأس وخطب في الناس وأوصاهم بأهل بيته فقال:

«**أيها الناس أي نبي كنت لكم؟**» قالوا: كنت لنا خير نبي هذه أموالنا وأملاكنا بين يديك قال: «**بل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**» ثم نزل من منبره وعاد إلى منزله واشتد مرضه وكان أمير المؤمنين وفاطمة ملازمين له عند فراشه فمنعوا الناس من الدخول عليه تقول الرواية، فأخذ النبي بيد فاطمة وأخذ بيد علي في يده الأخرى فلما أراد الكلام غلبته عبرته ولم يقدر على الكلام فبكى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بكاءً شديداً لبكاء رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت: يا رسول الله قد قطعت قلبي وأحرقت كبدي لبكائك يا سيد المرسلين مَن لولدي من بعدك؟ من لعلي أخيك؟ ثم بكت وأكبّت على وجهه وقبلته.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) تفسير الصافي: ج١، ص٣٠٥.

ثم رفع النبي رأسه إليهم ووضع يد فاطمة في يد علي وقال: «**يا أبا الحسن هذه وديعة الله ووديعة رسوله عندك فاحفظ الله واحفظني فيها، يا علي هذه والله سيدة النساء من الأولين والآخرين، هذه والله مريم الكبرى، واعلم يا علي أني راضٍ عمن رضيت عنه ابنتي فاطمة وويل لمن هتك حرمتها وويل لمن أحرق بابها وويل لمن آذى خليلها**»، فبكت فاطمة طويلاً فضمّها إلى صدره ثم أقبل الحسنان ورميا بنفسهما على صدر رسول الله ﷺ فأراد علي عليه السلام أن يرفعهما وإذا بالرسول يقول: «**يا علي دعهما على صدري أشمهما ويشمّاني ويتزودان مني وأتزوّد منهما فإنهما سيُظْلَمانِ بعدي**».

كأني بالحسن مظلوم مسموم وأخوه حسين عن الماي محروم

وأمهم تنحب والقلب محزون ليل ونهار وآلهة ما يرحمون

جعلت فاطمة تخاطبه.. يا أبتاه ألا تكلمني كلمة قال لها بنية أنت المظلومة بعدي إلى الله أشكو ظالميك ثم التفت رسول الله إلى أمير المؤمنين وقال: أوَ تصبر إذا قادوك في محرابك؟ أوَ تصبر إذا أحرقوا باب دارك؟ أوَ تصبر إذا ضربوا فاطمة؟ أوَ تصبر إذا أنبتوا المسمار في صدرها؟ أوَ تصبر إذا أسقطوا جنينها قال: أصبر يا رسول الله وهو يبكي..

تقول فاطمة بينما نحن حول أبي وقد أغمي عليه من شدة المرض وإذا بمنادٍ على الباب وهو يقول أنا رجل غريب هل تأذنون للغرباء بالدخول؟ فقلت يا هذا إن رسول الله مشغول عنك بنفسه إنصرف فمضى ثم عاد مرة أخرى ونادى أنا غريب هل تأذنون للغرباء بالدخول؟ فصرفته وفي المرة الثالثة عاد ونادى بنفس النداء وقد انتبه رسول الله ﷺ من غشيته فقال: بنية فاطمة أتعرفينه قالت فاطمة سلام الله عليها: لا يا أبه قال: بنية هذا هادم اللذات هذا مفرّق الجماعات ما استأذن على أحد قبلي ولن يستأذن على أحد

بعدي فأذني له بالدخول فأذنت له فاطمة فدخل وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله إن العلي الأعلى يقرؤك السلام ويخيّرك بين لقائه وبين البقاء في الدنيا فقال رسول الله ﷺ: أريد انتظار حبيبي جبرائيل فعرج ملك الموت إلى السماء فلقيه جبرائيل قال له: يا ملك الموت هل قبضت روح محمد؟ قال لا، لأنه استمهلني لقدومك فقال جبرائيل: يا ملك الموت أما ترى الجنان قد تزيّنت للقاء روح محمد؟ أما ترى الحور العين قد تهيّأت للقاء روح محمد؟ أما ترى الملائكة قد تهيأت للقاء روح محمد؟ ثم هبط جبرائيل وهو يقول يا رسول الله إن العلي الأعلى يقرؤك السلام ويقول لك ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[1] إن الله اشتاق للقائك. جلس جبرائيل عن يمين النبي، ميكائيل عن شماله، أمير المؤمنين عند رأسه وملك الموت عند رجليه ثم جذب علياً تحت ثوبه ووضع فمه على فم علي وجعل يناجيه مناجاة طويلة حتى فاضت روحه الشريفة فمسح بها وجهه ثم إنسلّ علي من تحت الفراش باكياً حزيناً وهو يقول: أيها الناس عظم الله أجوركم بنبيكم، فضجّ الناس بالبكاء والنحيب وجعلوا يحثون التراب على رؤوسهم وينادون وآسيداه وآمحمداه. بأمان الله يا رسول الله صارت فاطمة تبكي. كيف كانت حال مدللة رسول الله؟ كيف حالك يا مولاتي يا زهراء في ذلك اليوم؟ كأنك تحنين وتئنين لا يسكن قلبك ولا يهدأ دمعك ليلاً ولا نهاراً كأني بها..

آه.. يللي تهيلون الثرى دفنوني وياه ... ما أقدر أشوف البيت خالي من محياه

صعبة ترى العيشة بلا اياه ... بعد النبي ما أريد هاي الدنيا الدنية

وبيوم ماجت السبع السموات ... بسابع سماء جبرائيل نادى المصطفى مات

(١) سورة الضحى، الآية: ٥.

الله يـعـظـم إلـك الأجـر يـا عـلـي مـأجـور بـالـمـخـتـار يـا داحـي الـبـواب

الله أكبر النبي قبضت روحه ورأسه في حجر أمير المؤمنين، عادة الذي يموت يكون أعزّته من حوله. أمه أبوه أخوه أولاده فالنبي كان رأسه في حجر أمير المؤمنين، والسيدة الزهراء كان رأسها في حجر أمير المؤمنين، وأمير المؤمنين كان رأسه في حجر الحسن عليه السلام، أما الحسن فكان رأسه في حجر أخيه الحسين عليه السلام، لكن حرّ قلبي لأبي عبد الله من حضر عنده وأخذ برأسه نعم بقي خده على وسادة من التراب.

بعد ذلك قام أمير المؤمنين بتغسيل النبي وتكفينه والصلاة عليه ولكن ليته كان حاضراً يوم عاشوراء ليأخذ بتجهيز ولده الحسين عليه السلام، أمير المؤمنين كفن رسول الله بثلاثة أكفان ليت كفن من هذه الأكفان كُفِّن به الإمام الحسين عليه السلام، بأبي وأمي بقي مسلوباً عارياً. نعم كان له كفن من التراب كان له كفن من الدماء وكان له كفن آخر من السهام، وتلك الحصيرة التي وضعه عليها الإمام زين العابدين عليه السلام كانت كفنه الرابع.

بعد ذلك صلى أمير المؤمنين على جثمان النبي صلى الله عليه وآله ولكن حرَّ قلبي عليك يا أبا عبد الله الحسين بأبي وأمي بقي ثلاثة أيام مطروحاً على وجه التراب ولم يأت إليه من ينادي للصلاة عليه، روحي فداه مات مظلوماً غريباً نعم صلّت على جثمانه الطاهر سيوف القوم..

تقول إحدى الروايات أن رسول الله كان يخرج إلى شعاب مكة يدعو الناس إلى عبادة الله فأقبل أمير المؤمنين إلى منزل رسول الله صلى الله عليه وآله فسأل عنه خديجة فلم تعلم مكانه فقال: يا خديجة إحملي معك ماءً وطعاماً. ثم أقبلت مع أمير المؤمنين حتى خرجا من مكة فقال لها يا خديجة أنت إبحثي في الوادي وأنا أبحث في الجبال لعلنا نجده فوضعت خديجة يديها على رأسها

وجعلت تجول في الوادي وهي تنادي يا محمداه يا رسول الله يا حبيب قلباه في أي وادٍ أنت ملقى يا حبيب الله وكان رسول الله ﷺ على رأس جبل وعنده جبرائيل فنظر جبرائيل إلى خديجة وقال يا رسول الله هذه خديجة نادِها إليك فلقد بكت لحالها ملائكة السماء فناداها رسول الله فأقبلت نحوه فلما رأته بتلك الحالة مضروب بالحجارة، الدماء تسيل من قدميه رمت بنفسها عليه. أقول هذه خديجة أبكت الملائكة لحالها مع أنها ليست وحيدة معها أمير المؤمنين ورسول الله ينظر إليها، أنا لا أدري كيف كانت حال الملائكة لما خرجت زينب سلام الله عليها يوم عاشوراء تجول في وادي كربلاء واضعة عشرة أصابع على رأسها وهي تنادي يا جداه يا رسول الله صلى عليك مليك السماء. هذا حسينك بالعراء مقطع الأعضاء مضرجاً بالدماء مذبوحاً من القفا مسلوب العمامة والرداء. . . .

آه . . يا جدي قوم شوف حسين مذبوح وعلى التربان جسم حسين مطروح

يا جدي ما بقى لحسين من الطعن روح وأنا زينب أصيح خوية يا مذبوح

نعم أبكت لحالها الأعداء وهي تركض في صحراء كربلاء تتخطى القتلى إلى أن وصلت إلى أخيها . .

آه . . يا ناس درب المشرعة منين دلوني على إخوتي عباس وحسين

ناداها يا زينب أنا حسين يا زينب أنا حسين

آه . . لو خيروني يا حبيبي بقيت وياك أقعد على قبرك يا نور العين وأنعاك

لكن لو ظليت من يبر ليتاماك لو حدى الحادي وضربهم بالسياط

* * *

صبروا يا كربلاء ما جزعوا وعن الماء جميعاً منعوا

آل طه أيّ جرم صنعوا كم على تُربك لما صُرّعوا

من دم سال ومن دمع جرى

* * *

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلِ على محمد وآل محمد وقنا منك واحفظنا بك ولا تباعدنا عنك إن من تقيه يسلم، ومن تهده يعلم، ومن تقربه إليك يغنم . . اللهم صلِّ على محمد وآل محمد واكفنا حدّ نوائب الزمان وشرّ مصائب الشيطان ومرارة صولة السلطان يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



النفحة الثانية

مجلس الصدّيقة فاطمة الزهراء

سلام الله عليها



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك سيدي ويا مولاي يا رسول الله، صلى الله عليك وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك سيدي وعلى قرّة عينك وحبيبتك فاطمة الزهراء المكسور ضلعها، المسقط جنينها، المغصوب حقها، المخفي إلى الآن قبرها لعن الله ظالميكِ ولاطميكِ يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

يا زائراً أرضَ البقيع وصيةً ... عني تقبّل تربةَ الزهراءِ
فإذا تشابهت القبور بعطرها ... فتتبع التعريف بالأرزاء
كل الأئمة حولها قد غُيّبوا ... بالسم وهي بغصّةٍ وبلاء
عفّر خدودك بالتراب فربما ... أفضى إليك بفاجع الأنباء
قبر البتولة لو شممت ترابه ... أشجاك صوت مفعم ببكاء
أبتاه قومك ما وفوا بوصيةٍ ... أبتاه بعدك أيتموا أبنائي
كسروا ضلوعي والجنين بعصرةٍ ... قد أسقطوه ولوعوا أحشائي

* * *

سيدي يا صاحب الزمان إنك ما سمعت يوماً بذكر أمك فاطمة سلام الله عليها إلا وانهمرت دموعك على خديك، علّك بيننا سيدي تسمعنا فلك منا كل العزاء.

لله صبرك يا بقية أحمد تبكي دما بدل الدموع لفاطمة
فتجيبك الزهراء أي بني ما زلت في لحدي بني متألمة

لسان حال إمام الزمان :

آه . . . ألا يا أمي الزهراء أنا في حالك أدرى
لأني صاحب الأمر بصدري أحمل الصبرا
ولكن فتني صبري وعين لم تزل عبرى
لذلك الضلع والكسر وهذه مهجتي تكوى بجمر الباب والنار
آه . . . متى تظهر يا راعي الثار متى نورك يشع عالكون
وتصيح ضلع أمي الزهراء مين كسّره وهيّج مصابها
مين غصب حقها وطرحها الجنين مين لطم خدها والجبين



قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز الحكيم: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1].

كما ورد عن رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وعترتي أحب إليه من عترته . . .**»[2] إن جوهر وروح الإنسان اللّذان يحركانه هما الحب والعشق. فعندما يحب المرء شيئاً أو شخصاً يسعى لأجله. وبمقدار ما يكون حبه لهذا الشخص بمقدار ما يكون مستعداً لأن يضحي ويقدّم من أجله، ولأن الإنسان لا يحب ولا يتعلّق إلا بمن يراه ويعتبره كماله والغاية التي يصبوا إليها، فالمحبوب يمثّل الشيء الأكمل والأمثل للحب والعشق. وإن الكثير من الناس رأوا في الدنيا محبوبهم ومعشوقهم وظنوا أنها الكمال والسعادة المطلقة وذلك لأنهم نظروا بإحدى عينيهم. فعندما يفتح الإنسان عيناً واحدة يرى نصف الحقيقة وهي الدنيا، وبالتالي فإنه سيعمل من أجل الحصول عليها لأنه يعتبرها كماله وسعادته المنشودة، وسيبذل الغالي والنفيس من أجلها. وأما إذا فتح كلتا عينيه فإنه سيرى كل الحقيقة، الدنيا والآخرة. وإذا كان نافذ البصيرة فسيجد بأن الدنيا وكل ما فيها إلى زوال وفناء لأن ما فيها ينفذ ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤.
(٢) الآمالي: للصدوق، ص٣٣٤.

بَاقٍ﴾[١] كما قال الله تعالى.

فعندها يعمل الإنسان لآخرته ويتوجه إلى ما هو باقٍ، عندئذ لا يتعلّق قلبه بما هو زائل ومحدود. وهذا لا يعني ترك الدنيا ولكن المطلوب هو عدم التوجه القلبي إليها ولو بمقدار شعرة واحدة، فكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**حب الله وحب الدنيا لا يجتمعان**»[٢] وكما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً**»[٣].

وعندما يتعلّق القلب بالآخرة فإنما يتعلق بأهلها وأمرائها، الذين هم أهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله عليهم أجمعين. وعندما يحبهم ويعشقهم يصل إلى الفناء بهم وبتجلّياتهم «**أسماؤكم في الأسماء وأجسادكم في الأجساد وأرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس وآثاركم في الآثار**»[٤] يعني يصبح الإنسان محباً وعاشقاً لأوليائهم وشيعتهم، ثم الأمثل فالأمثل. فالمحبة والعشق لهم عليهم السلام بالأصالة وأما لسواهم فهو بالتبعية وهذا هو قوله عليه السلام: «**لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهلي أحب إليه من أهله وعترتي أحب إليه من عترته**» إذاً، الحب الحقيقي الذي فطرنا الله على أساسه هو حبهم عليهم السلام والذي من خلاله يعتبر الإنسان مؤمناً، ويتحقق عنده الإيمان «لا يؤمن عبد . . .» وبالتالي فإن الكفر هو بغضهم سلام الله عليهم، فكما قال رسول الله: «**يا علي حبك إيمان وبغضك كفر**»[٥] وإن من تمام الإيمان التبرؤ من أعدائهم فكما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**كذب من ادعى**

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٦.
(٢) مستدرك الوسائل: ج١٢، ص٤٢.
(٣) مستدرك الوسائل: ج١، ص١٤٦.
(٤) في الزيارة الجامعة الكبيرة.
(٥) بحار الأنوار: ج٣٩، ص٤٢.

محبّتنا ولم يتبرّأ من عدوّنا»[١] وذلك لأن رضاهم عليهم السلام هو رضى الله، كما قال رسول الله: «**فاطمة يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها**» وإذا تأملنا في هذا الحديث نجد أن الله يرضى لرضا فاطمة سلام الله عليها. يعني أن الله يرضى لمن رضيت عنه فاطمة سلام الله عليها ويغضب عمن غضبت عليه. فمعيار رضى الله علينا هو رضى الزهراء سلام الله عليها. وإذا أردنا أن نعرف إذا كان الله راضٍ عنا أم لا، فلننظر هل فاطمة راضية عنا أم لا. وقد قال الله تعالى في سورة الممتحنة، وهي سورة خاصة بالسيدة الزهراء سلام الله عليها لأنها هي الممتحنة، وقد ورد ذلك في زيارتها: «**السلام عليك يا ممتحنة**».

قال عزّ من قائل في هذه السورة المباركة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[٢] حيث يدعونا للبراءة من أولئك الذين غضب الله عليه، وأينما كان هناك غضب إلهي فهو ناتج عن غضب الزهراء سلام الله عليها. وقد جاء في الخبر: «**إن أمّنا فاطمة كانت صدّيقة ابنة نبي مرسل وماتت وهي غضبى على قوم فنحن غضاب لغضبها**»[٣]. فإذا كنا ندّعي أننا من شيعة أهل البيت ينبغي أن نغضب لغضبهم، وأن نتحقق في هذه الآية التي نرددها عشر مرات في اليوم، في كل صلاة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[٤] فنحن نطلب من الله أن لا نكون من الذين غضبت عليهم الزهراء سلام الله عليها. وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**نفس المهموم لظلمنا تسبيح وهمّه لنا عبادة**» فإن هذا

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٧، ص٥٨.
(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١٣.
(٣) بحار الأنوار: ج٢٨، ص٣١٦.
(٤) سورة الفاتحة، الآيتان: ٦ ـ ٧.

النفس تسبيح لأنه يُسبِّح آلام ظلمهم ومظلوميتهم وهذا الهم عبادة لأنه همهم عليها السلام، وهذا لا يحصل إلا إذا صار هناك اتصال ملكوتي بين العاشق والمعشوق. وأما عن جزاء المحب لهم فيحدثنا جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «**والله يا جابر (إنها فاطمة الزهراء سلام الله عليها) ذلك اليوم (يعني يوم القيامة) لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديّ، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة، يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا فإذا التفتوا يقول الله عز وجل: يا أحبائي لما التفاتكم وقد شفّعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟ فيقولون: يا رب، أحببنا أن يُعرف قدرنا في مثل هذا اليوم. فيقول الله: يا أحبائي إرجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، إنظروا من أطعمكم لحب فاطمة، إنظروا من كساكم لحب فاطمة، أنظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، أنظروا من ردّ عليكم غيبة في حب فاطمة، خذوا بيده وأدخلوه الجنة. قال أبو جعفر عليه السلام: والله لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق**»[1] فإن أي شيء ينفق من أجل المحبوب يوصل إلى مقامات عالية جداً وإن كان المحب لا يطلب شيئاً ولا يسعى للوصول إلى شيء سوى محبوبه والنظر إليه والجلوس معه. فالعاشق لا يريد إلا النظر إلى وجهه تبارك وتعالى. ولو أعطوه الجنان والحور العين والقصور فإنه لا يختار على الجلوس مع محمد بن عبد الله أو الحسين بن علي وفاطمة والحسن وأمير المؤمنين عليهم السلام أحداً أو شيئاً آخر.

هلموا ندخل إلى دار فاطمة سلام الله عليها لنقف على الباب المحروق هذا الباب الذي ما أتانا منه سوى الغصص والآلام، لنرى بعين القلب ما

---

(١) تفسير فرات: ص٢٩٨.

جرى على مولاتنا الزهراء سلام الله عليها، لقد اجتمع اللعين مع جماعته وعمدوا إلى بيت الزهراء سلام الله عليها ونادى: إفتحوا الباب وإلا أحرقته عليكم. قالوا له: إن في الدار فاطمة! قال: وإن الله أكبر كيف تجرؤوا عليك يا بضعة الرسول. قامت الزهراء سلام الله عليها تكلّمهم علّهم يراعوا فيها أباها، فوقفت وراء الباب، لكن اللعين أضرم النار في الحطب، وأحرقوا الباب فأخذت النار مأخذها من فاطمة سلام الله عليها. ثم دخلت ثلة من المنافقين وسحبوا أمير المؤمنين مقيداً من داره والزهراء سلام الله عليها خلف الباب، يقول اللعين: نظرت إلى الدار لم أرَ فاطمة فأحسست أنها وراء الباب، فركلت الباب بقوة وأخذت السوط من قنفذ لعنه الله وضربتها به حتى آلمها ذلك وسمعت لها زفيراً وبكاءً فكدت أن ألين لولا أني تذكرت أحقاد علي وولوغه في دماء صناديد العرب وكيد محمد وسحره، فعصرتها بين الحائط والباب. (وكان في الباب مسمار، فاغتزّ المسمار في صدرها حتى مزّق أحشاءها وكسر ضلعها وأسقط جنينها) وسمعتها تقول: يا أبتاه يا رسول الله هكذا كان يفعل بحبيبتك وابنتك.

آه . . لك يا ريحانة رسول الله

قمت للباب لكن ما عليّ حجاب ... حس بيّ الرجس من لذت خلف الباب

عصرني وسقط المحسن وصدري انصاب ... وكسر ضلعي وجنيني آيست منه

كان للزهراء سلام الله عليها عدة استغاثات. الإستغاثة الأولى بأباها رسول الله ﷺ حيث نادته أبتاه يا رسول الله هكذا كان يُفعل بحبيبتك وقرّة عينك فاطمة.

والإستغاثة الثانية كانت ببعلها أمير المؤمنين عليه السلام:

آه . . صرخت الزهراء :

يا علي يضربوني يا علي يضربوني إجوني وأنا أسقط يا علي وترى متوني

تقله يا داحي باب خيبر ماني بضعة الرسول ضلعي انكسر بالباب ودمعي سيول

جنيني صار متعفّر بالعتاب ويقول يا بوي يا علي قطعت بيّ

انهض يا بطل مسماري بالصدر شوف حالتك ما أقدر على الصبر

محسن يا علي بدمو منعفر

أما الاستغاثة الثالثة بفضة رضوان الله عليها قائلة : يا فضة إليك فخذيني وإلى صدرك فضميني فقد والله أسقطوا جنيني . أقبلت فضة ، رأتها بتلك الحالة المسمار في صدرها والدماء تسيل منها . التفتت الزهراء (عمن تبحثين سيدتي؟) رأت أمامها أم المصائب زينب سلام الله عليها قالت : بنية أين أبوك علي؟ ماذا تجيبها زينب سلام الله عليها؟ أماه لقد سحبوه من الدار . كأني بفاطمة سلام الله عليها استغاثة بصاحب الزمان عليه السلام قائلة : يا فارس الحجاز أدركني يا أبا صالح المهدي أدركني .

تقول الروايات أن مولاتنا الزهراء سلام الله عليها ظلّت بعد هذه الحادثة مريضة عليلة معصوبة الرأس ممددة على فراشها إلى يوم شهادتها ، حيث صارت توصي أمير المؤمنين ، ولسان حالها :

يا أبا الحسن أنا ريد أوصيك وصية أول وصية نعشي لا يحضرونه

وجسمي بظلام الليل تدفنونه وقبري يا أبا الحسن لا يعرفونه

عالمغتسل لا تغسلني يا حيدر

بعد هناك وصية أخرى من الزهراء سلام الله عليها . .

بهداي تقلّبني ترى ضلعي تكسر وبالك يا أبا الحسن على الأيتام

على زينب حسن وحسين

تقول الروايات أنه في يوم شهادتها سلام الله عليها عمدت إلى ولديها الحسن والحسين عليهما السلام فغسّلت رأسيهما وقالت لهما: ولدي يا قرة عيني، إمضيا إلى قبر جدكما رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم بعد ذلك تقدّمت من أسماء: يا أسماء إني داخلة إلى هذه الحجرة أصلي وأقرأ القرآن فإذا سمعت صوتي وإلا فاعلمي أني قد لحقت بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله. دخلت الزهراء سلام الله عليها إلى غرفتها تقرأ القرآن آية بعد آية، وأسماء تستمع إلى صوتها، وبينما هي كذلك وإذا بصوت الزهراء سلام الله عليها قد خمد. تقدّمت أسماء من الباب نادت: يا زهراء، لم تجبها. تقول: ناديتها يا أم الحسن، لم تجبني. يا أم الحسين، لم أسمع جواباً. فدخلت إلى الغرفة وإذا بفاطمة ممددة نحو القبلة، الرداء على وجهها، كشفت الرداء عنها حرّكتها فلم تتحرك وإذا بفاطمة قد فارقت روحها الدنيا . . .

آه . . . بنت النبي ماتت بعلّتها أليمة آجرك الله يا علي بهاي المصيبة

مكسورة الأضلاع يا حزنك عليها دهرك فجعك بالنبي واليوم بيها

تقول أسماء: فبكيت وبقيت متحيرة ماذا أقول للحسن والحسين، بينما أنا كذلك وإذا بالحسنان قد عادا وصاحا: يا أسماء أين أمنا فاطمة سلام الله عليها؟ فقلت: يا سيداي إن أمكما نائمة قالا: يا أسماء ما الذي ينيم أمّنا في مثل هذه الساعة. دخل الحسين إلى أمه رمى بنفسه عليها . . أماه كلميني أنا حبيبك الحسين، أنا عزيزك أبو عبد الله، لما لم تجبه نادى: أخي يا أبا محمد يا حسن عظم الله لك الأجر بأمنا الزهراء فقد ماتت . .

يمه بقينا بعدك يتامى يمه الدهر صابنه بسهامه

والليل بعدك ما ننامه

فمضى الحسنان عليهما السلام إلى المسجد وهما يبكيان، فاستقبلهما الناس وقالوا: ما يبكيكما يا ابني رسول الله؟ لعلكما رأيتما مكان جدكما خالياً فبكيتما؟ فقالا: لا ولكن ماتت أمنا فاطمة سلام الله عليها. لما سمع أمير المؤمنين عليه السلام بالخبر سقط على الأرض مغشياً عليه وهو ينادي: بمن العزاء بعدك يا بنت محمد صلى الله عليه وآله؟ أقبل علي إلى الدار، دخل غرفة الزهراء سلام الله عليها جلس عندها، أخذ رأسها وضعه في حجره، راح يخاطبها: يا زهراء كلميني، يا بنت محمد المصطفى كلميني، يا بنت من صلى بملائكة السماء كلميني، وهي لا تجيب. عندها صاح: يا زهراء كلميني فأنا ابن عمك علي صارت تتحادر دموع علي عليه السلام على خديه ومنه إلى وجه فاطمة سلام الله عليها فعند ذلك فتحت عينيها قائلة أنا لم أُظلم كما ظلمت أنت يا علي فأنت أول مظلوم. تقول الرواية لما سمع الناس بالخبر، وكان وقت الغروب، أقبلوا إلى دار علي عليه السلام ليشاركوه في دفن الزهراء سلام الله عليها، فخرج إليهم أبو ذر وقال: لقد تأجّل دفن مولاتنا إلى يوم غدٍ، ثم وضعها علي عليه السلام على المغتسل. جلس عندها وصار يرسل دموعه وبينما هو يغسلها إذ اعتزلها ناحية وصار يبكي، الحسن عليه السلام عن يمينه، والحسين عليه السلام عن شماله وزينب سلام الله عليها بين يديه. قالت أسماء: سيدي أكمل غسلها وابكِ بعد ذلك لفراقها. قال: يا أسماء بينما أغسّل فاطمة، مرّت يدي على ضلع من أضلاعها فوجدته مكسوراً ولم تخبرني بذلك حتى لا يشتدّ ألمي، سيدي يا علي هذا ضلع من أضلاع الزهراء سلام الله عليها مكسور ولم تتحمل فكيف بك سيدي لو رأيت ولدك الحسين مكسور الأضلاع من حوافر الخيول.

ضلع واحد ما قدرت يا حيدر تشوف شلون حالك لو أنك تحضر بالطفوف

تشوف جسمه شلون وزعتها السيوف

ثم نادى: بني حسن، بني حسين، يا زينب يا أم كلثوم تزوّدوا من أمكم فاطمة إنه الوداع واللقاء في الجنة. أقبل الحسن يقبّل خديها والحسين يقبّل جبينها ويقول: أماه كلّميني قبل أن تفارق روحي بدني، أماه أبلغي جدنا رسول الله عنا السلام وأخبريه أننا صرنا بعدك يتيمين غريبين

يقول علي: رأيت فاطمة سلام الله عليها أنّت وحنّت وأخرجت يديها من الكفن وضمّت الحسنين إلى صدرها، وإذا بالصوت من السماء، يا علي نحِّ الحسنين عن أمهما فقد أبكيا ملائكة السماء.

وكأني بالإمامين الحسنين سلام الله عليهما:

حاكيني يا يمة وجاوبيني ياهو خلاف عينك يسليني

يصبّرني وينشف دمع عيني ويداوي صواب قلبي المجروح

حُملت جنازة الزّهراء سلام الله عليها إلى البقيع ودفنها أمير المؤمنين عليه السلام ثم عاد أمير المؤمنين إلى الدار قبل طلوع الفجر، فلما أصبح الصباح جاء الناس جماعات واجتمعوا على باب دار أمير المؤمنين عليه السلام، يتقدّمهم اللعين الأول والثاني، فخرج إليهم المقداد قال: أيها الناس انصرفوا إن ابنة رسول الله دُفنت البارحة. فغضب عمر لعنه الله والتفت إلى أبو بكر وقال: ألا ترى علياً وحسده لنا وبغيه علينا؟ ألا تراه كيف دفن ابنة رسول الله ليلاً وسرًّا وحرمنا من الصلاة عليها ومن تشييع جنازتها؟ فالتفت إليه المقداد وقال: لا يا عمر، إن الأمر ليس كما ذكرت، وإنما قد أوصت فاطمة علياً أن

يدفنها ليلاً لئلا تحضرا أنتما جنازتها، ولا تشهدا الصلاة عليها لأنها ماتت وهي ساخطة عليكما. فاشتدّ غضب عمر من كلام المقداد، وأخذ العصا وجعل يضرب المقداد على رأسه وظهره والمقداد مطرق برأسه إلى الأرض إلى أن تعب عمر من الضرب، فرفع المقداد رأسه وقال: إضرب يا عمر، فإني لست بأجلّ من سيدتي فاطمة الزهراء بنت رسول الله سلام الله عليها، ألم تضربها حتى كسرت ضلعها وأسقطت جنينها ولطمت عينها؟، يا عمر أضربني كما كنت تضرب فاطمة بنت محمدﷺ، ألم تعصرها بين الحائط والباب حتى مزّق المسمار أحشاءها؟ ولقد دفنها عليعليه السلام البارحة والدم يجري من ضلعها المكسور.

من ضرب العصا ما ضل حال إلها ولا ضل حيل لما ماتت بغضتها يا ويلي ولا يفيد الويل

غسّلها علي بيده وكفنها ودفنها بليل ورد بس يجذب الحسرة ويتوسف عليها

وكان أمير المؤمنينعليه السلام كل يوم يذهب إلى قبرها، يجلس عندها كما هي أوصته. وفي ليلة من الليالي سمع صوت من داخل القبر يقول: إرجع يا علي للدار. فلما رجع أمير المؤمنين وجد زينب سلام الله عليها على عتبة الباب جالسة والدموع تنهمر على خديها، وهي تنظر إلى المسمار وتقول: يا مسمار، كيف رأيت صدر أمي فاطمة؟ يا مسمار كيف اغتزّيت في أحشاء أمي فاطمة؟

يا حيدر بالله زينب روح ليها ونشّف دموعها وصبّر عليها

أخافن على بنتي من بكيها تموت ومين يباري عيال حسين

* * *

ويل لقوم حاربوا ابنة أحمد هتكوا حماها قبل دفن محمد

فـغـدت تـنـادي بـقـلـب مـكـمـد أيَّ الـرزايـا أتـقـي بـتـجـلّـدي

هـو فـي الـنـوائـب مـا حـيـيـت قـريـنـي

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد . .

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد . . اللهم إني أعوذ بك من سوء الولاية لمن تحت أيدينا، وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا، أو أن نعضد ظالماً، أو نخذل ملهوفاً أو نروم ما ليس لنا بحق، أو نقول في العلم بغير علم بحق محمد وآله الطاهرين وصلى الله على محمد وآل محمد.



النفحة الثالثة

مجلس الإمام أمير المؤمنين علي عليه السّلام



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله صلى الله عليك وعلى آلك المقتولين المسمومين، صلى الله عليك سيدي وعلى وصيك وحبيبك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك يا مولاي يا أمير المؤمنين يا وليد الكعبة وشهيد المحراب لعن الله الظالمين لكم يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

يا حبيبي يا علي بن أبي طالب. سيدي ومولاي يا أمير المؤمنين هل تسمح لمسكين وقف عند بابك يرجو الزلفة لديك؟ مولاي يا علي، إن هذه الأيام هي أيام شهادتك مولاي، كنت أبحث عن مكان يعقد فيه عزاء لك فلم أجد، كنت أبحث عن محب يبحث عن مأتمك فلم أجد، كنت أبحث يا سيدي عن موالٍ قد مات بغصّته فلم أجد، مولاي أين هم شيعتك حتى أقتدي بهم؟ أين هم محبّوك يا سيدي حتى أحذو حذوهم؟ سيدي يا أمير المؤمنين، كانت فاطمة سلام الله عليها تطوف حول بيوت الموالين تسألهم: ألا تريدون أن تعقدوا العزاء على بعلي علي والذي قد سماه الله علياً؟ شيعتي إلى أين تذهبون وأي مجالس تجلسون؟ ألستم تقولون أنكم شيعتنا؟ ألستم تنسبون أنفسكم لنا؟ مالي لا أرى دموعكم تجري؟ مالي لا أرى مآتمكم تعقد؟ مالي لا أرى نحيباً وأنيناً على مولاكم علي أم أنني أتيت للمكان الخطأ أم أنكم لستم شيعتي؟. أم أنكم فقط تطرقون أبوابنا لنقضي حوائجكم وننظر إليكم وأنتم لا تواسونا بمصائبنا.

مولاتي يا زهراء نستميحكِ العذر، سيدتي أتينا في هذا اليوم مطأطئين

الرؤوس. مولاتي أنا أدري أنه لو مات لنا عزيز لعقدنا له المآتم حتى الأربعين ولكن سيدتي ها هي أيام شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ولم نعقد العزاء عليه إلا يوماً أو يومين مولاتي أسألك؟ ما هو حال صاحب الزمان عليه السلام الذي يطوف من بيت إلى آخر ومن مكان إلى آخر فلا يجد عزاء على جده أمير المؤمنين علي؟ سيدي ومولاي يا صاحب الزمان عظم الله لك الأجر بشهادة جدك أمير المؤمنين قسيم الجنة والنار مولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام. جئناك سيدي نشاركك العزاء والبكاء ونطيل العويل والنحيب والنشيج فاليوم نبكي معك سيدي على زينب ويُتمها، مولاي يا قائم آل محمد نقسم عليك بحق علي المرتضى أن تنظر إلينا وتمسح بيدك على قلوبنا وترحمنا.

هلموا لكي نكفّر عن ذنوبنا ونجري دموعنا على خدينا ونساعد فاطمة سلام الله عليها:

ألا يا عين جودي واسعدينا ... ألا فابكي أمير المؤمنينا

وابكي خير من ركب المنايا ... وفارسها ومن ركب السفينا

ومن صام الهجر وقام ليلاً ... وناجى الله رب العالمينا

إمام صادقٌ برّ تقيٌ ... فقيهٌ قد حوى علماً ودينا

وبات على الفراش يقي أخاه ... ولم يعبأ بكيد الكافرينا

مضى بعد النبي فدته نفسي ... أبو الحسن وخير الصالحينا

إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر راعَ الناظرينا

وكنا قبل مقتله بخير ... نرى المولى رسول الله فينا

فـــلا والله لا أنـــســـى عـــلـــيـــاً وحـــســـن صـلاتـه فـي الـراكـعـيـنـا

ألا أبـلـغ مـعـاويـة بـن حـرب فـلا قـرّت عـيـون الـشـامـتـيـنـا

وقـل لـلـشـامـتـيـن بـنـا رويـداً سـيـلـقـى الـشـامـتـون كـمـا لـقـيـنـا

أفـي شـهـر الـصـيـام فـجـعـتـمـونـا بـخـيـر الـخـلـق طـراً أجـمـعـيـنـا

* * *

آه . . ألف وسفة على حامي الجار تنصاب ودم الـراس بـالـمـحـراب يـنـصـاب

الـمـآتـم إلـه بـيـوم الـعـيـد تـنـصـاب الأنـس والـجـان نـصـبـت لـه عـزيـة



ورد عن الرسول الأكرمﷺ: **«إن لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها ولا تعرضوا عنها»**[١].

إن هذه الأيام بما تحمله من حقائق وعبر ومعاني هي بمثابة نفحات إلهية قد أطلّت علينا وأُفيضت علينا من الذات القدسية جلّ وعلا.

وإن كُلاً منّا يتعرّض لهذه النفحات بقدر حبه وعشقه ومعرفته، أو كما يقولون بقدر ظرفيته الوجودية. ومن المعلوم أن الذي يجعلنا نَقبل ونتحقق ونعاين هذه النفحات، هو بُعدنا عن الدنيا وزهدنا فيها وترك التعلق بأي شيء من حُطامها وعدم التوجه إلى أنفسنا وأنيتنا وأنانيتنا:

بيني وبينك إنيَّ ينازعني ... فانزع بلطفك إنيّي من البين

فالذي يحجبنا عن هذه النفحات الإلهية إنيتنا لا غير، ونزع هذه الإنية لا يتم إلا بلطف الله وهو الولاية لأهل البيتعليهم السلام، والحسرة والندامة عندما نموت ويصبح بصرنا حديد ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٢] نرى عند ذلك حقيقة ما كان يجري من حولنا ونحن غافلين عنه. فنرى أنّ فاطمة الزهراء سلام الله عليها حقيقةً كانت تجلس في كل مجلس يقام على ولدها الحسينعليه السلام، ونحن لم نكن متيقنين من ذلك ومصدّقين به، وعندها تقع الحسرة وحينها لا ينفع الندم، فكل شيء قد انتهى ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾[٣] فقد

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٨، ص٢٢١.
(٢) سورة ق، الآية: ٢٢.
(٣) سورة الطارق، الآية: ٩.

بانت وظهرت حقائق الكل والسبب بيّنه الرسول الأكرمﷺ بقوله: «**لولا أن الشياطين يحومون حول قلب ابن آدم لنظروا الملكوت**»[١].

وكيف لا تريدون من الشياطين أن تحوم حول قلوبنا ونحن معرضون عن آل محمدﷺ بل نستغيب شيعتهم ونتحدث عنهم بالسوء ونظهر عيوبهم، وهذا ليس إلا بسبب أننا قد شغفنا بحب هذه الدنيا وزينتها، ولكن إلى متى سنبقى راضين بذلك؟

وبالنتيجة فنحن لن نتمكن من رؤية ملكوت السماوات والأرض، ولن نتمكن من رؤية محمد وآله الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين. لماذا؟ ذلك لأن صورتنا صورة إنسان وقلوبنا كقلب الحيوان كما قال أمير المؤمنينعليه السلام: «... **فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان**»[٢]، أو لأننا ممن تنطبق عليهم الآية القرآنية ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٣]. أيها الموالي نحن لم نخلق من أجل الطعام والشراب والملبس والزواج، إنما خلقنا لأجل الحقيقة التي ينبغي أن نتصل بها في الدنيا وهي محمد وآل محمد معراجنا ووسيلتنا إلى الله.

لهذا ينبغي أن نهيئ زادنا للسفر إلى الملكوت الأعلى الذي نزلنا منه وسنعود إليه ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٤]، على أن يكون زادنا كثيراً وكبيراً كما قال عليعليه السلام: «**تزوّدوا فقد نودي فيكم بالرحيل آه من قلّة الزاد آه من بعد السفر**»[٥]، فهنيئاً لمن كان زاده عشق علي بن أبي طالب وفاطمة بنت محمد

(١) عوالي اللآلي: ج٤، ص١١٣.
(٢) بحار الأنوار: ج٢، ص٥٦.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.
(٥) أعلام الدين: ص١٥٠.

وأبنائهم الميامين عليهم السلام . هنيئاً لمن لا يحمل في زاده سوى الفناء في الحسين بن علي عليه السلام وولايته ومحبته وعشقه وبغض أعدائهم .

وعندها يُظهر الله محبته لهذا الموالي المحب ويوفّيه حسابه، كما ورد في الحديث القدسي عن الله عزّ وجل: «**يا محمد إني آليت على نفسي على أنه من أحببته قذفت في قلبه حب علي بن أبي طالب عليه السلام**»، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**عنوان صحيفة المؤمن حب علي ابن أبي طالب**»[١] وبالتالي بغض أعدائه .

فالمؤمن فقط هو من يستطيع أن يحب علي بن أبي طالب عليه السلام : «**يا علي حبك إيمان وبغضك كفر**»[٢] وأما غير المؤمن فلا يحبه، وأما المؤمن الممتحن فهو الذي يصفه أمير المؤمنين عليه السلام لسلمان وجندب قائلاً: «**المؤمن الممتحن هو الذي لا يرد إليه من أمرنا شيء إلا وانشرح صدره لقبوله ولم يشك ولم يرتاب**»[٣] .

لذا من أراد أن يعرف أنه مؤمن أم لا، فليعرض على قلبه ولاية ومحبة أمير المؤمنين عليه السلام وليرى حاله وتسليمه لذكر فضائل ومناقب علي عليه السلام ، فإن قبلها فهنيئاً له إيمانه، وإلا فليسأل أمه عن أبيه كما جاء في الخبر بسند معتبر قد رواه السنة والشيعة «**لا يبغضك يا علي إلا ابن زنى أو ابن حيض**»[٤] .

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٧، ص١٤٢ .
(٢) بحار الأنوار: ج٢٩، ص٤٢ .
(٣) الهداية الكبرى: ص٤٣١ .
(٤) وسائل الشيعة: ج٢، ص٣١٩ .

ومعلوم أن هذا الحب هو مسألة تكوينية لا تشريعية، والموالي لا يستطيع أن يتخلّى عنها. لذلك يقول الإمام علي عليه السلام: «**لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ولو صببت الدنيا بحذافيرها على الكافر ما أحبني**»(١). وهذه المحبة لا يعطيها الله إلا لخير الخلق وهي، كما ورد، تصيب الجنين في بطن أمه.

ورد في الخبر أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سُئل بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج؟ فقال صلى الله عليه وآله: «**خاطبني بلغة علي بن أبي طالب عليه السلام فألهمني أن قلت: يا رب خاطبتني أنت أم علي؟! فقال تعالى: يا أحمد أنا شيء لا كالأشياء، لا أقاس بالناس ولا أوصف بالشبهات، خلقتك من نوري وخلقت علياً من نورك واطّلعت على سرائر قلبك فلم أجد في قلبك أحب إليك من علي بن أبي طالب فخاطبتك بلسانه كي يطمئن قلبك**»(٢).

يقول الشاعر:

ولايتي لأمير النحل تكفيني ... عند الممات وتغسيلي وتكفيني

وطينتي عجنت من قبل تكويني ... بحب حيدرة كيف النار تكويني

لا عذب الله أمي إنها شربت ... حب الوصي وغذتنيه باللبن

وكان لي والدٌ يهوى أبا حسن ... فصرت من ذي وذا أهوى أبا حسن

وكان رسول الله يقول مراراً وتكراراً أن «**النظر إلى علي عبادة وذكره**

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٤، ص٥٠.
(٢) القطرة.

عبادة ولا يقبل الله إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه»[1] فلا يستكمل الإيمان إلا بالولاية والبراءة معاً.

وفي رواية أخرى أنه قال: **«أيها الناس من أراد أن يطفئ غضب الله وأن يقبل الله عمله فلينظر إلى علي فالنظر إليه يزيد في الإيمان، وإن حبه يذيب السيئات كما تذيب النار الرصاص»**.

ولنحط رحالنا عند هذه الرواية والتي تكشف لنا عن بعض الأسرار الولائية. ورد في الخبر عن أبي هريرة أنه قال: رأيت معاذ بن جبل يديم النظر إلى وجه علي عليه السلام فقلت له: إنك تديم النظر إليه كأنك لم تراه؟! فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **«النظر إلى وجه علي ابن أبي طالب عبادة»**.

وعنه أيضاً أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديثٍ له: .... **«ألا أخبركم بمن هو أعظم غنيمة وأعدّ له من خيرات محفوظة له في خزائن العرش، قالوا: بلى يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وآله: أنظروا إلى هذا المقبل إليكم. فنظروا فإذا رجل من الأنصار رثّ الهيئة.**

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن هذا لقد صعد له في هذا اليوم إلى العلو من الخيرات والطاعات ما لو قسّم على جميع أهل السماوات والأرض لكان نصيب أقلّهم منه غفران ذنوبه ووجوب الجنة له، قالوا: بماذا يا رسول الله؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: سلوه يخبركم عما صنع في هذا اليوم، فأقبل عليه أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وقالوا له: هنيئاً لك ما بشّرك به رسول الله، فماذا صنعت في يومك هذا حتى كُتب لك ما كتب؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٨، ص١٩٨.

فقال الرجل: ما أعلم أني صنعت شيئاً غير أني خرجت من بيتي وأردت حاجة كنت أبطأت عنها فخشيت أن تكون فاتتني فقلت في نفسي لأعتاضن عنها بالنظر إلى وجه علي بن أبي طالب».

فقال رسول الله ﷺ: «أي والله عبادة وأي عبادة. ثم التفت النبي إلى الرجل وقال: إنك يا عبد الله ذهبت تبتغي أن تكتسب لقوت عيالك ففاتك ذلك فاعتضت (أي عوّضت) منه بالنظر إلى وجه علي بن أبي طالب وأنت له محب، وبفضله معتقد وذلك خير لك من أن لو كانت الدنيا كلها ذهبة حمراء فأنفقتها في سبيل الله ولتشفعن بعدد كل نفس تتنفسه في مسيرك إليه في ألف رقبة يعتقهم الله من النار بشفاعتك»[1].

وعنه ﷺ أنه قال: «من أراد منكم حياة النجاة معي والسلامة من الفتن فليتمسك بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام».

وقد ورد أنه في يوم من الأيام نظر رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «يا علي مَثَلُك في أمتي كمثل قل هو الله أحد، من قرأها مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما ختم القرآن. فمن أحبك بلسانه فقد كمل ثلث الإيمان، ومن أحبك بلسانه وقلبه فقد كمل ثلثي الإيمان، ومن أحبك بيده وقلبه ولسانه فقد كمل الإيمان. والذي بعثني بالحق نبياً لو أحبك أهل الأرض كمحبة أهل السماء لما عذب الله أحد بالنار. يا علي بشرني جبرائيل عن رب العالمين فقال لي: يا محمد بشّر اخاك علياً أني لا أعذب من تولاه ولا أرحم من عاداه»[2].

---

(١) القطرة: الآمالي.

(٢) مشارق الأنوار: ص٥٦.

وقال ﷺ: «**لو اجتمع الناس على حب علي بن أبي طالب لما خلق الله النار**»[١]. فلو اجتمع الناس على هذا الحب لما خُلقتِ النار أصلاً.

زوجة مالك الأشتر، كل ليلة كانت تراه مستيقظاً حتى الفجر، وفي يوم من الأيام سألته لماذا تبقى مستيقظاً؟ قال: يا أمة الله أبقى مستيقظاً لعلّي أسمع صوت مناجاة علي بن أبي طالب من بين نخيل الكوفة، في كل ليلة كان يبقى مالك مستيقظاً علّه يسمع صوت مناجاة علي مع الله.

فهلموا نقف على أعتاب هذا المظلوم والغريب الأول، أسألكم بالله عليكم ألم تحنّوا إلى قبره؟ إذا كنا قد رأينا قبره ولم نعد نتحمل الفراق فكيف إن رأينا علياً عليه السلام؟.

ألا يوجد أحد يريد أن يسمع أنين فاطمة سلام الله عليها؟ ألا من أحد يريد أن يسمع صوت أنين زينب سلام الله عليها؟ أنين الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام على أمير المؤمنين عليه السلام؟...

سيدي يا صاحب الزمان أنت تنتظر أي متى نبدأ العزاء، ولكن سيدي كيف نبدأ وقلوبنا ليست متوجهة، سيدي أنظر إلينا، تلطف بنا نحن المساكين إلى الآن قلوبنا يا مولاي لم تتوجه، يعني لن نستطيع أن نجلس مع فاطمة سلام الله عليها ونبكي كبكائها، سيدي ما الذي فعلناه؟ ما الذي احتطبناه على ظهورنا حتى حرمنا من هذه المكرمة؟ سيدي يا علي لعلك عن بابك طردتني فقسا قلبي وجفّ دمعي؟ سيدي لعلك لم تجدني محباً لكم في السرّ والعلانية؟ لعلك لم تجدني باكياً في هذه الأيام؟ لماذا إلى الآن لم يرقّ قلبي ولم تذرف دموعي على خدّي؟ سيدي يا علي لعلك من مجلسك طردتني

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٩، ص٢٤٧.

وعن خدمتك نحيتني؟ لعلك مولاي لا تحب أن تسمع أنيني، لا تحب أن تسمع بكائي، لا تحب أن تسمع ونيني، **مولاي يا علي يا داحي الباب خليني بحق زينب أوصل لبابك وافنيني**. أقسم عليك يا مولاي يا أمير المؤمنين أن تأخذ روحي في هذا المجلس فهي لا تحيا بدونك. مولاي بحق زينب سلام الله عليها، سيدي لما العيش بالدنيا وأنا بعيد عنك؟ مولاي إن لم ترحمني فمن يرحمني غيرك؟ إن لم تنظر إليّ يا علي فمن ينظر إليّ غيرك؟ سيدي، مولاي بحبك عاش قلبي، وبحبك وبذكرك برّدت ألم الخوف عني. مولاي يا علي، ألن ترقَّ لحالي؟ مولاي أنت لا تردّ سائلاً عن بابك أنت لا تخيّب طالباً، من سألك أعطيته، ومن لم يسألك تفضّلت عليه. مولاي ها أنت تراني في هذا البلد يتخطّفني الطير من كل مكان، لا أجد خليلاً ولا أجد صديقاً ولا أجد محباً. مولاي نفسي عليّ وكل الناس عليّ، وما إن يسمعوا بذكرك على لساني حتى ينهالوا عليّ ضرباً، سيدي يا علي أي حبٍ وعشقٍ أنت يا مولاي؟ مولاي الشياطين علينا والناس علينا، مولاي ألن تسمح لنا بالدخول إلى محضرك؟ منذ مدة وأنا المسكين لم يصلني من ديارك رسول ولا سلام ولا خبر، سيدي يا علي ابن أبي طالب منذ مدة حرمت من الجلوس في محضرك، ولكن لست أدري لماذا، منذ مدة حرمت من تقبيل أعتابك يا علي. منذ مدة طويلة لم تر عيناي محرابك، يا علي منذ مدة طويلة وأنا أنتظر متى تسمح لي بالدخول إلى بيتك؟ متى تسمح لي بأن أدخل إلى المكان الذي غُسّلت فيه؟ أن أجلس في المكان الذي كان يجلس فيه الحسنين عليهما السلام؟ مولاي يا علي إن تركتني فمن ينصرني؟ مولاي يا علي إن تركتني فالناس يهينوني. مولاي، أقسم عليك برسول الله، بفاطمة، بضلعها المكسور، أقسم عليك بذلك المسمار الذي اغتزّ في صدرها ومزّق أحشاءها. يا أمير المؤمنين، مولاي إحضر إلى مجلسنا وامسح على قلوبنا

نحن اليتامى. سيدي بدمعة زينب وبأنين فاطمة الصغرى سلام الله عليهما أنظر إلينا يا مولاي، أقسم عليك بجلال الله سيدي يا علي.

سيدي يا أمير المؤمنين لن نقيم العزاء هذا اليوم حتى تحضر بيننا، لن نقيم العزاء حتى تحضر يا علي بن أبي طالب. تعال أنت وأقم العزاء على نفسك. مولاي أخبرنا بالمصائب التي جرت عليك. أخبرنا يا مولاي بغربتك يا علي بن أبي طالب طوال تلك السنين. ليس تلك الغربة التي كنت تعيشها آنذاك مع أولئك اللعناء، أخبرنا عن الغربة التي تعيشها الآن بين شيعتك يا علي ابن أبي طالب. حبيبي يا علي . . .

مولاي لماذا عندما كنت اسمع بإسمك من قبل كانت تهيم روحي وكأنها ستخرج من جسدي؟ لعلك مولاي أردت أن تخرج من وجودي عندما رأيت الناس يهينونني؟ أقبل يا مولاي دعهم يلومونني بحبك يا علي، أولم يلوموا رسول الله أولم يتهمونه بالجنون لأنه شغف بك حباً؟ مولاي يا علي تعال أخبرني من الذي منعك أن تجلس تحت فيئه حتى تستظلّ من هطول المطر؟ مولاي أخبرني من الذي كبّلك بالحبال؟ ليتهم قبل أن يكبّلوك كبّلوني يا علي. مولاي ليت ذلك السيف قبل أن يضرب رأسك ضربني يا علي. مولاي ما النفع من العيش من بعدك يا مولاي؟ لقد أصبح القريب والبعيد يؤذينا، فقد راح أبونا، فقد راح وليّنا.

هلموا نرى بعين القلب حال أمير المؤمنين في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان.

تقول أم كلثوم لم يزل أبي في تلك الليلة قائماً وراكعاً وساجداً متضرّعاً وكان يخرج إلى صحن الدار وينظر إلى السماء ويقول والله ما كَذِبْتِ ولا كُذّبت، إنها الليلة التي وعدني بها حبيبي رسول الله ﷺ، ثم لبس ثيابه لكي

يتوجه إلى المسجد وكان في الدار إِوَز، فلما رأينه صرن يرفرفن ويصحن في وجهه، الحيوانات لم تكن ترضَ بقتلك سيدي بينما البشر كانوا راضين بذلك، فقال: لا إله إلا الله صوائح تتبعها نوائح فلما وصل إلى باب الدار إنحلّ مئزره الشريف بالباب فأنشَد يقول:

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت إذا حلّ بنا ديك

فكما أضحكك الدهر كذاك الدهر يبكيك

وصل عليه السلام إلى المسجد، ارتقى المئذنة منادياً بصوته: الله أكبر، فلم يبقَ بيت في الكوفة إلا ودخله صوت علي عليه السلام. ثم مرّ على النائمين في المسجد وهو يقول: الصلاة الصلاة يرحمكم الله، إلى أن دنا من ابن ملجم، قائلاً: قم إلى الصلاة يا قاتلي. ثم بدأ أمير المؤمنين في صلاته فوقف ابن ملجم عند الأسطوانة التي كان يصلي عندها الإمام، فأمهله حتى صلى الركعة الأولى فلما رفع رأسه الشريف من السجدة الأولى وإذا باللعين قد أهوى بسيفه على رأس الإمام. فوقعت الضربة في المكان الذي ضربه عليه عمر بن ود العامري، فشُقّ رأس الإمام إلى موضع سجوده وبدأت الدماء تسيل منه، وهو يقول: بسم الله وبالله وعلى ملّتك يا رسول الله، فزت ورب الكعبة ويتلو الآية الكريمة ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[1]، يقولون غاصت البحار وزلزلت الأرض ورجّت السماء وأغلقت أبواب المسجد وضجّت الملائكة في السماء وهبّت ريح سوداء مظلمة ووقف جبرائيل بين السماء والأرض منادياً ناعياً تهدّمت والله أركان الهدى وإنفصمت العروة

(١) سورة طه، الآية: ٥٥.

الوثقى، قتل ابن عم المصطفى، قتل الوصي المجتبى، قتل علي المرتضى، قتله أشقى الأشقياء.

اجتمعت الناس تنادي: واسيداه، واعلياه.

يا خوّاض المنايا من وصل يمك وانته الموت يرجف لو سمع باسمك

وشلون السيف خضّب شيب دمك وظلّت شيعتك تلطم الخدين

رجع أمير المؤمنين محمولاً إلى داره، ولما أصبحوا على مقربة من المنزل قال لهم الإمام: أنزلوني هاهنا ودموعه تتحادر على خديه، قالوا له: لِم يا أمير المؤمنين؟ قال لهم: لا أريد أن تراني زينب على هذا الحال فينصدع قلبها، سيدي يا أمير المؤمنين أقول لو عاينت عيناك كيف أخرجوا زينب سلام الله عليها من خباها والفواطم تبدي الأنين. أدخلوه إلى الدار لما نظرت إليه زينب سلام الله عليها مشقوق الرأس والدماء تسيل على لحيته كأني بها:

آه.... صاحت زينب ولطمت صدرها يا بعد الروح يا زهرة دهرها

ونّت وصاحت يالمقبلين الشايلينه ويا كم منين

أسمع بكاه وصياح صويين خاف انضرب بوي يا طيبين

لمن سمعها الحسن والحسين صاحوا يا زينب زيدي الونين

فضجّ الناس بالبكاء والعويل وفاضت دموع أمير المؤمنين على خديه، في تلك الليلة الكل كانوا حول علي عليه سلام الله، زينب عند رأسه، الحسنان عليهما السلام من حوله، فتح عينيه بعد أن كان مغمى عليه وقال: فليخرج من في الدار وليبق بنو فاطمة. همَّ أبو الفضل عليه السلام بالخروج فناداه أمير المؤمنين: إلى أين؟ فقال: سيدي أنت قلت فليخرج من في الدار وليبق بنو

فاطمة سلام الله عليها، وأنا أمي ليست فاطمة أنا أمي أم البنين، فقال له: أنت عين الزهراء يا أبا الفضل، ثم صار عليه السلام يوصي أولاده بوصايا ثمّ التفت إلى أبي الفضل العباس عليه السلام وأشار بيده إلى العقيلة زينب سلام الله عليها قائلاً: أوصيك بأختك الحوراء زينب، فقال العباس: لأنعمنّك عيناً يا أبتاه، ثم نادى أمير المؤمنين عليه السلام: الله خليفتي عليكم وهو حسبي ونعم الوكيل، صارت زينب سلام الله عليها تلطم على وجهها، الحسين ينظر إلى أمير المؤمنين ويبكي، الحسن يلطم على رأسه. وإذا بالإمام قد مدّ رجليه ويديه وفارقت روحه الطاهرة جسده الشريف. رحم الله من نادى واعلياه وإإماماه.

آه .... أبو حسين ما تمّم صيامه اجه العيد وأولاده يتامه

إجه العيد ريته لا إجانه ولا بين هلاله بسمانه

إحنه بمياتمنه وعزانه من المصاب اللي دهانه

تقول الرواية فلما انتهى الحسنان عليهما السلام من دفن أمير المؤمنين ومعهما جماعة من الخواص مروا على خربة في الكوفة فسمعوا أنيناً فإذا هو رجل يبكي بكاء الثكلى فسألاه عن حاله فقال: أنا رجل غريب لا أهل لي وأتيت هذه البلدة منذ سنة، وكل ليلة يأتيني شخص بما أقتات به من الطعام ويجلس معي فيؤنسني ويسلّيني، وقد فقدته منذ ثلاثة أيام. فقالا: ما وصفه؟ فقال: إني مكفوف ولكنني ما سألته عن إسمه إلا قال أني أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة ودأبه التسبيح والتقديس والتكبير والتهليل. فقالا: إنه أمير المؤمنين قد أفجعنا به أشقى الأشقياء وها نحن راجعون من دفنه. فلما سمع الرجل ذلك جعل يضرب رأسه بالأرض ويحثو التراب ويصرخ صراخ الثكلى فأبكى من كان حاضراً. ثم قال لهما: أسألكما بالله وبجدكما رسول الله

وابيكما ولي الله إلا أخذتماني إلى قبره لأجدد به عهداً فقد تنغّص عيشي بقتله وتكدّرت حياتي بعد دفنه. فلما وصل إلى قبر أمير المؤمنين، جعل يمرّغ جسمه عليه ويحثو التراب على رأسه حتى غشي عليه (أين قبر أمير المؤمنين حتى نمرّغ أجسادنا ونحثوا التراب على وجوهنا) فلما أفاق من غشوته رفع كفيه إلى السماء وقال: اللهم إني أسألك بحق من سكن هذه الحفرة المنوّرة أن تلحقني به وتقبض روحي إليك، فإني لا أقدر على فراقه. فاستجاب الله دعاءه ففارقت روحه الدنيا فجهزوه ودفنوه بجنب أمير المؤمنين.

إذا كان هذا هو حال هذا الرجل لفقد أمير المؤمنين، فما حال أيتامك سيدي في هذه الليالي؟ ما حال زينب سلام الله عليها؟ كأني بها تطيل العويل والبكاء والحسن والحسين عليهما السلام يناديان: واعلياه.

آه . . . يومين إله المحراب خالي يا بوية شكثر وحشة الليالي

تفتت الصخر لونّة الوالي عسى لا قرّب يومك يا غالي

سيدي يا أمير المؤمنين؟ من لليتامى؟ من للفقراء؟ من للأرامل؟ يا مولاي، كان يعزّ عليك أن ترى دموع اليتامى فتمسحها بيديك، سيدي من يمسح دموع شيعتك ويتاماك؟ تقول إحدى الروايات أن رجلاً دخل إلى الكوفة يوم شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، فكلما التقى طفلاً رآه يبكي سأله من أبوك؟ قال: أبي علي بن أبي طالب. كلنا أيتامك يا سيدي، لن ننساك يا مولاي مهما طالت الأيام.

ما نسيتك يا علي يا حياتي وكل هلي إنت في العين يا أبو حسين

فيا أسفي على المولى التقي أبي الأطهار حيدرة الزكي

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلِ على محمد وآل محمد . . اللهم وإنك في الضعف خلقتنا وعلى الوهن نبّتنا ومن ماء مهين ابتدأتنا فلا حول لنا إلا بقوتك ولا قوة لنا إلا بعونك فأيّدنا بتوفيقك وسدّدنا بتسديدك وأعم أبصار قلوبنا عما خالف محبتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



النفحة الرابعة

مجلس الإمام الحسن المجتبى

عليه السلام



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك سيدي ويا مولاي يا رسول الله، صلى الله عليك وعلى آلك المقتولين المسمومين، صلى الله عليك سيدي وعلى وصيّك وحبيبك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك أيها الحسن المجتبى أيها المسموم لعن الله ظالميك يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

الله أكبر أي يوم شجون ... فيه استبيح حريم هذا الدين
قضى الزكي فنوحوا يا محبيه ... وابكوا عليه فذي الأملاك تبكيه
قضى وقد قطّعت أحشاؤه قطعاً ... وصار يقذفها بالطشت من فيه
قم واكتم حديث الطشت عنها إنني ... الحسن الزكي بزفرة وحنين
وانع للزهراء مهجة قلبها ... أخشى انخلاع فؤادها المحزون
لهفي لنعشك سيدي والعداة تنوشه ... بسهام حقدٍ بارزٍ وكمين
يا لهف نفسي للحسين تحسّراً ... يدعو بصوت ناحب وأنين

* * *

آه ..... الليلة مأتم المسموم ينصاب ... أدخل ودمعك عليه دوم ينصاب
مثل كبد الحسن ما شفت ينصاب ... بنبل يرموا نعش ابن الزكية

مولاتي يا زهراء سنلتمس في هذا اليوم جرحاً من جراحاتك، مولاتي

هذا يوم ولدك الحسن عليه السلام عظم الله أجرك مولاتي، يا زهراء، يقولون إذا كان يوم القيامة تأتي فاطمة سلام الله عليها وبيدها اليمنى الحسن وبيدها اليسرى الحسين عليه السلام، وعلى كتفها الأيمن قميص الحسن عليه السلام ملطخ بالسم، وعلى كتفها الأيسر قميص الحسين عليه السلام ملطخ بالدم وتقول: يا رب إحكم بيني وبين قاتلي ولديّ!

نوحي يا زهراء على الولد والقلب مجروح واحد قضى بالسم وواحد راح مذبوح
قومي يا زهراء عايني لحسين مطروح لا غسل لا تكفين مرمي على الوطية



قال رسول الله ﷺ: «**لكل شيء أساس وأساس الإسلام حبّنا أهل البيت**»[١].

إن محبة أهل البيت عليهم السلام هي أساس دين الله عزّ وجل وإن الله يمنّ بها فقط على خاصة أوليائه. وعليّ أن أعلم أنه من الممكن أن أوصل نفسي من الناحية العقلية إلى مرحلة يصبح عندي علم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم، ولكن لا أستطيع أن أُدخل إلى قلبي ذرّة واحدة من هذا العلم، فهذا بيد الله. الأمور القلبية أصلاً ليست بيدنا. الله بيده كل هذا الوجود هو الفاتح والخاتم هو الأول والآخر والظاهر والباطن، هو بيده كل شيء. وإن أي فتح أو ختم هو بيدهم سلام الله عليهم «**بنا فتح الله وبنا يختم**»[٢] وإن أقصى ما بيدنا هو أن نفكر ولكن ليس بيدنا التدبير. فالتدبير بيده عزّ وجل، أما أنا فأستطيع أن أتكلم عن محبة أهل البيت ولكن لا أستطيع أن أوصل نفسي إلى محبتهم سلام الله عليهم أو أن أنقش هذه المحبة في قلبي، فهذه المحبة هي من الله «**ليس العلم بكثرة التعلم إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد الله أن يهديه**»[٣]، وعلينا أن نعلم أيضاً أن إرادة الله ليست متعلقة بشيء. فمن الممكن أن أحداً من الناس لا يملك هذا العلم في عقله فيقذفه الله تعالى في قلبه، فليس هناك قانون يحدد دخول هذا العلم وهذه النورانية إلى القلب، ولكن هذا منوط بعدم مخالفتهم ظاهراً وباطناً. «**فالراغب عنكم مارق واللازم**

---

(١) الكافي: ج٢، ص٤٦.
(٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام: بحار الأنوار: ج٦٥، ص٦١.
(٣) منية المريد: ص١٦٧.

لكم لاحق والمقصّر في حقكم زاهق»[١]، ورد في الحديث أن المفضّل قال للإمام الصادق عليه السلام: **«يا مولاي من المقصرة قال: يا مفضل المقصرة هم الذين هداهم الله إلى فضل علمنا وأفضى إليهم سرنا فشكّوا فينا وأنكروا فضلنا وقالوا لم يكن الله ليعطيهم سلطانه ومعرفته»**[٢] لذا عليّ أن لا أتقدم عنهم فأكون مغالياً ولا أتأخر عنهم فأكون مقصّراً بمعرفتهم بل ينبغي أن أكون ملازماً لهم، متمسكاً بهم سلام الله عليهم. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«من تمسّك بنا لحق ومن سلك غير طريقتنا غرق، لمحبينا أفواج من رحمة الله ولمبغضينا أفواج من غضب الله . . .»**. من تمسّك بنا يعني من أستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والتمسك بهذا الحبل يعني الإعتصام به ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[٣] وهم عليهم السلام العروة الوثقى وحبل الله المتين. وقد ورد عنه أنه قال عليه السلام: **«من أحبّنا بقلبه، وأعاننا بلسانه وقاتل معنا أعداءنا بيده فهو معنا في درجتنا»**، فلست محباً لهم إذا كنت إلى الآن لم أدفع فلساً واحداً في سبيلهم ولم أبذل مهجتي دونهم **«لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي إليه أعزّ من عترته . . .»**[٤] كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، هكذا يعرف المحب؟ إذا كنت محباً لأهل البيت عليهم السلام ومحباً للإمام الحسين عليه السلام عليّ أن أسأل نفسي، ماذا بذلت له إلى الآن؟ إذا أردت أن أكون منصفاً معهم وليس محباً أو عاشقاً، فكم رزقني الله تعالى من مال أو رزق، هل أعطيت نصف ما أملك للإمام الحسين عليه السلام وتركت النصف الآخر لي؟ وهنا أتحدث عن الإنصاف وليس عن المحبة، وإن لم أنصفهم

---

(١) الفقيه: ج٢، ص٦٩.
(٢) الهداية الكبرى: ص٤٣١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.
(٤) علل الشرائع: ج١، ص١٤٠.

عليّ أن أتحمل تسلّط الظَلَمة عليّ من الناس ومن الشياطين ومن نفسي الأمارة «**إن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظَلَمةُ عليكم**»[١] لذا كذب من زعم أنه يحبهم وإلى الآن لم يبذل الغالي والنفيس من أجلهم عليهم السلام هذا المال الذي رُزقته، هل جعلته مناصفة بيني وبين الإمام الحسين وأهل البيت عليهم السلام؟ وأما إذا تكلمنا من ناحية الإيثار فينبغي أن أعطي كل ما أملك للإمام الحسين ولو أصبحت فقيراً. هذا هو الإيثار الذي علّمنا إياه أبو الفضل العباس عليه السلام بكربلاء حيث لم يشرب الماء. وهذا هو العشق وهذا هو الوله.

أنظروا كيف أن كثير من الناس، يلتزمون بالزيارات الإجتماعية فيما بينهم فيأخذون معهم أثمن الهدايا لمن يزورونه. لكن عندما نزور أهل البيت عليهم السلام ونرد إلى محضرهم ومجالسهم، هل نقدّم بين أيديهم قرباناً ما؟ ولنسأل أنفسنا، إذا دخلنا إلى مجالسهم وعزائهم، لماذا ندخل فارغي الأيدي؟ ثم هل نحن مستعدين لأن نخدم في مجالسهم؟ ومعلوم أن هذه الخدمة هي خدمة لهم عليهم السلام أو هل كتبت كتاباً يتحدث عن أهل البيت، أو شاركت في طباعة أو نشر أحد الكتب؟ هل اشتريت كتباً تتحدّث عنهم ووزّعتها على الناس حتى يصبح عندهم معرفة ومحبة لهم عليهم السلام؟ كاذب من يزعم أنه يحب أهل البيت وهو غير متحقق بهذه الأمور، وهل هكذا يكون الحب الحقيقي؟ لذلك قال الإمام عليه السلام: «**ومن أحبنا بقلبه وأعاننا بلسانه ولم يقاتل أعداءنا فهو أسفل من ذلك بدرجة، ومن أحبنا بقلبه ولم يُعنّا بلسانه ولا بيده فهو في الجنة**». هذه هي مرتبة من يحب أهل البيت عليهم السلام فقط بقلبه ولكن لم تظهر هذه المحبة ولم تترجم عملياً، وقد ورد في الخبر «**من أحبّ شيئاً أكثر ذكره**» إن من يحب شيئاً دائماً يتكلم عنه. أنا أدعي أني أحب

(١) تحف العقول: ص٢٣٧.

الإمام، لكن كم مجلساً إلى الآن أقمته في بيتي للإمام الحسين عليه السلام؟ مع العلم أنه إذا مات أحد من أهل بيتي، فكم مجلس أقيم له؟ وإلى متى؟ لا يدعي أحد منا أنه يحب الإمام الحسين عليه السلام وهو من الناحية العملية ليس محباً له، ثم يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **«ومن أبغضنا بقلبه وأعان علينا بلسانه ويده فهو مع عدوّنا في النار، ومن أبغضنا بقلبه ولم يعن علينا بلسانه ولا بيده فهو في النار»**[1]. لا يعتقد أحد أنه سيشم رائحة الإمام الحسين عليه السلام يوم القيامة وهو غير صادق في محبته لهم عليهم السلام، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[2].

وإن من مصاديق محبة أهل البيت عليهم السلام تعظيم ذرّيتهم. فإنه يُستحب أن يُجلَس السيد في صدر المجلس ويستحب أن يقف الجميع لأي سيد يدخل إلى المكان، حتى لو كان هذا السيد فاسقاً، فإنه يجب عليّ أن أقف احتراماً له، لرسول الله صلى الله عليه وآله. هذا التعظيم هو تعظيم لأهل البيت عليهم السلام ولكن هنا تظهر النفوس وتعترض، وتضع الإشكالات وتشكك وتُظهر حب الرئاسة عندما تريد أن تطبق هذا الأمر. وهنا نذكر هذه الرواية التي تقول **«أن أحد ذراري الإمام الصادق عليه السلام ويسمى الحسين بن الحسن بن جعفر كان بقم يشرب الخمر علانية فقصد يوماً لحاجة باب أحمد بن إسحاق الأشعري وكان وكيلاً في الأوقاف بقم، فلم يأذن له ورجع إلى بيته مهموماً. فتوجه أحمد بن إسحاق إلى الحج، فلما بلغ إلى سر من رأى استأذن على أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام فلم يأذن له، فبكى أحمد لذلك طويلاً وتضرّع حتى أُذن له. فلما دخل قال: يا بن رسول الله لمَ منعتني الدخول عليك وأنا من شيعتك**

(١) بحار الأنوار: ج٢٧، ص٨٨.
(٢) سورة النجم، الآية: ٣٩.

ومواليك؟ قال عليه السلام: «لأنك طردت ابن عمنا عن بابك» فبكى أحمد، وحلف بالله أنه لم يمنعه من الدخول عليه إلا لأن يتوب من شرب الخمر، قال: صدقت ولكن لا بدّ من إكرامهم واحترامهم على كل حال، وأن لا تحقرهم ولا تستهن بهم لإنتسابهم إلينا فتكون من الخاسرين»[1].

ينبغي أن تظهر هذه المحبة في وجود المحب لهم عليهم السلام وعلى لسانه. فرسول الله صلى الله عليه وآله عندما كان يجلس في مجلس، كان يقول لهم: **«زينوا مجالسكم بذكر علي ابن أبي طالب»**. لقد كرهوا أمير المؤمنين عليه السلام لهذا السبب، فنزلت الآية ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾[2].

هل أنا أذكر أهل البيت وأتحدث عنهم أينما ذهبت حتى لو هتكت وأوذيت؟ (طوبى لمن أوذي في الله) وعند ذلك يظهر المحب. أمير المؤمنين عليه السلام أخبر ميثم التمار: **«أن يا ميثم سوف تدعى إلى البراءة مني ويقطعون لك يديك ورجليك ولسانك. قال: أوليس على محبتك؟ قال: بلى. قال: إذا لا أبالي»**. لماذا نكون جبناء في إظهار محبتنا لأهل البيت عليهم السلام ولا نتجرأ أن نعلن هذه المحبة؟ إن المحب أصلاً لا يفكر إلا بمحبوبه، لا يفكر بشيء سواه. هذا هو المحب، هذا هو العاشق وإمام الزمان عليه السلام يريدنا هكذا. هل إن من يريد أن يدخل إلى الجنة وهمّه الجنة، هو من كان همه في الدنيا المأكل والمشرب والملبس والزواج. فلذلك إذا أردت أن أكون معهم وفي درجتهم ينبغي أن أكون محباً لهم بقلبي ولساني وجميع مراتب وجودي **«من أحبّنا بقلبه، وأعاننا بلسانه وقاتل معنا أعداءنا بيده فهو معنا في درجتنا»**،

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠، ص٣٢٣.
(٢) سورة القلم، الآية: ٥١.

الآن نحن في شهر محرم، وللمحب علامات في هذا الشهر، فماذا بذلت للإمام الحسين عليه السلام من مال ووقت ودموع وألم في قلبي و . . . . ؟ بأبي أنت وأمي وأهلي ومالي ونفسي يا أبا عبد الله، ماذا قدّمت؟ هل أتحدّث عنهم عليهم السلام في كل مكان أجلس فيه أم أنني أستغيب شيعة علي ابن أبي طالب عليه السلام أو أشاهد التلفاز أو أسهر الليالي بدون فائدة؟

ورد في الخبر أنه بينما كان الإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء إلتقى برجل يسمى عبد الله بن الحر الحنفي فاستنصره، فقال له الرجل: يا بن رسول الله والله لو نصرتك لكنت أول مقتول بين يديك ولكن هذا فرسي خذه إليك فوالله ما ركبته قط وأنا أروم شيئاً، إلا بلغته ولا أرادني أحد إلا نجوت عليه فخذه، فأعرض عنه الحسين عليه السلام بوجهه ثم قال: «**لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك وما كنت متخذ المضلين عضداً**»[١]. ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[٢] ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾[٣] وكذلك نحن، إذا أراد أحدنا أن يشتري شيئاً له فإنه يدفع ثمنه وهو فرح ولكنه لو أراد أن ينفق للإمام الحسين عليه السلام فإنه يدفع وهو كاره، أو أنه ينفق ويمنّن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[٤] لا يمنّن أحدٌ أحداً، وإذا كنت أعمل أو أخدم في مجلس العزاء فأنا أخدم أمير المؤمنين عليه السلام والسيدة الزهراء سلام الله عليها.

ينبغي أن نعيد النظر بمعرفتنا وولايتنا، ورد في الخبر: أنه دخل رجل

---

(١) الأمالي: المجلس الثلاثون، ص٩٤.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٥٤.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

على الإمام الصادق عليه السلام قال له الإمام: «**ممن الرجل (من أين؟)**» **قال: أنا من محبيكم ومن مواليكم قال له الإمام: «لا يحب الله عبد حتى يتولاه، ولا يتولاه حتى يوجب له الجنة»** ثم نظر إليه، وقال: «**من أي محبينا أنت؟**» سكت الرجل. ثم قال له سدير، وهو أحد أصحاب الإمام عليه السلام، وكم محبوبكم؟ قال عليه السلام: «**محبونا على ثلاث طبقات: طبقة أحبونا في العلانية ولم يحبونا في السر** (يتكلمون عن أهل البيت عليهم السلام بلسانهم فقط وأما في خلواتهم فهم مشغولون بحب الدنيا) **وطبقة يحبونا في السر ولم يحبونا في العلانية** (يحبون بالقلب فقط دون اللسان واليد) **وطبقة يحبونا بالسر والعلانية، هم النمط الأعلى** (في أعلى مقام يجلسون) **شربوا من العذب الفرات** (الكوثر) **وعلموا بأوائل الكتاب وفصل الخطاب وسبب الأسباب فهم النمط الأعلى، والفقر والفاقة وأنواع البلاء أسرع إليهم من ركض الخيل، مسّتهم البأساء والضرّاء وزلزلوا وفتنوا، فمن بين مجروح ومذبوح متفرّقين في كل بلاد قاصية** (المحبة لها ثمن وهذه الأمور ثمن لتحصيل الولاية) **بهم يشفي الله السقيم ويغني العديم وبهم تُنصرون** (إذا أردتم أن يشفيكم الله أو ينصركم فابحثوا عن أحد هؤلاء) **وبهم تُمطرون** (أي أن الدنيا تمطر كرامة لهؤلاء) **وبهم تُرزقون، وهم الأقلّون عدداً الأعظمون عند الله قدراً وخطراً والطبقة الثانية، النمط الأسفل، أحبونا في العلانية وساروا بسيرة الملوك فألسنتهم معنا وسيوفهم علينا** (وكما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**قتل الله أمة قتلتكم بالأيدي والألسن**»[1] فالملوك يحبون الرئاسة ويتعاطون مع الناس بتكبر واستعلاء واستخفاف . . . ، فهؤلاء يخطبون على المنابر ويتحدثون عن أهل البيت عليهم السلام ولكن أداءهم على الأرض كأداء الملوك، أما المحب

(١) التهذيب: ج٦، ص٦٥.

فهو زاهد في الدنيا ولا يتصف بهذه الصفات). والطبقة الثالثة النمط الأسود، وهم أخسّ طبقة، أحبونا في السرّ ولم يحبونا في العلانية، (كمن يتزوج من غير دينه بزوجة غير محبة لأهل البيت عليهم السلام . . . ولعمري لئن كانوا أحبونا في السر والعلانية وهم الصوّامون في الليل ترى أثر الرهبانية في وجوههم.
قال الرجل: فأنا من محبيكم في السر والعلانية؟ قال جعفر عليه السلام: **إن لمحبينا في السر والعلانية علامات يعرفون بها. قال الرجل: وما تلك العلامات؟ قال عليه السلام: تلك خلال أولها أنهم عرفوا التوحيد حق معرفته وأحكموا علم توحيده والإيمان بعد ذلك بما هو وما وصفته ثم علموا حدود الإيمان وحقائقه وشروطه وتأويله»**[١].

لذلك عليّ أن أعرف من أي طبقة أنا؟ مشكلتنا أننا نعتبر أنفسنا قدّيسين مع العلم أننا نخدع أنفسنا ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾[٢] فالذي يحبهم بالسرّ والعلانية لا يهدأ له أنين ولا يغفى له جفن لا ليلاً ولا نهاراً، صوّامون في النهار قوّامون في الليل. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**افترق الناس فينا على ثلاث فرق: فرقة أحبوا انتظار قائمنا ليصيبوا من دنيانا، فقالوا وحفظوا كلامنا وقصّروا عن فعلنا فسيحشرهم الله إلى النار، وفرقة أحبونا وسمعوا كلامنا ولم يقصّروا عن فعلنا ليستأكلوا الناس بنا فيملأ الله بطونهم ناراً يسلّط عليهم الجوع والعطش، وفرقة أحبونا وحفظوا قولنا وأطاعوا أمرنا ولم يخالفوا فعلنا فأولئك منا ونحن منهم**»[٣].
ويقول عليه السلام لأحد شيعته وهو يصف محبيهم وعشاقهم الحقيقيين: «**إن**

---

(١) تحف العقول: ص٢٣٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٩.
(٣) تحف العقول: ص٣٨٤.

شيعتنا يُعرفون بخصال شتى بالسخاء والبذل للإخوان وبأن يصلّوا الخمسين ليلاً ونهاراً شيعتنا لا يهرّون هرير الكلب ولا يطمعون طمع الغراب لا يجاورون لنا عدواً ولا يسألون لنا مبغضاً ولو ماتوا جوعاً، شيعتنا لا يأكلون الجري ولا يمسحون على الخفين يحافظون على الزوال ولا يشربون مسكراً فقال الرجل: جعلت فداك أين أطلبهم؟ قال عليه السلام: على رؤوس الجبال واطراف المدن وإذا دخلت مدينة فسل عمن لا يجاورهم ولا يجاورونه، فذلك مؤمن كما قال الله: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾[1]، والله لقد كان حبيب النجّار وحده»[2]. ينبغي علينا أن نفكر ملياً نحن من أي طبقة. من يحب أهل البيت عليهم السلام ينبغي أن يحذو حذوهم، ينبغي أن يقتدي بهم عليهم السلام.

يُروى عن بشار المكاري قال: دخلت على الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة وقد قدّم لي طبقاً وهو يأكل، فقال: «يا بشار أدن مني. فدنوت منه. قال: أدنُ مني وكل. فقلت: هناك الله وجعلني فداك، فقد أخذتني الغيرة في طريقي من شيء وجع قلبي وبلغ مني. فقال لي: بحقي لما دنوت مني. قال: دنوت من الإمام فأكلت. فقال الإمام عليه السلام: حدثني ما هو الشيء الذي رأيته وأخذتك الغيرة من أجله وصار قلبك وجعاً؟ فقال: رأيت جلاوزة يضربون رأس إمرأة وساقوها إلى الحبس وهي تنادي المستغاث بالله ورسوله ولكن لم يغثها أحد، قال الإمام: ولم فعلوا بها هذا؟ قال: سمعت الناس يقولون تعثّرت بثوبها فلما قامت قالت لعن الله ظالميك يا فاطمة، فعند ذلك أحاط بها الجلاوزة وانهالوا عليها ضرباً وسحبوها إلى السجن. يقول، فقطع الإمام الأكل ولم يزل يبكي حتى ابتلّ منديله ولحيته وصدره بالدموع ثم قال: يا

(١) سورة يس، الآية: ٢٠.
(٢) بحار الأنوار: ج٧٥، ص٢٨٠.

بشار قم بنا إلى مسجد السهلة فندعو الله عزّ وجل، ونسأله خلاص هذه المرأة. ووجه الإمام أحد الشيعة إلى باب السلطان وطلب منه أن لا يبرح إليه إلا أن يأتيه رسوله فإن حدث بالمرأة حدث صار إلينا حيث كنّا، قال: فصرنا إلى مسجد السهلة وصلّى كل واحد منا ركعتين، ثم رفع الإمام الصادق عليه السلام يده إلى السماء بالدعاء وخرّ ساجداً لا أسمع فيه إلا النفس، ثم رفع رأسه، فقال: قم فقد أطلقت المرأة. يقول خرجنا جميعاً وإذا بهذا الرجل (الرسول) يقول لقد أخلوا سبيلها. فقال الإمام عليه السلام: وكيف كان إخراجها؟ قال: لا أدري، ولكن كنت واقفاً على باب السلطان فخرج صاحب دعاها وقال لها: ما الذي تكلّمت؟ فقالت: عثرت فقلت لعن الله ظالميك يا فاطمة ففعل بي ما فعل، فأخرج مئتي درهم وقال: إجعلي الأمير في حل (حل من اللعن) قالت: لا، فقال: انصرفي إلى بيتك فذهبت إلى منزلها. قال أبو عبد الله عليه السلام: أبت أن تأخذ مئتي درهم؟ قال: نعم قال: وهي والله محتاجة إليها. قال بشار: فأخرج من جيبه عليه السلام صرّة فيها سبعة دنانير، وقال: إذهب أنت بهذه إلى منزلها فأقرئها مني السلام وادفع إليها هذه الدنانير. قال: فذهبنا جميعاً فأقرأناها منه السلام فقالت: بالله عليكم، جعفر بن محمد أقرأني السلام؟ قالوا: بلى رحمك الله والله إن جعفر بن محمد أقرأك السلام وفعل كذا وكذا عندما علم أنك دخلت إلى السجن. يقولون فشقّت جيبها ووقعت مغشياً عليها فصبرنا حتى أفاقت ثم أعدنا الكرة. نظرت إلينا وقالت: أعيدوا عليّ ما قلتم. فأعدنا الكرّة فشقّت جيبها ووقعت مغشياً عليها حتى فعلت ذلك ثلاث مرات. ثم عدنا إلى الإمام فحدّثنا بما جرى فجعل يبكي ويدعو لها»[1]. هذا هو الحب والعشق.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٣، ص٤١٨.

وقد ورد في الروايات أنه عندما رجع الإمام الحسن والحسين عليهما السلام من دفن أمير المؤمنين عليه السلام ورأوا ذلك الأعمى يبكي ويئن، ويحن ويبكي بكاء الثكلى قالوا: «مم بكاؤك؟ قال: كان هناك رجل يأتيني كل ليلة يسلّيني ويطعمني والآن مضى ثلاث ليال ولم يأتِ. قالوا: صفه لنا. فصار يصفه لهم قالوا: يا هذا الآن قد رجعنا من دفنه فشقّ جيبه ولطم وجهه ثم قال: بالله عليكم خذوني إلى قبره فلما وصل إلى قبره تجدّدت أحزان آل محمد صلى الله عليه وآله، وبدأوا بالعويل والبكاء، وفي آخر المطاف رفع يديه إلى السماء قائلاً: إلهي خذ روحي في هذه اللحظة، لا أطيق العيش بعد هذا الرجل».

أين عشاق صاحب العصر والزمان الذين لا يهنأون بشيء، ينتظرون إمامهم بكل شوق؟ أترانا سيدي نكون من المحبين الحقيقيين بقلوبنا وسنعينك بالأيدي والألسن أم نكون مثل أصحاب الإمام الحسن عليه السلام الذين خذلوه؟ تقول الرواية أن أحد خلّص أصحابه دخل عليه ووكزه بالسيف في خاصرته قائلاً: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين. لنتوجه بعين القلب إلى البقيع، إلى تلك البقعة المقدسة. نقف على أعتاب سبط الرسول وريحانة البتول، نسلّم على صاحب القبر المهجور حيث لا ضريح له ولا مقام. شيعتك سيدي يا أبا محمد يا حسن بن علي على أعتاب البقيع، ينظرون إلى قبرك، يتمنّون أن يمسكوا هذا التراب الذي يضمّ جسدك الطاهر، هذا الجسد المسموم، سيدي ليتني كنت على قبرك ظلاً ليتني. تقول الروايات أن معاوية لعنه الله حاول قتل الإمام أكثر من مرة بوضع السم إلا أن الإمام كان يُعالَج منه، ولكن في المرة الأخيرة استورد له هذا السم من الروم وقال أريد سُمّاً مركزاً ومميتاً. ثم اختار زوجة الإمام جعدة بنت الأشعث لعنة الله عليها لتنفيذ جريمته والتي كان أبوها عليه اللعنة قد اشترك في دم أمير المؤمنين عليه السلام وأخوها محمد لعنه الله قد شارك في دم الحسين عليه السلام. طلب

معاوية لعنه الله منها أن تُسِمّ الإمام بعد أن أغراها بمبلغ من المال والزواج من ولده يزيد لعنه الله ففعلت اللعينة، إذ دسّت السم للإمام في شربة من اللبن وكان الإمام صائماً فلما حان وقت الإفطار قدّمت له جعدة ذلك اللبن المسموم، وشربه الإمام، فلما سرى السم في بدنه صار يتلوّى على فراشه وتغيّر لونه وأحسّ بأمعائه كأنها تقطّع بالسكاكين والطشت يرفع من بين يديه ممتلئ بالدم عدة مرات باليوم، وقد دخل عليه أحدهم وهو يتقيّأ قال له سيدي هلا عالجت نفسك؟ قال: بماذا أعالج الموت (وهل للموت علاج) لقد سقيت السم ثلاث مرات وهذه الرابعة. إلى أن كان يوم شهادته. هلموا ندخل إلى دار المولى الحسن المجتبى عليه السلام لننظر إلى حاله. تعالوا نواسي زينب والحسين والعباس والهاشميين عليهم السلام بهذا المصاب. ها هو إمامكم يأخذ الدار طولاً وعرضاً من حرارة السم إلى أن أقعده الألم وصار يتقلّب على فراشه وهو يتلوّى من شدة الألم، إستقبل القبلة، دخل عليه الإمام الحسين عليه السلام لما رآه بتلك الحالة بكى بكاء شديداً (واسوا الحسين بدموعكم) حتى غشي عليه فلما أفاق قال له الإمام الحسن: ما يُبكيك يا أبا عبد الله؟ فقال: أبكي لما صُنع بك. أنظروا بعين القلب إلى هذا المشهد، الحسين يجلس عند أخيه ورأس الحسن في حجر الحسين والطشت بين يديه والحسن عليه السلام يقذف فيه كبده قطعة قطعة. ومع ذلك إسمعوا الحسن عليه السلام ماذا يقول للحسين عليه السلام .... يا أخاه لا تحزن عليّ فإن مصابك أعظم من مصيبتي ورزؤك أعظم من رزئي، فإنك ستقتل بشط الفرات بأرض كربلاء عطشاناً وحيداً فريداً مذبوحاً يعلو صدرك أشقى الأمة **«لا يوم كيومك يا أبا عبد الله»**... (يا زهراء هذا الحسن يقرأ عزاء الحسين وأنت يا من تحضرين كل مجلس يُقام على ولدك الحسين ألست حاضرة بين ولديكِ وحبيبيك).

آه . . . .

هـالـنـوح يـا زهـراء عـلـمـن تـنـوحـيـن نوحك على المسموم لو نوحك على حسين

حـنّـت ونـادت والـدمـع بـالـخـد بـادي إن تـسـألـونـي يـا خـلـق كـلـهـم ولادي

وبينما الحبيب يُحاكي حبيبه وإذا بالحنين والأنين خلف الباب، من الذي أقبل؟ إنها الحوراء زينب سلام الله عليها جاءت لتزور أخاها، فالتفت الإمام الحسن عليه السلام إلى الإمام الحسين عليه السلام وقال: أخي أبا عبد الله نحِ هذا الطشت عني لئلا تراه أختنا زينب . . .

آه . . .

يـا حـسـيـن شـيـل الـطـشـت عـنـي أخـتـك يـا بـو الـسـجـاد اجـتـنـي

تـــريـــد يـــا خـــوي تـــودعـــنّـــي

شيل الطشت أنا خاف الوديعة تشوف كبدي أخـاف تـحـن ومـن بـكـاهـا يـزيـد هـمّـي

هـذه وديـعـة والـدي حـيـدر وجـدي ما أقدر أشوف دموعها تجري على الخد

دخلت زينب سلام الله عليها وقد وقع بصرها على ذلك الطشت وفيه أحشاء أخيها الحسن صاحت: وآأخاه وآحسناه.

أيها الموالي أمام هذه المصيبة إلى أين يذهب قلبك وروحك؟ ماذا تذكر؟ علّك تذكر الطشت الآخر الذي رأته زينب سلام الله عليها ولكن هذه المرة فيه رأس الحسين . . . .

حـوت زيـنـب يـا بـو الـسـجـاد طـشـتـيـن طـشـت بـيـه كـبـد الـحـسـن قـرة الـعـيـن

وطـشـت بـيـه راسـك يـا نـور الـعـيـن يـا حـسـيـن

إجتمع حول الإمام الحسن أهل بيته من النساء والأطفال. هذا والحسين

يبكي حتى يعلو صوته فيهدأه الإمام الحسن عليه السلام حتى لا تُفجع النساء، وصار يوصيهم بوصاياه ثم قال: أخي أبا عبد الله إذا أنا قضيت نحبي فغسّلني وحنطني بفاضل حنوط جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه من كافور الجنة، واحملني على سرير إلى حرم جدي رسول الله صلى الله عليه وآله كي أجدد به عهداً، واعلم أن القوم يمنعون دفني عند قبر جدي فلا تُسفك في أمري دماً. ثم بدأ يدير طرفه في أولاده ويقول حفظكم الله أستودعكم الله، الله خليفتي عليكم، ثم قال: وعليكم السلام يا ملائكة ربي ورحمة الله وبركاته، ووجّه وجهه نحو القبلة وغمّض عينيه وفارقت روحه الطاهرة جسده المبارك. واحسناه واسيداه وإإماماه . . . . . يا زهراء عظم الله لك الأجر.

آه . . . مات الحسن وتزلزلت أرض المدينة ومن قبر جده المصطفى سمعوا ونينه
وانفجعت على مصيبته الزهراء الحزينة تقول ليش الحسن ابني سامينه

هذا وزينب سلام الله عليها تنادي: حزني لا ينقطع عليك طوال دهري وهي تقبّل خديه وتتمرّغ عليه، أمّا الحسين عليه السلام فقد قام بتغسيله وتكفينه وتجهيزه ولسان حاله:

عسانه نروح كل إحنا فدالك بس إنتَ يا خوية تظل سالم
مات الحسن قوموا يا شيعة نشيعه

هلموا نحمل نعش الإمام مع الهاشميين. ها هو الإمام الحسين يتقدم نعش أخيه ويكفكف دموعه. ولما وصلت الجنازة إلى مسجد النبي، صلى عليها الإمام الحسين عليه السلام ثم أقبلوا بنعش الإمام الحسن عليه السلام وتوجهوا إلى قبر النبي وكانت اللعينة قد خرجت على بغلة وهي تقول: يا حسين ردّ أخاك عن بيتي، لا أريد أن يدخل بيتي من لا أحب. فصاح: إرجعوا بأخيكم

(تنفيذ لوصية الإمام) لكن القوم لم يكتفوا بذلك بل جاء جماعة منهم ورشقوا نعش الإمام بالسهام . . .

أنا فرح ما شفت طول العمر بس هم ولا جف الدمع بالعين بس هم

واسفة الحسن نعشه انصاب بسهام ومنعوا دفنه يم سيد البرية

وإذا بأبي الفضل العباس عليه السلام يضع يده على سيفه وصاح : يا بني هاشم أَتُرمى جنازة الحسن وأنتم تنظرون؟ فأقبل إليه الإمام الحسين عليه السلام وضمّه إلى صدره وقال : اخي عباس ليس هذا يومك ، لك يوم أعظم من هذا .

سل السيف أبو فاضل وسالت دمعة عيونه بس شاف السهم صاب نعش أخوه الحسن

دار حسين عينه وقله اصبر يابو فاضل هذا مقدّر ومكتوب إلك يوم كفوفك بيه مقطوعة

والسهم بالعين نابت وأنت موسّد التربان

ساعد الله قلب إمامكم الحسين . أقبل نحو البقيع ، وضع الجنازة على الأرض وقد سحب منها سبعين نبلاً . هذا هو إمامكم مفجوع . هلموا نواسيه ، نحضر معه في هذا المصاب . حفر قبراً لأخيه وأنزله في القبر وقبل أن يهيل التراب أدلى الإمام الحسين عليه السلام رأسه في قبر أخيه الحسن عليه السلام وبكى حتى بلّ تراب القبر بدموع عينه (مهلك يا أبا الشهداء لقد أدميت قلوب شيعتك بدموع عينيك) وبعد أن واراه في لحده وأهال التراب عليه أخذ العمامة من على رأسه وهي أشرف شيء يُرفع للحزن ورمى بها إلى الأرض وألقى بنفسه على القبر . وكأني به يقول :

يصيح حسين والدمع جريه يا ناس الحسن راح من ايديه

ويا ريت أنا المقصود بالسم بدال قلبك يا خوية وأنت تسلم

* * *

من مُبلغُ المصطفى والطهر فاطمة أن الحسين دماً يبكي على الحسنِ

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان، واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد يا من ذكره شرف للذاكرين ويا من شكره فوز للشاكرين ويا من طاعته نجاة للمطيعين صلِّ على محمد وآل محمد واشغل قلوبنا بذكرك عن كل ذكر وألسنتنا بشكرك عن كل شكر وجوارحنا بطاعتك عن كل طاعة يا أرحم الراحمين بحق محمد وآله الطاهرين وصلى الله على محمد وآل محمد.



النفحة الخامسة

مجلس حضور السيدة فاطمة
سلام الله عليها في كربلاء



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب صلى الله عليك وعلى آلك المظلومين، صلى الله عليك سيدي ومولاي يا أبا عبد الله يا غريب يا مظلوم يا عطشان كربلاء مولاي يا أبا عبد الله يا رحمة الله الواسعة ويا باب نجاة الأمة روحي وأرواح شيعتك لك الفداء يا شهيد كربلاء لعن الله الظالمين لكم يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

مصابُ شهيد الطف جسميَ أنحلا ... وكدَّر من دهري وعيشي ما حلاَ
فما هلَّ شهر العشرِ إلا تجدّدت ... بقلبي أحزانٌ توسَّدُ في البلاَ
وأذكر مولاي الحسين وما جرى ... عليه من الأرجاسِ في طفِّ كربلاَ
ولم أنسَ زينب تستغيثُ إمامها ... أخي كنت لي حصناً حصيناً وحاميا
أخي يا قتيل الأدعياء كسرتني ... وأورثتني حزناً مقيماً مُطولاَ
أخي كنت أرجو أن أكون لك الفدا ... فقد خِبتُ فيما كنت فيه مؤملاَ
أخي ليتني أصبحت عميا ولا أرى ... جبينك والوجه الجميل مرمّلاَ
وتدعو إلى الزهراء بنت محمد ... أيا أمّ ركني قد هوى وتزلزلاَ
أيا أم قد قضى حبيبك بالعرى ... طريحاً ذبيحاً بالدماء مغسّلاَ
أيا أم نوحي فالحسين على القنا ... يلوح كالبدر المنير إذا انجلاَ

ونوحي على النحر الخضيب واسكبي دموعاً على الخدّ التريب المرملاَ

ونوحي على الجسم التريب تدوسه خيول الأعادي في كربلاَ

* * *

كأني بالزهراء سلام الله عليها كانت ترى هذا المشهد ولسان حالها يقول:

أنا أم حسن وحسين يل ما تعرفوني وأنا اللي هجموا على بيتي وعصروني

وأنا اللي رضوا ضلوعي وسقطوني وأنا اللي ناديت فضة من وراء الباب

أنا اللي وليدي ذبحوا على صدره رضيعه وبالخيل داسوا جثته ورضّوا ضلوعه

وأنا اللي أحضر وسط مأتم الشيعة وأبكي على ابني اللي انذبح بالغاضرية



ورد في زيارة أبي عبد الله عليه السلام : «**ما أعظم مصيبتك عند أبيك رسول الله وما أعظم مصيبتك عند من عرف الله**»[١] .

مصيبة أبي عبد الله عليه السلام عظيمة، ولكنها عظيمة في قلوب من عرف الله عزّ وجل وعرف رسوله الذي قال «**حسين مني وأنا من حسين**» .

فمن لم يجد في نفسه، في هذه الأيام، حزناً وكآبة ولا يشعر بعظمة مصاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام في قلبه لأنه إلى الآن لم يعرف بعد الله ورسوله، فهو يضحك ويأكل ويشرب وينام وكأن شيئاً لم يكن، عليه أن يشك في دينه، لأن هذا كله دليل على أنه لا يعرف الله عزّ وجل. لماذا؟ لأنه «**ما أعظم مصيبتك عند من عرف الله**»، فمن عرف الله عزّ وجل، سيكون مصابه مصاباً عظيماً بسيد الشهداء وهذا اليوم عنده أعظم من مصابه بموت وفقدِ أبيه وأمه وزوجه وَولده. لأن العارف بالله مذهول في هذا اليوم عن نفسه بل في كل يوم فبالنسبة له «**كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء**» .

وكل من يجد مصابه في هذه الدنيا أعظم من مصابه بمحمد وآله الأطهار عليهم السلام فهو بعيد كل البعد عن الله عزّ وجل وعن أهل المعرفة، ولا تنطبق عليه الآية الكريمة ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[٢]، ولو أننا صدقنا ما عاهدنا الله عليه من ولاية ومحبة ومعرفة محمد وآل محمد، التي أُمرنا بها ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا

(١) كامل الزيارات: ص٢٣٠.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[١] لكنّا الآن مع صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه، نحذو حذوه، نبكي معه صباحاً ومساءً، حتى نموت بلوعة المصاب وغصّة الإكتئاب، ولكن هذا لم يحصل بعد حتى الآن، ذلك لأن معاصينا تحول بيننا وبين ذلك. فكل معصية نرتكبها نخون بها العهد والوفاء لصاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه، ولهذا يجب علينا أن نجدد البيعة والولاء في كل مرة ندخل فيها إلى ولاية الشيطان الرجيم. وإن الموالي بتوليه أهل البيت عليهم السلام يصل إلى مقام العصمة والأمن من الشيطان وذلك يحصّله بمقدار توليه وعشقه فكما ورد عن الإمام الهادي عليه السلام أنه قال لأحد أصحابه: **«يا سهل إن لشيعتنا بولايتنا لعصمة، لو سلكوا بها في لجّة البحار الغامرة وسباسب البيداء الغابرة بين السباع والذئاب وأعادي الجن والإنس لأمنوا من مخاوفهم بولايتهم لنا»**[٢].

إن أهل البيت عليهم السلام نزلوا من عزٍّ قدس الله حتى يخرجوننا من ذلك السجن المظلم، فهذا علي بن أبي طالب عليه السلام خُضِبَت شيبته بدمائه، وهذه فاطمة سلام الله عليها قَبِلت بكسر ضلعها وإسقاط جنينها، وهذا الحسن عليه السلام قَبِلَ بأن يلفِظ كبده المسموم، وهذا الحسين عليه السلام رضي أن يُقطعُ رأسه ويُرفع على رأس رمح طويل، وهذه زينب رضيت بأن تسبى مع أنها زين أبيها، ولكن لماذا قبِلوا عليهم السلام بكل هذا؟ والجواب أنهم فعلوا كل هذا ورضوا به فقط من أجل رضا الله تبارك وتعالى، ومن أجل أن يخرجونا من الظلمات إلى النور، إلى ولايتهم، ليخرجونا من معاصينا فيصدق علينا **«ونشهد بأنّا قد طهرنا بولايتك»**[٣].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٢) الأمالي: للصدوق، ص٢٧٦.
(٣) الزيارة الممتحنة.

نعم أهل البيت عليهم السلام فعلوا كل هذا لأجلنا. ولكن السؤال يبقى هل أننا خرجنا من تلك الظلمات التي أدخلنا أنفسنا فيها؟ هل وجد علي عليه السلام صدىً لكل ما فعله لأجلنا؟ هل رددنا لهم الجميل؟ أم أنه ما زال يجد عندنا خيانة العهد ونكث الوعد والتردد في الرحيل عن هذه الدنيا الفانية والتعلّق بها والركون إليها والإستئناس بها بَدل الجنة الحقيقية والبيعة والولاية؟

ألأجل هذا خُلقنا أم لأجل الرحيل عن الدنيا؟ إلى مقرّنا الأبدي حيث نجلس بين يدي أبي عبد الله عليه السلام؟ فلا نأنس إلا بجماله وبنور محيّاه؟ لماذا إلى الآن لا نُصدّق بأننا لسنا من يرزق ويُربي، بل إن الله تعالى هو الرازق وهو المُربي، ويبقى همنا وغمنا التفكير بالرزق وينصبّ حرصنا في تدبير أمر العيال، أوليس هذا شكل من أشكال الشرك؟ أما آن لنا أن نفهم أننا نحن فقط وفقط وسائط لذلك الرزق والتدبير الإلهي، وإنما خلقنا للوصول إلى الله تبارك وتعالى بإحياء أمرهم وإقامة عزاء الحسين عليه السلام وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة سلام الله عليها: «**يخلق الله له شيعة يقيمون له العزاء جيلاً بعد جيل**» أما آن لنا أن نعرف أن الناس صنفان، أولياء لله أو أعداء له عزَّ وجل؟ ولكن من أي الصنفين نحن؟ فلنسمع هذه الرواية وهي نصيحة من أمير المؤمنين لنا. ورد في الخبر أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قال لأحد أصحابه عندما رآه مهموماً: «**ولا يكن شغلك الشاغل أهلك وولدك، فإن كانوا أولياء لله فالله أولى بأوليائه، وإن كانوا أعداءً لله فما شغلك بأعداء الله**». إذا بقيت الدنيا أكبر همنا فلن نبصر الحقيقة ولن نرى الأشياء على حقيقتها.

كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اللهم أرني الأشياء كما هي**».

«يقول أحد العلماء: كنت جالساً في مقبرة شيخان قرب ضريح السيدة المعصومة سلام الله عليها، وإذا بالعلامة الطباطبائي يدخل إلى قبر الشيخ

عباس القمي صاحب كتاب مفاتيح الجنان، الموجود في بيت كل موالي، وكان مهموماً مغموماً لا يتحدث إلى أحد، نظر إليّ وسلّم عليّ ثم قال: يا فلان، هذا اليوم (وقد كان يوم العاشر من المحرم) كل شيء يبكي على أبي عبد الله عليه السلام، فنظرت إليه متعجباً فقال لي: حتى هذا الحجر، وأخذ حجراً كان على الأرض وكسره ثم جعلني أنظر إليه فوجدت الدماء تسيل من ذلك الحجر».

هذا العالِم رأى الحجر باكياً، وهذا الأمر لا يتحقق لجميع البشر إلا للمؤمن، فالمؤمن فقط هو من يرى ذلك بعين الله سبحانه وتعالى وهذا مصداق الحديث: **«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بعين الله»**[1] أما الباقون ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾[2]، إن المؤمن يستطيع أن ينظر بتلك العين التي رأت بها زينب سلام الله عليها فأجابت حين سألها اللعين: كيف رأيت صنع الله بأخيك؟ قالت: **«ما رأيت إلا جميلاً»**.

هذا موقف واحد من مواقف السيدة زينب سلام الله عليها، تلك العزيزة المكرمة التي نجهل شأنها، فزينب سلام الله عليها هي تلك العالمة التي يقول الكثير من العرفاء الكبار بأنهم حصلوا على مقاماتهم منها سلام الله عليها، ومنهم السيد هاشم الحداد الذي يقول أنه حصل على مقامه من عمته زينب سلام الله عليها. فإن شأنُها وأهل بيتها مجهولٌ في هذا العالم ولا يمكن أن يقاس بهم أحد. أمير المؤمنين يتحدث مع أحد أصحابه ويدعى طارق فيقول له: **«الإمام يا طارق بشر ملكي وجسد سماوي وأمر إلهي وروح قدسي ومقام عليّ ونور جلي وسر خفي عالم بالمغيبات، خصاً من رب العالمين، ونصاً**

(١) بحار الأنوار: ٢٤/ ١٢٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

من الصادق الأمين، وهذا كله لآل محمد لا يشاركهم فيه مشارك»[١] إنطلاقاً من هذا الكلام ينبغي علينا أن نعرف أن أهل البيت عليهم السلام لا يقاس بهم أحد، وحتى أصحابهم لذا عندما يُذكر على سبيل المثال أن اثنين وسبعين رجلاً استشهدوا بكربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام لا يصح أن نقول: نحن أيضاً استشهد لنا مئة، وإذا استشهد رضيع الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء، فنحن قد استشهد لنا مئات وآلاف الأطفال. شهداء أبي عبد الله عليه السلام لا يُقاس بهم أحد وقد قال عنهم وبحقهم الإمام الحسين عليه السلام: **«لم أرى أصحاب أبَرّ ولا أوفى من أصحابي»**. فكيف بأطفال الحسين ونسائه عليهم السلام؟!! أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لا يمكن أن يقاس بهم كل الشهداء، أولئك الأصحاب الذين يقف عند قبرهم الإمام الصادق عليه السلام ويقول: **«بأبي أنتم وأمي ونفسي، طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم»**.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٢]، فإذا كانت ليلة القدر خير من ألف شهر، والشهر يحوي ثلاثين يوماً واليوم يحوي أربعاً وعشرين ساعة، فإذا كان هذا فضل ليلة القدر على كل الليالي والشهور فما بالكم بالطفل الرضيع الذي لو قُتل كل أطفال العالم ووضعوا في كفة من الميزان ووضعت قطرة دم من دمائه في الكفة الأخرى لرجحت كفة عبد الله الرضيع! ذلك لأن ليلة القدر هي فاطمة وهي خير من ألف شهر.

والطفل الرضيع خير من ألف طفل لأنه من الليلة، فكيف نقيسه بأطفالنا ونقيس شهداءنا بشهداء كربلاء؟ هذا سوء أدب مع أهل البيت عليهم السلام وهم

---

(١) مشارق أنوار اليقين: ص١١٤.
(٢) سورة القدر، الآية: ٣.

الذين يقول عنهم معاوية لعنه الله «**كبيرهم لا يقاس وصغيرهم جمرة لا تُداس**»، إذا كان معاوية يقول هذا فماذا نقول نحن الشيعة وقد ورد في الحديث «**إنّا أهل البيت لا يُقاس بنا أحد**»[١].

لنحط رحالنا عند زينب سلام الله عليها بنت علي ابن أبي طالب عليه السلام، والتي لو عرف الناس من هي لذهبوا لزيارتها حبواً على الثلج، فزينب، أيها الموالون لا تُقاس بالأنبياء ولا بخديجة ولا بمريم عليها السلام والتي عندما أخبرها جبرائيل بما سيجري عليها قالت: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾[٢] أما زينب سلام الله عليها لمّا رأت الشهداء والأصحاب وكل بني هاشم صرعى على رمال كربلاء، ورأت جسد الحسين عليه السلام وضعت يدها تحت جسده الطاهر قائلة: «**اللهم تقبل منّا هذا القربان**»، لهذا فإن زينب سلام الله عليها لا يعلو عليها أحد من النساء سوى أمها الزهراء سلام الله عليها والتي ورثت منها كل شيء «**بأبي التي ورثت مصائب أمها**».

والمتدبّر في خطبة السيدة زينب سلام الله عليها بالكوفة يرى أنها قد شملت نفسها بآية التطهير حين قالت في مجلس ابن زياد لعنه الله: «**الحمد لله الذي أذهب عنّا الرجس وطهرنا تطهيراً**»، لقد شملت نفسها مع أهل الكساء الذين نزلت بحقهم آية التطهير بقولها «عنا» وقد كانت آنذاك سلام الله عليها في أحشاء أمها فاطمة (يعني حامل بها).

لعل هذا الكلام هو شرك وكفر عند من لا يؤمن بمقامات محمد وآل محمد عليهم السلام وعند من ترسّخت فيه جذور المخالفين، وعند من أحاطت به

---

(١) بصائر الدرجات: ص٤٨١.
(٢) سورة مريم، الآية: ٢٣.

خطيئته، مع أن هذا الكلام هو عين مذهب التشيع. ومن لا يؤمن به سيصدق عليه حديث «**من لحق بي استشهد ومن تخلّف عني لم يبلغ الفتح**»[١] وإنه لن يشم رائحة جنتهم سلام الله عليهم.

ماذا عنت زينب سلام الله عليها بخطبتها في الكوفة أمام عبيد الله بن زياد لعنه الله حين قالت «**الحمد لله الذي أذهب عنّا الرجس وطهرنا تطهيراً**»؟ معناه واضح وجلي وهو دليل على أن زينب سلام الله عليها معصومة عصمة إلهية من الله تعالى فهي ظِلهم عليهم السلام وهم ظل الله.

بعد كل هذه السنوات التي مرّت من عمرنا، هل فكرنا من الذي حفظ الإسلام حفظ الولاية وحفظ زين العابدين عليه السلام في كربلاء وحفظ بحفظه باقي الأئمة التسعة حتى صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه؟ أليست زينب بنت علي بن أبي طالب سلام الله عليها؟

نعم، هي تلك المرأة العظيمة المكرّمة التي رأت الإمام زين العابدين عليه السلام يجود بنفسه ويتلفظ أنفاسه الأخيرة حين جمع الأعداء جثث الشهداء وصاروا يحزّون رؤوسهم الطاهرة أمام أعين النساء والأطفال، فكما تقول الرواية، لمّا رأى السجاد عليه السلام، وهو إمام الصبر ومعلّمه، أهله كالأضاحي مجزّرين وبينهم ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله بحالة تنفطر لها السماوات وتنشق الأرض وتخرّ الجبال منها، راح الإمام عليه السلام يتلفظ أنفاسه الأخيرة ويجود بنفسه فرأته الحوراء بهذه الحالة فخاطبته: «**يا بن أخي ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وأخوتي، والله إن هذا لعهدٌ من الله إلى جدك وأبيك ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون**

---

(١) مثير الأحزان: ص٣٩.

في أهل السماوات، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة والجسوم المضرّجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء عليه السلام لا يُدرس أثره ولا يمحى رسمه على القرون والليالي والأيام وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتدنيسه فلا يزداد إلا علواً».

إن كان الإمام السجاد عليه السلام لم يحتمل الحالة التي وجد أباه عليها حيث بقي ثلاثة أيام في العراء، نحره منحور والرياح ورمال الصحراء تدخل إلى جوفه حتى يبست أمعاؤه عليه السلام، فما بالكم بنساء أبي عبد الله عليه السلام اللواتي تذكر الروايات أنهن لمّا سمعنَّ صوت جواد الإمام، خرجن من الخيام تتقدمهن سكينة سلام الله عليها، لما رأت الجواد خالٍ والسرج عليه ملوياً والدماء تسيل منه، احتضنته وصارت تمسح على ناصيته وتأخذ دم الإمام الذي كان الجواد قد مرّغ به ناصيته وتسأله: يا جواد أُسُقيَ أبي أم مات عطشاناً؟ فصارت دموع الخيل تجري على حوافره.

فلما نظرن النساء إلى الجواد مخزياً والسرج عليه ملوياً خرجن من الخدور ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات وبالعويل داعيات، أين الحسن أين الحسين أين أبناء الحسين، وبعد العزّ مذللات وإلى مصرع الحسين مبادرات، أحطن بالحسين فواحدة تحنو عليه تضمه وأخرى عليه بالرداء تظلل، (أخذت ردائها وصارت تظلل الحسين عليه السلام من أشعة الشمس)، وأخرى بفيض النحر تصبغ وجهها، (صارت تأخذ من دم نحر الحسين وتصبغ شعرها ووجهها)، وأخرى له تقبّل وأخرى على خوف تلوذ بجنبه وأخرى لما قد نالها ليس تعقلُ، (فقدت عقلها لِما رأته في كربلاء) وواحدة تقول إلى أين يا أبانا وأخرى تقول إلى أين يا حمانا؟

هذه تقول: أبه يا حسين إذا أظلم الليل من يحمي حماي؟ إذا عطشت

من يروي ظمأي أبه يا حسين؟ . . . يقولون التفتت إلى عمتها زينب ثم قالت: أبه يا حسين قم وانظر إلى عمتي زينب المضروبة قم وانظر إلى أمي المسحوبة . . .

هذا وسكينة تحتضن جسد أبيها الحسين عليه السلام وهي تقول: أبه يا حسين من الذي خضّب الشيب العفيف؟ من الذي حزّ الرأس الشريف؟ ولم تزل تقول أبه يا حسين، حتى رفع الحسين يديه وضمها إلى صدره، تقول سكينة بينما أنا كذلك وإذا بصوت من منحر أبي، «بنية سكينة أقرئي شيعتي عني السلام، وقولي لهم إن أبي قد مات عطشاناً فاذكروه ومات غريباً فاندبوه» . .

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني أو سمعتم بشهيد أو قتيل فاندبوني

فأنا السبط الذي من غير جرم قتلوني وبجرد الخيل بعد القتل عمدا سحقوني

وبينما سكينة محتضنة لجسد أبيها الحسين عليه السلام وإذا بالشمر اللعين قد أقبل ومعه جماعة من الأعداء كلما أرادوا أن ينتزعوا سكينة من أحضان أبيها ما تمكنوا. فصاح الشمر لعنه الله بهم: ويلكم هذه عزيزة الحسين، والحسين لا يرفع يديه عنها، قالوا إذن ما نصنع؟ قال: ويحكم إجلدوها بالسياط، فصاروا يجلدون هذه اليتيمة وهي تلوذ بجسد أبيها:

بوية ردت أنصب مناحة عليك ليش العدى منعوني

ليش عيوني من تدمع بكعب الرمح ضربوني

إي والله يا بو اليمة عنك غصب مشوني

بوية برضاك لو رغمن عليك يجرني الشمر من بين إيديك

لكن معذور يل حزّوا وريدك

ثم أقبل اللعين إلى الحسين عليه السلام وبينما كان يجلس على صدر الحسين،

يقول الشمر: ما إن وضعت سيفي على نحر الحسين حتى سمعت صوت امرأة تئن وتقول:

حبيبي حسين، صوت من هذا؟

مناحاضرة ياحسين يبني ياريت ذباحك ذبحني

ساعدني على ابني يلتحبني

يقول الجمّال الذي كان مع الإمام الحسين عليه السلام: أعجبتني سراويل الحسين وأردت أن آخذها فاختبأت في مكان حتى لا يراني أحد، فلما جاء الليل وكان الإمام جثة بلا رأس على رمضاء كربلاء، خرجت من مخبئي وأتيت نحو الحسين وكان يضع يديه على سرواله فبحثت عن سيف فلم أجد، لكنني وجدت قطعة من سيف فأخذتها وبدأت أقطع يده اليمنى ثم قطعت يده اليسرى، يقول ذلك اللعين: بينما أنا كذلك أحسست وكأن الأرض ترتجّ والسماء تموج ورأيت أن رسول الله وفاطمة وأمير المؤمنين والحسن عليهم السلام قد قدموا عند جسد الحسين عليه السلام وسمعت فاطمة سلام الله عليها تبكي وتقول واولداه واحسيناه.

تقول الرواية في يوم العاشر من المحرم فاطمة سلام الله عليها نظرت إلى أبيها، قالت: أبه يا رسول الله هل تأذن لي بأن أنزل إلى الأرض لكي أزور ولدي الحسين؟ نظر إليها قال: يا فاطمة ننزل معك، نزلت فاطمة جلست بجنب الحسين، صارت تكلمه:

ولدي يا حسين . . . يا ثمرة كبدي . . . بالله أجبني . . . أنا أمك الزهراء . . . بني حسين قتلوك ومن شرب الماء منعوك، بني حسين ذبحوك وما عرفوا من أمك ومن أبوك.

ما انا الوالدة المذبوح ابنها طول الوقت ما بطّل حزنها

مصيبة ويشيب الطفل منها سبعين جثة بدور كلها

بالمعركة ما حد دفنها وزينب حدى الحادي بضعنها

ثم قالت سلام الله عليها: أبه يا رسول الله أتأذن لي أن أخضّب وجهي بدم ولدي حتى ألقى الله كذلك؟ فقال: خضّبي يا فاطمة ونحن معك.

صار رسول الله يأخذ من دم نحر الحسين ويخضّب شيبته الطاهرة.

ويروى أنه ما رفع حجر في تلك الفترة إلا ووجدوه ملطّخاً بالدم، ووجدوا حجراً مكتوباً عليه بالدم:

أنا درّ من السما نثروني يوم تزويج والد السبطين

كنت أصفى من اللجين بياضاً صبغتني دماء نحر الحسين

* * *

قضى وبسيف الشمر أرواه ورده عفير المحيا ممكّناً فيه حدّه

ولو أبصرت عيناك في الترب خدّه إذن للطمت الخدّ فاطم عنده

وأجريت دمع العين في الوجنات

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد اللهم إنا نعوذ بك من نزغات الشيطان الرجيم وكيده ومكائده ومن الثقة بأمانيه ومواعيده وغروره ومصائده، وأن يطمع نفسه في إضلالنا عن طاعتك وامتهاننا بمعصيتك أو أن يَحسُن عندنا ما حسّن لنا ويثقل علينا ما كرَّه إلينا، اللهم اخسأه عنا بعبادتك وأكبّه بدؤوبنا في محبتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



النفحة السادسة

خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة المنوّرة



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلّ الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب صلى الله عليك يا سيدي ويا مولاي يا أبا عبد الله غريب مظلوم كربلاء يا قتيل العدا ومسلوب العمامة والرداء يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

أحقاً يا حسين غداً سيأتي ... برأسك دون جسمك أهل بيتي
وأنت خلاصة الأديانِ مني ... وأنت وديعتي من بعد موتي
ولم تبكِ بيومٍ للممات ... كما تبكي عليك الآن ذاتي
أحقاً أن أهل البيت قتلى ... عطاشى ظامئون على الفراتِ
أحقاً أن زينب دون خدر ... وأن ابن اللعين سبى بناتي
أحقاً أن خيل الحقد داست ... عليك وأنت ملقىً بالفلات
أحقاً أن شمراً دون رفقٍ ... بسيفٍ حزَّ نحرك يا حياتي
فأغرقَ بالدماءِ الجسم حقداً ... ورأسك عائمٌ فوق القناةِ

* * *

ينهار جسمي من الحزن ينهار ... ودمع العين على الوجنات ينهار
عنك لا تجي بعد يا ريت يا نهار ... شمر وعداي تتفرّج عليّ

قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام **«إن يوم الحسين عليه السلام أقرح جفوننا وأسبل دموعنا وأذلّ عزيزنا بأرض كربٍ وبلاء»**[١] ما من عزيز إلا وقد ذلّ في كربلاء، وما من قلب إلا وانكسر لرزء الحسين عليه السلام، وما من موجود إلا وعبّر عن انكساره بطريقة تناسب طبيعته وجبلته وحقيقته. وسيبقى الوجود منكسراً، وسيبقى كلّ عزيز ذليلاً إلى أن يخرج معزّ الأولياء ومذلّ الأعداء. ألا وهو ذلك الغريب صاحب الأنّة، صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، الذي لا يقرّ له قرار، ومصيبة جدّه الحسين عليه السلام تُعرض عليه صباحاً ومساء فيبكي لها بدل الدموع دماً. لذلك ينبغي علينا أن نلتفت إلى صاحب العزاء وصاحب المصيبة ونتوجه إليه بالعزاء، وأنتم تعرفون أنه عندما يعقد عزاء على ميت ما، فإن كل من له علاقة بأهل هذا الميت يُسرع لمواساتهم ولمشاركتهم بالمصاب الذي ألمّ بهم لفقد عزيزهم، فترَوْنهم ينتظرون قدوم أصحاب العزاء للمبادرة إلى تعزيتهم ومواساتهم، وإن كل واحد منهم يعزي بمقدار محبته للفقيد. فكيف إذا كان صاحب العزاء هو بقية الله صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟ وكيف إذا كان المُعزّى به هو سلطان العاشقين، سلطان عالم الوجود حضرة سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام؟ وأيّ عزاء ينبغي أن يكون؟ وأي مواساة تلك التي ينبغي أن نتوجه بها؟!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **«إن الله عزّ وجل إطّلع على الأرض فاختارنا**

---

(١) الأمالي: للصدوق، ص١٢٨.

واختار لنا شيعة ينصروننا، يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا . . .»[١]، لذا فمن وجد قلبه يعتصر ألماً وحزناً وانكساراً دون أن يسمع المصيبة فهذه بشارة له. وهذا هو شأن الشيعي الحقيقي في العلاقة مع ساداته ومواليه أصحاب العزاء، لأنهم أصله وهو فرعهم عليهم السلام ولأنه شعاعهم، وإنما سمي شيعياً لأنه خلق من شعاع نورهم عليهم السلام، لذلك لا يمكن للشيعي الخالص مخالفة ساداته ومواليه. وقد قال إمامنا الصادق عليه السلام: «**أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا**»[٢]، فهذا طلب منهم عليهم السلام بأن نحيي أمرهم، ولست أدري إذا كنا نحن أهلاً لأن نحيي أمرهم سلام الله عليهم، فمن نحن حتى نحيي أمرهم؟ على كل حال، هم كرّمونا بهذه المكرمة وفضّلونا بهذا التفضيل لأنهم أهل الكرم والجود. فمن أحيا أمرهم، رحمة الله تتنزل عليه. وأنتم تعرفون أن دعاء الإمام مستجاب «. . . . **رحِم الله من أحيا أمرنا**» فالإمام يدعو لكل من يحيي أمرهم سلام الله عليهم بنزول الرحمة عليه.

لكن تتنزل هذه الرحمة الإلهية بمقدار إحياء هذا الأمر، فالذي يحيي أمرهم بظاهره (بجسده) تتنزل هذه الرحمة فقط على ظاهره، ومن كان إحياؤه لأمرهم بظاهره وباطنه فالرحمة تتنزل بهذا المقدار، أما من كان يحيي أمرهم عليهم السلام بظاهره وباطنه وباطن باطنه وخياله، وبعقله وسرّه وسرّ سرّه وكل مراتب وجوده فإن الرحمة الإلهية تتنزل عليه بتمامها وكمالها.

ولكن لا يمكن أن تتنزل هذه الرحمة الإلهية علينا إذا لم نتأدب بآداب هذا الإحياء، ومعلوم أن كل فريضة فرضها الله تبارك وتعالى علينا لها آداب ظاهرية وباطنية، وإذا لم نتحلّ بها لا يمكن أن ندخل إلى المحضر، ولا

---

(١) جامع الأخبار: ص١٧٩.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٢، ص٢١.

يمكن أن تخشع قلوبنا، وبالتالي لا يمكن أن تتنزل هذه الرحمة الإلهية على قلوبنا.

وإن أول أدب علينا أن نتأدّب به في هذه الأيام هو عدم إرتكاب المحرّم وإلا كيف تتصوّرون أن ندخل إلى محضر الإمام الحسين عليه السلام ونجتمع عنده ونحن نرتكب الذنب؟ ومعلوم أن المكان الذي يجتمع فيه المؤمنين ويُذكر فيه الله تبارك وتعالى ورسوله وأهل بيته عليهم السلام هو بمثابة الجامع أو المسجد.

فإذا ما دققنا بماهية المسجد ماذا نستنتج؟ ما هو المسجد؟ المسجد هو الجامع للناس، فهو الذي يجمع الناس على التقوى. ونحن الآن، كلنا مجتمعون في عزاء أبي عبد الله عليه السلام، والإمام الحسين هو الجامع لنا، أي لولاه لما اجتمعنا.

فهو بحدّ ذاته مسجد، لذلك أنتم تقرأون في دعاء الندبة «**أين جامع الكلمة على التقوى**»[1] والمقصود بهذه العبارة هو الإمام الحجة عجّل الله تعالى فرجه لأن الإمام هو الجامع. ولكن إعلموا أن الذي يريد أن يدخل إلى هذا المسجد أو المجلس يُطرَدُ مباشرة وذلك بمجرّد أن يستغيب أحداً من الجالسين فكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**المكوث في المسجد عبادة ما لم يُحْدِثْ، قيل: يا رسول الله ما الحَدَثْ؟ قال صلى الله عليه وآله: الغيبة**»[2]، لذا علينا بأنفسنا، ولندع الناس وشأنهم كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾[3]، فأنا أتيت لكي أعزّي صاحب الزمان عليه السلام وليس كي أنظر إلى هذا كيف يبكي وهذا كيف يصرخ وهذا وهذا

(١) بحار الأنوار: ج٩٩، ص١٠٦.
(٢) بحار الأنوار: ج٨٠، ص٣٨٤.
(٣) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

و . . . . ؟ لماذا أتتبع عيوب الناس؟ فإن من تتبع عثرات الناس بالمجلس يُحرَمُ مودة صاحب المجلس عليه السلام . فقد ورد «**من تتبع خفيّات العيوب حرمه الله مودّات القلوب**»[١] لذا علينا الحذر حتى لا تقسو قلوبنا فتجفّ دمعتنا ولا نكون من البكائين عليهم صلوات الله عليهم.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**كل البكاء والجزع مكروه ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليه السلام**»[٢].

«. . . . **فعلى الأطايب من آل بيت محمد فليبك الباكون وليصرخ الصارخون ويضج الضاجون ويعج العاجون . . .**»[٣] فالمؤمن هكذا ينبغي أن يكون حاله بإظهار البكاء والجزع والصراخ وهذا أضعف الإيمان.

وقد جاء في الخبر عن أبي هاشم الجعفري قال: خرج أبو محمد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في جنازة أبي الحسن الإمام الهادي عليه السلام وقميصه مشقوق، فكتب إليه رجل: من رأيت أو بلغك من الأئمة شقّ ثوبه في مثل هذا؟ فكتب إليه أبو محمد عليه السلام: «**يا أحمق وما يدريك ما هذا، قد شقّ موسى على هارون**»[٤]. تصوّروا، شخص يُشكل على إمام معصوم! أي مظلومية هذه؟ وكذلك الأمر في وقتنا الحاضر، فكثير من الناس يُشكلون ويعترضون ويشككون وينكرون مقامات وفضائل أهل البيت عليهم السلام وأوليائهم، المشكلة ذاتها.

وكما هو ثابت أن قول الإمام وفعله وتقريره حجة وما يفعله هو أمر من

---

(١) غرر الحكم: ص٤٢١.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٠٧.
(٣) من دعاء الندبة: مفاتيح الجنان.
(٤) رجال الكشي: ص٥٧٣.

الله عزّ وجل. أسألكم، إذا فقدت الأم ولدها ماذا تفعل؟ وإذا فقد الحبيب محبوبه ماذا يفعل؟ هل يلومه أحد إذا ما صدر منه هذا الفعل؟ وهل عرفنا ما هو الحب والعشق ومن هو الحسين بن علي عليه السلام ولم نفعل كإمامنا؟! ولكن فقط العشّاق يفهمون حقيقة كربلاء وما جرى بها، ومن يسكن فيها، وما هي حقيقة هذه المجالس الحسينية التي نعقدها. وإذا أردنا معرفة هذا الأمر فلنفكر ملياً بهذا المطلب الآتي:

من المعلوم أن كل فريضة فرضها الله عزَّ وجل علينا، فيها سر، الصلاة فيها سر وكذلك الزكاة، الحج، الخمس، . . . . كل عبادة فيها سر. وأنا عندما ألتزم بكل هذه العبادات بإخلاص أكون قد جمعت كل الأسرار وبالتالي أصل إلى سر السر بل أصل إلى سر الأسرار، والتي هي فاطمة بنت محمد سلام الله عليها وبالتالي أصل إلى الله تعالى. وأما عندما أجلس، حقيقةً في محضر الحسين بن علي عليه السلام والذي تحضر فيه فاطمة الزهراء سلام الله عليها، أصل إلى سر الأسرار وحقيقة الكل وكل الكل، وذلك بحضوري في مجلس الإمام الحسين عليه السلام وأكون قد وصلت إلى أعلى المراتب وتحققت بها، وهذا كله منوط بمدى معرفتي وحبي وولائي. ولكن انتبهوا، فهنا توجد مشكلة، إذ يقول الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله أحدهم ويدعى موسى بن بكر: إسأل الله لي الجنة. فقال عليه السلام: **«أنتم في الجنة فاسألوا الله أن لا يخرجكم منها. فقالوا: جُعلنا فداك، نحن في الدنيا. فقال عليه السلام: ألستم تُقرّون بإمامتنا؟ قالوا: نعم. فقال: هذا معنى الجنة الذي من أقرّ به كان في الجنة فاسألوا الله أن لا يسلبكم»**[1] فكثيرون هم الذين يدخلون إلى مجلس أبي عبد الله عليه السلام ولكن سرعان ما يخرجون من هذه

(١) المحاسن: ج١٠٥، ص١٢٢.

المجالس، ولكن ما السبب في ذلك؟ هذا ما بيّنه لنا الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «**إن الذنوب إذا تتابعت أتاها الختم**» ويكون هذا الختم كما قال تعالى على السمع والأبصار ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾[1].

وإن مرتكب الذنوب لو حضر ألف مجلس عزاء لا يمكن أن يتأثّر قلبه، وإن أعظم ذنب هو محبة أعدائهم وإنكار مقاماتهم وفضائلهم وبالتالي لا يمكن أن يذرف الدموع على أبي عبد الله عليه السلام، والسبب أنه غير مؤدب فهو يرتكب الذنب. وبالتالي فإنه سيُحرم من الدخول إلى محضر أبي عبد الله عليه السلام، لذلك يأتي العقاب. «**إلهي لا تؤدبني بعقوبتك ولا تمكر بي في حيلتك**»[2].

أقول لكم لو أتى صاحب الزمان عليه السلام وجلس في هذا المكان، جلس على هذا المنبر، فإنه ليس بحاجة لأن يسمعكم مجلس عزاء، يكفي فقط أن تسمعوا منه كلمة **يا حسين** فوالله لو تكلّم فقط بهذه الكلمة فإن قلوبنا لن تتحمل، لماذا؟ لأن كلامه نور يخرج من القلب ويدخل إلى القلب.

ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام: أنه قال لأحد أصحابه وكانوا آنذاك في شهر محرم الحرام: «**يا أبا بصير أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة بنت محمد؟**» **يقول أبو البصير: ما إن سمعت هذه الكلمات من صادق آل محمد عليه السلام حتى بكيت وما قدرت على النطق من البكاء وبقيت أبكي وأبكي، ثم قام الإمام عليه السلام إلى المصلى يدعو فخرجت من عنده على تلك الحال. فما انتفعت بطعام ولا شراب وما جاءني النوم وأصبحت صائماً**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧.

(٢) من دعاء للإمام زين العابدين عليه السلام مفاتيح الجنان.

وجلا[١]. هكذا تفعل المواعظ البليغة بأهلها، فالشيعي الموالي هذه هي حاله في شهر محرم الحرام، حزيناً كئيباً باكياً وبالتالي رحمة الله تنزل عليه كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**رحم الله شيعتنا لقد ساعدونا في طول الحسرة والبكاء والحزن على الحسين بن علي**»[٢] لذا علينا أن نعيد النظر بعلاقتنا وارتباطنا وإحيائنا لأمرهم سلام الله عليهم. وعلينا أن نواسي مولاتنا فاطمة سلام الله عليها كما يحبون هم، وهي التي لا يهدأ لها أنين. فكما ورد في الرواية أن فاطمة سلام الله عليها تشهق كل يوم شهقة واحدة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبي مرسل ولا مؤمن إلا ويبكي لشهقتها، . . . . وإنها لا تسكن حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول لها: بنية فاطمة لقد أشغلت الملائكة عن التسبيح والتقديس، فبكاء فاطمة سلام الله عليها يغيّر حركة الوجود، بل إن شهقة منها تشغل الملائكة عن التسبيح والتقديس، وأي تسبيح هذا؟

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**نفس المهموم لظلمنا تسبيح وهمّه لنا عبادة وكتمان سرّنا جهاد في سبيل الله فقال أبو عبد الله عليه السلام: يجب أن يكتب هذا الحديث بالذهب**»[٣] وإن القلب ليتفطر عند سماع هذا فكيف برؤيته؟ وإن الدمع لينهمر على الخدين حسرة وتأسفاً وتلهفاً وليس كثيراً لو أننا نموت بلوعة المصاب.

جاء في الخبر أن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**لكل شيء ثواب إلا الدمعة فينا**»[٤] فالدمعة فيهم سلام الله عليهم لا يُحصي ثوابها إلا الله عزّ وجل، ولكن لماذا مقام هذه الدمعة عالٍ جداً؟ فلنمعن نظر قلبنا بهذه الرواية الواردة

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٠٨.
(٢) بحار الأنوار: ج٤٣، ص٢٢٢.
(٣) أربعين حديثاً في البكاء على الإمام الحسين عليه السلام.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٤.

عن الإمام الحسين عليه السلام إذ يقول: «**أنا قتيل العبرة**»[١].

وفي رواية أنه نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى ولده الحسين عليه السلام وقال: «**يا عبرة كل مؤمن**»[٢] وهنا أتت الإجابة وذلك بأن هذه الدمعة هي أبو عبد الله الحسين عليه السلام، هذه العبرة هي الإمام الحسين عليه السلام. دموعكم هذه لا تمسحوها بشيء ثم ترمونه، بل اتركوها وامسحوا بها وجوهكم ومرّغوا بها جبينكم، فمن كان منكم مريضاً فليأخذ دمعة من هذه الدموع وليتناولها فإنه قسماً بالله سيُشفى من أمراضه، ومن كان عنده غم أو هم فبكى على الحسين بن علي عليه السلام ثم تناول هذه الدمعة فوالله إن قلبه سيتغيَّر.

إن الإستخفاف بهذه الدموع هو كفران بالنعمة، ولذلك بعض الأولياء في شهر رمضان يعقدون في وقت الإفطار مجلس عزاء ويبكون على الحسين عليه السلام ويفطرون على هذه الدموع فيتحوّل وجودهم إلى وجود حسيني.

إن لم يخشع قلبك بعد، فاسمع هذه الرواية النورانية والتي تكشف سرّ تجدد الحزن في شهر محرم الحرام فإنه «**في كل ليلة من شهر محرم الحرام ترفع الملائكة الثوب الذي سُلب من الحسين بن علي عليه السلام وبمجرّد أن ترفعه عن يمين العرش يبدأ الناس بالبكاء والعويل في دار الدنيا، وكلما ارتفع هذا الثوب كلما ازداد الحزن والبكاء، وفي يوم العاشر من المحرم ترفع الملائكة هذا الثوب إلى فوق العرش**»[٣]. وهنا يزداد الهم والغم وهنا يبدأ حزن فاطمة بنت محمد. ففاطمة سلام الله عليها هي راعية العزاء وهي أول من يبدأ بالبكاء. وهنا يبدأ المكروبون والعاشقون يندبون ويلطمون ويصرخون

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٢٢.
(٢) كامل الزيارات: ص١٠٨.
(٣) الخصائص الزينبية.

وتجري الدموع على الخدود، فيضج الضاجون ويعج العاجون وينادي المنادون من أعماق قلوبهم يا حسين.

وكما قال الإمام الصادق عليه السلام: **«من بكى وأبكى وتباكى وجبت له على الله الجنة»**[١]. وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: **«أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتى تسيل على خديه بوّأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً**[٢]**»** فهل تريدون الجنة؟ أم تريدون الجلوس مع محبوبكم ومعشوقكم الحسين بن علي عليه السلام؟ والله إن قلوبنا تنبض بذكرك يا أبا عبد الله، وإن أمك فاطمة الزهراء سلام الله عليها تشهد بذلك. فهي تتوسط كل مجلس يقام على ولدها الحسين عليه السلام وتدور على المعزّين تسألهم: أين دموعكم على ولدي الحسين؟ وإذا حضرت سلام الله عليها فسيحضر أبوها وبعلها وبنوها وصاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف الذي يجلس عند كل باب يُعقد فيه مجلس على الحسين بن علي عليه السلام لأنه يستحي من أمه فاطمة سلام الله عليها التي تتصدّر المجلس. سيدي يا صاحب الزمان، تعال واجلس في هذا المكان وأقم العزاء على سيد الشهداء، وأخبرنا أنت بالذي جرى في كربلاء فنحن لا نعلم إلا اليسير. لا نعرف إلا ما قاله الإمام زين العابدين عليه السلام: **«يوم العاشر من محرم ابيض شعر عمتي زينب واحدودب ظهرها»** أما الإمام الصادق عليه السلام فكان يخاطب أحد شيعته الذي سأله عن كربلاء ومصائبها فقال له: **«شيعتي ما أخفيناه عنكم أكثر بكثير مما أظهرناه لكم»**.

سيدي يا حسين عند أعتابك نحط الرحال، وعلى بابك نقف ننتظر منك

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٥.

(٢) كامل الزيارات: ص١٠٠.

نظرة كريمة إلينا تنقلنا بها إليك، وتحملنا إلى عالم محبتك وعشقك. سيدي يا حسين هل حقاً عزمت على الرحيل من مدينة جدك رسول الله ﷺ؟ سيدي أخبرنا كيف كان وداع جدك وأمك الزهراء سلام الله عليها وأخيك الحسن المجتبى عليه السلام؟ أيها المحبون؟! أُنظروا بعين القلب إلى مولاكم الحسين يقف عند قبر أمه فاطمة يريد أن يودعها، ولست أدري ما جرى في ذلك المكان. كأني به يقول:

أناديك وحق ضلعك المكسور ... تراني طلعت من الوطن مجبور

وبظني يا والدة انقتل بشهر عاشور ... ماني موعود أموت بذاك المكان

وجيت اليوم أودعك يا حنونة ... بدمع جاري وقلب مجروح

تقول الرواية ثم توجه إلى قبر رسول الله شاكياً له، هوى على القبر وصار يشمّه ويقول:

«السلام عليك يا جداه أنا الحسين بن علي، أنا ابن فاطمة فرخك وبن فرختك وسبطك الذي خلّفتني في أمتك، فاشهد عليهم يا رسول أنهم خذلوني وضيّعوني ولم يحفظوني وهذه شكواي إليك حتى ألقاك»، وفي الليلة الثانية عاد الحسين عليه السلام إلى قبر جده فصلى عنده وأخذ يدعو حتى قرب الصبح ثم وضع رأسه على القبر، وإذا بالحسين عليه السلام يرى رسول الله في عالم الرؤية قادم إليه مع كتيبة من الملائكة، ضمّ الحسين عليه السلام إلى صدره، شمه في نحره، قبّل ما بين عينيه، ثم قال له: «حبيبي يا حسين قرة عيني يا حسين، كأني أراك عن قريب مرملاً بدمائك مذبوحاً من الوريد إلى الوريد بأرض كرب وبلاء بين عصابة من أمتي وأختك زينب سلام الله عليها مسبية وأنت مع ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تروى وهم مع ذلك يرجون شفاعتي يوم القيامة».

تقول الرواية أن «إمامنا زين العابدين عليه السلام مرّ في أحد الأيام في سوق القصّابين حيث يذبحون الأغنام، رآهم يريدون أن يذبحوا كبشاً، سألهم الإمام هل تعرضون الماء على الكبش قبل أن يذبح؟ فقالوا له: نحن معاشر القصّابين لا نذبح كبشاً قبل أن نعرض عليه الماء، وجه وجهه نحو كربلاء وقال: أبه يا حسين، الكبش عندما يذبح يعرض عليه الماء ولكن عند ذبحك تُحرم من شربه». ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حبيبي يا حسين إن أباك وأمك وأخاك قد قدموا عليّ وهم مشتاقون إليك.

وكأني برسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

يا جدي يا حسين يا ريتني حاضر بوادي كربلاء يمك

وشدّنّ جرح البقلبك وخضّب شيبتي بدمك

ثم قال: إن لك في الجنان لدرجات لن تنالها إلا بالشهادة. فجعل الحسين عليه السلام ينظر إلى جده ويقول خذني إليك وأدخلني في قبرك كأني بالحسين عليه السلام يقول:

ضمني عندك يا جداه في هذا الضريح علّني يا جداه من بلوى زماني أستريح

* * *

يا جدي بالضريح وياك ضمني من بلوى زماني يا جدي فكني

يا جدي ذاب والله القلب مني وضاقت الدنيا عليّ

يا جدي بوسط لحدك ضمني وياك تراني الضيم شفته عقب عيناك

ثم مضى إلى قبر أخيه الحسن وودعه ورجع إلى منزله وجمع أهل بيته

وقصّ رؤياه عليهم. فلم يكن في ذلك اليوم أشد غماً وهماً ولا أكثر من باك وباكية من أهل بيت النبوة سلام الله عليهم.

يقول الراوي ثم خرج شبّان بني هاشم وعلى رأسهم العباس، واخذوا يخرجون النساء ويركبونهن في الهوادج. يقول الراوي: خرج شاب وخلفه امرأة تمشي على سكينة ووقار، فجاء بها إلى بعض تلك المحامل وأركبها، فسألت عنها قالوا لي: هو علي الأكبر بن الحسين وأمه ليلى. ثم خرج شاب آخر وخلفه امرأة موقرة أركبها في بعض تلك المحامل، فسألت عنها فقيل: إنه القاسم ابن الحسن وأمه رملة وهكذا ما زال في كل ساعة يخرج شاب وخلفه امرأة أو امرأتان حتى خرج شاب طويل القامة وجهه كفلقة القمر الطالع فسألت عن الجميع من هم قالوا: أما الشاب فهو قمر العشيرة أبو الفضل العباس عليه السلام وأما المرأتان فابنتا علي، زينب العقيلة وأم كلثوم سلام الله عليهما وكان قد دخل عليها العباس عليه السلام قال أخية زينب قومي واركبي الناقة . . .

على هذه الحالة من العز والوقار والجلالة خرجت زينب من المدينة، لقد كانت راية أبي الفضل العباس عليه السلام تظللها وتخفق فوق رأسها وأخوتها يحيطون بها، خرجت معزّزة مكرّمة، ولكن لهفي عليك يا زينب كيف رجعت إلى مدينة جدّك رسول الله؟ عادت زينب سلام الله عليها وقد احدودب ظهرها وابيضّ شعرها ونحل جسمها، عادت كسيرة القلب والخاطر، وفي القلب نار الحسرة والألم، أولاً حسرة وداع أخيها الحسين عليه السلام وثانياً لِما لاقت من كربلاء إلى الشام من مرارة الأسر والظلم والشتم وضرب السياط وسبّ أبيها أمير المؤمنين عليه السلام، عادت زينب سلام الله عليها ومتونها شاهدة على ما جرى عليها. لمّا وصلت إلى حي بني هاشم نادت الأطفال، جمعت الأيتام قالت لهم: إحملوا رايات السواد والبسوا

الأحزان. الأطفال صارت تسأل: عمة ما الخبر؟ قالت لهم: استقبلوا هذا الرجل القادم إلينا، وقد كان أخوها محمد بن الحنفية، قال الأطفال: عمة زينب وهل أبقت لنا كربلاء من باقية؟ قالت: بلى، هذا ابن والدي محمد بن الحنفية، لما سمع الأطفال ذلك ركضوا إليه، إرتموا في حجره قائلين: عماه يا محمد جئناك يتامى. عندها لطم وجهه وهو ينادي: واأخاه وآحسيناه حتى أغمي عليه، فنادى الناس الإمام زين العابدين وهم يقولون: قم يا علي أدرك عمك قبل أن تفارق روحه بدنه، إقترب منه الإمام عليه السلام، وضع رأس عمه في حجره وصار يبكي، فصارت دموع الإمام تنزل على وجه عمه، استفاق محمد بن الحنفية وقال بني علي أين والدك الحسين؟ نظر إليه الإمام وقال: عم يا محمد، أنا أيضاً جئتك يتيماً، وبينما هما كذلك وإذا بالحوراء زينب سلام الله عليها أقبلت تُكلِّم الإمام، التفت إليهما محمد بن الحنفية وقال: صوت من هذا؟ أأنت زينب الهاشمية؟ قالت: لا يا بن والدي، أنا زينب المسبية.

آه . . . . أنا مشيت درب المامشيته وقتّال خيه رافقيته

من إجا الوالي نخيته شتم والدي وانكر وصيته

وكأنها تخبر أخاها بما جرى ولسان حالها:

يا خوي الشمر والله هضمني ضربني على متوني وشتمني

لا إنكسر قلبه ولا رحمني والهضم يا بن أمي تعبني

* * *

أحبائي لو غير الحمام أصابكم عتبت ولكن ما على الموت معتب

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد . . اللهم إنك كلّفتني من نفسي ما أنت أملك به مني وقدرتك عليه وعليّ أغلب من قدرتي فأعطني من نفسي ما يرضيك عني وخذ لنفسك رضاها من نفسي في عافية برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآل محمد.



النفحة السابعة

مجلس السيدة فاطمة العليلة

عليها السلام



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك مولاي يا أبا عبد الله يا غريب يا مظلوم كربلاء، صلى الله عليك وعلى ابنتك فاطمة العليلة الغريبة الحزينة، لعن الله الظالمين لكم من الأولين والآخرين يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

ألـلـبـلايـا ولـلأسـقـام تُـبـقـيـنـي ... أم لـلـرزايـا ولـلآلام تُـذريـنـي

يـا والـدي مـن إذا سـافـرت يـرحـمـنـي ... ومـن مِـن الـخـوف والأهـوال يـحـمـيـنـي

وإن تـعـاظـمـت الـحُـمّـى عـلـى جـسـدي ... أغـيـر كـفـك مـاءُ الـعـيـن يـسـقـيـنـي

وأنـت تـدري بـمـا فـي الـروح يـا أبـتـي ... فـكـيـف يـا مُـبـتـغـى روحـي تـخـلـيـنـي

وحـدي ودارُك والأحـبـاب مـوحـشـة ... وكـل زاويـة فـيـهـا سـتـسـبـيـنـي

فـتـلـك أركـانـهـا فـيـكـم تُـذكـرنـي ... وتـلـك حـيـطـانـهـا عـنـكـم تـحـاكـيـنـي

وتـلـك صـورة عـبـد الله فـي حـدقـي ... كـأنـه يـا أبـي مـنـهـا يُـنـاغـيـنـي

فـكـيـف أنـسـاه لـيـت الـعـيـن مـا نـظـرت ... رحـلـكـم لـيـتـنـي وُسِّـدت فـي حـيـنـي

وذي سُـكـيـنـة لا أنـسـى مـودّتـهـا ... وكـيـف كـانـت عـلـى الـبـلـوى تُـواسـيـنـي

وعـمـتـي كـيـف أنـسـاهـا وقـد مـلـكـت ... قـلـبـي فـإن رحَـلَـت مـن ذا يـداويـنـي

يـا كـربـلا أخـذت الـكـل فـي عـجّـلِ مـني ومـا عـاد لـي مـن كـان يـواسـيـني

* * *

آه . . . شلون الدهر عن عيني بعدهم عـلـيـلـة ومـا يـقـل نـوحـي بـعـدهـم

أريـد أنـشـد هـلـي مـيـن إلـي بـعـدهـم لـو ظـلـوا قـتـلـى بـالـغـاضـريـة

* * *

آه . . . يـا نـاس لـيـش هـلـي فـاتـونـي بـديـار غـريـبـة راحـوا وضـيـعـونـي

عـلـى فـراق أهـلـي عـمـيـت عـيـونـي وظـهـري انـحـنـى ومـا أقـدر أصـبـر

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز الحكيم ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[١]، إن خزائن كل شيء في هذا العالم هي عند الله عزّ وجل وبيده، فعلى سبيل المثال: كربلاء، محبة أهل البيت، التوحيد، الولاية، العصمة، الطهارة، الرزق، كل هذه الأمور وغيرها أشياء موجودة في خزائن الله.

ولنحط رحالنا ونتكلم عن محبة أهل البيت عليهم السلام أو عن كربلاء، وننطلق من هذه الآية المباركة، وإن كربلاء التي نحن بصدد معرفتها ولأجلها نحضر في هذه المجالس هي من عند الله عزّ وجل ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾ وكربلاء هي شيء ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ الله عزّ وجل عنده خزائن كربلاء وينزلها من خزائنه على كل إنسان بحسب لسان حاله، بحسب محبته وعشقه كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾[٢] يعطينا ما نسأله، ولكن ليس ما نسأله بلساننا هذا الذي يخرج منه الكلام، فَرُبَّ سائل بلسانه أبد الدهر لا يُعطى هذه المحبة، ولكن يُعطاها من طلبها بقلبه وحقيقة وجوده.

إمامنا الصادق عليه السلام يقول لأحد أصحابه: «**يا بن النعمان إن حبنا أهل البيت ينزله الله من السماء من خزائن تحت العرش كخزائن الذهب والفضة ولا ينزله إلا بقدر**»[٣] لماذا بقدر؟ لأن هذا التنزل متوقف على حال الطالب

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.
(٣) تحف العقول: ص٣١٣.

لهذه المحبة، وعلى كل واحد منا أن ينظر إلى حاله ويراقب نفسه، هل هو يطلب الرزق المادي أكثر أم محبة أهل البيت أكثر؟ يطلب أن يكون بصحة جيدة ومرتاحاً أكثر أم محبة أهل البيت عليهم السلام؟ يطلب الجنة أو التوحيد والولاية؟ أم ماذا يطلب؟ فالذي نطلبه يعطينا إياه رب العالمين، محبة أهل البيت عليهم السلام ليست متاحة لكل شخص بل يحصل عليها فقط خير الخلق «**ولا يعطيه إلا خير الخلق**» . . . ولهذا «**من وجد في قلبه بَرد حبنا فليدعو لأمه أنها لم تخن أباه**»[١] فمحبة أهل البيت هي رزق من الله عزّ وجل ومن وجدها فليشكر الله تعالى وليشكر أمه.

الإمام الباقر عليه السلام يقول لأحد أصحابه: «**إحمدوا الله على أول النعم وعندما سُئل ما هي أول النعم؟ قال: الولاية**»[٢]، فهي أول النعم وآخرها وظاهرها وباطنها.

وكما ورد في الحديث: «**أن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن**»[٣]، ولكن يُعطى هذه الولاية والمحبة فقط خير الخلق. وكذلك الأمر بالنسبة إلى زيارتهم عليهم السلام والحضور في هذه المجالس، فهل تعتقدون أنه باستطاعة كل شخص أن يجلس في هذه المجالس؟ إنما يجلس فيها ويداوم عليها خير الخلق وهنا تكمن المسألة.

إذاً المحبة تنزل من الله عزّ وجل وهذا الأمر هو هبة ومنّة ورأفة ورحمة منه عزّ وجل. لاحظوا في دعاء الندبة نطلب من الله عزّ وجل أن يهب لنا رأفة ورحمة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه «**وهب لنا رأفته ورحمته ودعاءه**» مع

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٧، ص٤٦.
(٢) الأمالي.
(٣) القطرة.

الإشارة أن كل شيء يتنزّل بيد الله، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، وهل هناك مُلك أعظم من محبة أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام؟ فمحبة أهل البيت التي تريدونها، أين هي وعند من؟ إنها موجودة بيد الله، وكذلك الولاية موجودة بيد الله.

أنظروا كيف أن أكثر الناس في شهر محرم ينتقلون من مكان إلى آخر بحثاً عن مجلس يستأنسون فيه وتتأثر به قلوبهم، فينتهي شهر محرم وهم ما زالوا يبحثون ويفتشون مع أن الذي نبحث عنه هو في ذواتنا فكما ورد عن نبي الله عيسى عليه السلام: «**ليس العلم في السماء فينزل عليكم وليس في باطن الأرض فيخرج إليكم ولكنه مجبول بأنفسكم فتخلّقوا بآداب الروحانيين تجدوا هذا العلم**». وكما قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2]. والحصول على الحقيقة متوقف على ما في باطننا فكما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[3].

هذه الولاية وهذه المحبة لأهل البيت عليهم السلام، يعطيها الله تبارك وتعالى بحسب طلب وسؤال كل إنسان وبحسب استعداده، ولا يُعطى أكثر من استعداده لأنه لا يمكنه أن يتحمل.

أتت السيدة شاه زنان «شهربانو» أم الإمام زين العابدين عليه السلام إلى الإمام الحسين عليه السلام وقالت له: سيدي ومولاي أبا عبد الله أرني حقيقتك، قال: أيتها العزيزة المكرمة إنك لا تحتملين ذلك، قالت له: بلى، وأقسمت عليه

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢١.
(٣) سورة الرعد، الآية: ١١.

بحق أمه فاطمة سلام الله عليها. فكشف لها عن شيء من حقيقته وإذا بها يغشى عليها، وماتت فأحياها الله تبارك وتعالى، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[١]، صعقت شاه زنان كما صعق موسى عليه السلام مع فارق أن موسى صعق من نور سلمان أو من نور أحد الشيعة الكروبيين، أما مولاتنا شاه زنان رضوان الله عليها فإنها صعقت من نور الحسين عليه السلام، فتأمل. . . ، فهل عرفنا نحن من هو الإمام الحسين عليه السلام وكيف هو ولم نُصعق ولم نفعل كما فعلت شاه زنان رضوان الله عليها؟

ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: **«لو أننا ظهرنا على الصورة التي نحن عليها لما رآنا أحد إلا وقد مات»**[٢].

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال للمفضل: **«لو أذن لنا أن نعلم الناس حالنا عند الله ومنزلنا منه لما احتملتم»**[٣].

الرباب عليها السلام جرى معها الموقف نفسه الذي جرى مع شهربانو وطلبها رؤية حقيقة الإمام عليه السلام ولكن هل تعرفون كيف استشهدت عليها السلام؟ يقولون أنه عندما أخذوا السبايا محمّلين رأت الرباب ماذا فعلت أشعة الشمس بجسد الإمام الحسين عليه السلام وكيف أصبح جسده الطاهر مسودّاً من حرارة الشمس. يقول إمامنا زين العابدين عليه السلام: إن الرباب كانت تجلس في بيت في المدينة لا يقيها من حر ولا من برد حتى ماتت، هذا فقط لأنها رأت هذا المنظر. هي تعرف من هو الحسين بن علي عليه السلام أما نحن فلا نعرفه، قسماً بالله لو كنا نعرف الإمام الحسين عليه السلام لكنّا فعلنا كما فعل أصحابه.

---

(١) سورةالأعراف، الآية: ١٤٣.
(٢) الأسرارالحسينية: للشيخ الإحسائي.
(٣) المختصر: ص١٢٨.

أصحاب الإمام الحسين عليه السلام عرفوه لذلك قالوا له: سيدي أبا عبد الله بأبائنا أنت وأمهاتنا وأولادنا وأنفسنا. فنظر عليه السلام إلى زينب سلام الله عليها وقال لها: «**يا زينب لا خير في العيش بعد هؤلاء**»(١).

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**أتى الإمام الحسين عليه السلام رجل فقال: حدثني بفضلكم الذي جعل الله لكم. قال عليه السلام: إنك لا تطيق حمله، قال: بلى، حدثني يا بن رسول الله، إني أحتمله. فحدّثه بحديث، فما فرغ الحسين عليه السلام من حديثه حتى ابيضّ رأس الرجل ولحيته ونسي الحديث. فقال الإمام الحسين عليه السلام: أدركته رحمة الله حيث نسي الحديث**»(٢). ما الذي قاله له؟ لقد ذكر فضيلة من فضائله، فضيلة واحدة. هل نحن نعرف أبا عبد الله!!؟؟ نحن لا نعرف شيئاً، نحن فقط نعرف الدنيا، لذلك نتوجه إليها ونسعى لها ونكدّ في سبيلها أما لو عرفنا الحسين عليه السلام لكنّا توجهنا إليه وسعينا نحوه. نحن نعرف أنه إذا وقعنا بمصيبة فإننا ندعو وندعو ونتوسل كل ليلة وكل لحظة، لا نكلّ ولا نملّ ودموعنا تجري على خدودنا فننشغل بأنفسنا بدلاً من الإنشغال بمصيبة الحسين وعشق الحسين عليه السلام والفناء في محبة الله عزّ وجل.

إن البكاء على قدر المعرفة، والحزن على قدر المعرفة. أنظروا إلى أغلب الناس، ترون أن المهم بالنسبة إليهم هو لبس السواد فقط والأمور الظاهرية المرتبطة بعاشوراء، وهذا جيد ومطلوب، ولكن هذا لا يكفي بل ينبغي أن تكون المواساة ظاهراً بلباس السواد وباطناً بالحزن والهم فكما قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾(٣).

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٧٣.
(٢) الخرائج: ج٢، ص٧٩٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٨.

إن الذي يحبه الله يَصبغ قلبه أسودَ «بقلبي مأتمك يا حسين». حتى لو توقف عزاء الحسين عليه السلام في الظاهر، فإنه لا يتوقف عزاء الإمام الحسين عليه السلام بوجوده أبداً. لماذا؟ لأن قلبه حسينية ومأتم يعقد فيه العزاء على أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وهذهِ المحبة يمكن للإنسان أن يحصّلها تحصيلاً ويمكن أن ينالها بلا سعي، هبة من الله تعالى. فالمحبة رزق يسعى إليك ورزق تسعى إليه. فقد ورد أن زهير ابن القين كان أبغض شيء عنده هو رؤية الإمام الحسين بن علي عليه السلام وكان يهرب من الإمام الحسين عليه السلام أينما نزل، ولكنّ الإمام عليه السلام بعث إليه في المرة الأولى والثانية والثالثة . . . وفي المرة الأخيرة ذهب الإمام عليه السلام بنفسه إليه. الله أكبر، أرأيتم رحمة الله كم هي واسعة. يا رحمة الله الواسعة ويا باب نجاة الأمة. حبيبي يا أبا عبد الله، عدة مرات تبعث إلى زهير ابن القين فلا يأتي، ترى هل بعثت إلينا مرة واحدة كي نأتي إليك سيدي يا حسين بن علي؟.

فوالله يا مولاي لم نزدد في هذه الدنيا إلا هماً وغماً وحزناً وغربة.

الرواية تقول لما ذهب الإمام الحسين عليه السلام إلى زهير وأرسل وراءه، خرج من خيمة زوجته زهير لكنه رجع إليها حسين وهذا هو الفناء.

«إن حبنا أهل البيت ينزله الله من السماء من خزائن تحت العرش كخزائن الذهب والفضة ولا ينزّله إلا بقدر ولا يعطيه إلا خير الخلق، وإن له غمامة كغمامة المطر، فإذا أراد الله أن يخص به من أحب من خلقه أذِن لتلك الغمامة فتهطّلت كما تهطّل السحاب فتصيب الجنين في بطن أمه»[1].

---

(١) تحف العقول، ص٣١٢.

هذهِ هي المحبة تنزل من خزائن العرش فتصيب الجنين في بطن أمه. العلامة المجلسي عندما سئل عن علّة بلوغه وارتقائه وعلو مقامه، قال: بدعاء أبي الذي عرضت له حالة في ليلة من الليالي وقد علا صوت بكائي في تلك اللحظات فدعا لي أن أكون من خدام آل محمدﷺ هذا الرزق من الله عزَّ وجل. فإذا لم يكن لدينا نحن هذهِ المحبة فلنربِّ أولادنا عليها. التفتوا، **«أوثق عُرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»**[1] كما ورد عن رسول اللهﷺ، فالمحبة وحدها لا تكفي. إنما تمام المحبة هو بغض أعدائهم كما قال الإمام الصادقعليه السلام: **«كذب من إدعى أنه يحبنا ولم يتبرّأ من عدونا»**[2] وقد ورد أيضاً **«تمام التولي التبري»** فالذي ينظر إلى قلبه ولا يجد فيه بغضاً لأعدائهم، فليعلم أن هناك خللاً ونقصاً في محبته. بقدر ما يوجد في قلبك تولي لأولياء الله ينبغي أن يكون هناك وبالقدر نفسه براءة من أعداء الله و**«من تأثم أن يلعن من لعنه الله فعليه لعنة الله»**[3] كما قال رسول اللهﷺ.

ورد في الخبر أن أمير المؤمنينعليه السلام كان يمشي وإذا به يرى خياطاً يخيط وهو يدندن، قال له الإمام: **«يا هذا لو أنك قرأت القرآن لكان أحسن، إن صوتك جميل، قال الرجل: سيدي يا أمير المؤمنين أنا لا أحسن قراءة القرآن. تقول الرواية دنا منه همس بشيء في أذنه. يقول الخياط: لا أعرف ما الذي قاله لي ومنذ ذلك الحين وأنا حافظ للقرآن»**. هذا الحب يُلقى في القلب دفعة واحدة، ولكن هل الحب الذي عندنا سيبقى ويدوم؟ ورد في إحدى الروايات عن أبي الحسنعليه السلام قال لأحد أصحابه: **«إن الله خلق النبيين على**

---

(١) الكافي: ج٢، ص١٢٥.
(٢) بحار الأنوار: ج٢٧، ص٥٨.
(٣) الفوائد الطوسية: ص٥٦٠.

النبوة فلا يكونون إلا أنبياء، وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلا مؤمنين، وأعار قوماً إيماناً فإن شاء تمّمه لهم وإن شاء سلبهم إياه».
وقال عليه السلام: «**وفيهم جرت ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾**»[١]، وقال: «**إن فلاناً كان مستودعاً إيمانه فلما كذب علينا سُلب إيمانه ذلك**»[٢].

فهل تعتقدون أنه إذا وُجد بقلب واحد منا حب علي ابن أبي طالب عليه السلام فقد انتهى الأمر ووصل؟ . . . .

يمكن أن يكون الله قد أعاره إياه ولكنه عندما يكذب على الله وأهل بيته عليهم السلام فإنه عزّ وجل يسلبه هذا الإيمان . . . . الله أكبر ما هذا الخسران! تصوروا! نستجير بالله أن نحشر يوم القيامة وقد سُلب منا هذا الإيمان، ننظر إلى ابي عبد الله عليه السلام، هذا الذي كنا نحبه ثم أصبحنا من مبغضيه.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾[٣] ما هي الحسنى؟ إن الحسنى هي الولاية، أي وصدّق بالولاية ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[٤].

ماذا أَعطى؟ أَعطى صدق النية، إن الله يريد منا شيئاً واحداً فقط هو أن تكون نوايانا صادقة. الآن نحن جالسون في المجلس، قسماً بالله إذا كانت نوايانا صادقة لنزلت علينا الرحمة الإلهية بتمامها وكمالها، كما ورد في حديث الكساء «**نزلت عليهم الرحمة وحفّت بهم الملائكة واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا**»، ولكن هذا منوط بالنية الصادقة. هل حقيقةً نحن مستعدون مهما هُتكنا، وغُربّنا في هذهِ الدنيا لا أهل معنا ولا مِصر يأوينا ولو أننا قطّعنا إرباً

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٨.
(٢) الكافي: ج٢، ص٤١٨.
(٣) سورة الليل، الآية: ٥ ـ ٦.
(٤) سورة الليل، الآية: ٧.

كميثم التمار هل إن كل ذلك لا يهمنا؟ والمهم عندنا هو أن نحصل في هذا المجلس على محبة أهل البيت عليهم السلام وخدمتهم؟ هل هذا كل همّنا وغمّنا أم ماذا؟

أمير المؤمنين يقول لميثم التمار: «**يا ميثم كيف بك لو قطّعت يداك ورجلاك ولسانك. قال: سيدي أوَ على محبتك؟ قال: بلى قال: إذاً لا أبالي**». لذا ينبغي أن يكون لسان حالنا دائماً: بأبي أنت وأمي وأهلي وولدي ومالي يا أبا عبد الله، حتى ترضى عنا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله.

يُروى أن أحدهم قال للإمام الصادق عليه السلام: سيدي ومولاي عندما كنت في بيتي الليلة الماضية ودعوتك إلى مجلس أبي عبد الله عليه السلام كنت تجلس وسط المجلس، ولكن رأيتك وقفت وجلست عند الباب؟ قال: «**يا هذا كنتُ جالساً ولكن عندما دخلت جدتي فاطمة سلام الله عليها استحييت منها ووقفت إجلالاً لها وجلست عند الباب**».

لذا فإن الموالي عندما تتوفر فيه صفات كصفات ميثم التمار أو غيره من الأصحاب، عندها يُسمح له بالدخول إلى كربلاء ويسقيه الإمام الحسين عليه السلام بيده كأساً ريا روياً لا ظمأ بعده.

في العاشر من محرم قُطع الماء عن الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه فأصبح الأصحاب كالمجانين ومعلوم أنه كما يُقطع الماء بالظاهر فإنه يُقطع بالباطن أيضاً وهذا ما لم يحتملوه. وعرفوا بأنهم لن يشربوا من هذا الماء إلا بعد الشهادة، لذا تقدّموا الواحد تلو الآخر يطلبون الإذن بالمبارزة وعلى الموالين أن يعرفوا هذا الأمر لأنه يسري عليهم.

كان الأصحاب عطاشى وكان الإمام الحسين عليه السلام هو الذي يسقيهم كما

كان يفعل معه الرسول الأكرمﷺ حيث كان يُطعمه بوضع سبابته في فمه الطاهر أو لسانه كما تقول رواية أخرى.

كذلك ورد أنهعليه السلام كان يفعل ذلك مع أصحابه فقد ورد عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله: «**لما منع الحسين وأصحابه الماء نادى فيهم، من كان ظمآناً فليأتي، فأتاه أصحابه رجلاً رجلاً، فجعل إبهامه في فم واحد فلم يزل يشرب الرجل بعد الرجل حتى ارتووا كلهم، فقال بعضهم والله لقد شربنا شراباً ما شرب منه أحد من العالمين في دار الدنيا، ولما عزموا على القتال في الغد أقعدهم الحسينعليه السلام عند المغرب رجلاً رجلاً يسميهم بأسمائهم وأسماء آبائهم فأطعمهم وأكل معهم من طعام الجنة وسقاهم من شرابها**»[1] لكن لمّا جاء علي الأكبر يطلب الماء قال له الإمام الحسينعليه السلام: ضع لسانك على لساني «فما العلاقة بين الماء واللسان»....؟ ولمَا وضع علي لسانه في فم أبيه وجده جافاً! فالعجيب أنه حتى الحسينعليه السلام كان عطشاناً. لا يتصور من يدخل إلى عالم الحب والعشق أنه كلما عطش سيجد الماء. إن الذي يريد أن يدخل إلى كربلاء من الممكن أن يشتدّ عطشه فلا يُروى حتى يموت.

إحدى الروايات تقول أن الحسينعليه السلام يأتي إلى بعض المؤمنين عند موتهم ويسقيهم بيده شربة من ماء. سيدي يا أبا عبد الله نحن عطاشاكم فلا تخرجنا من هذه الدنيا حتى نُسقى بكأسك الأوفى، فمن لنا غيرك سيدي يا باب حطة المذنبين؟.

سيدي يا حسين متى سنصبح من أولئك الذين لا يحتاجون لسماع

---

(١) مدينة المعاجز: ج٣، ح٣٣، ص٤٦٣.

مجلس أو لمعرفة ما جرى في كربلاء حتى يبكوا عليك ويندبوك، بل يكفيهم سماع اسمك حتى يموتوا بلوعة المصاب، فتكون كلمة حسين وحدها مجلس بالنسبة لهم؟

مولاتي يا زينب نحن ما إن نسمع اسم الحسين بن علي عليه السلام حتى تهيج أحزاننا وتتحرك آلامنا، فكيف لو كانت من فمك الطاهر؟

ها هو موكب مولاكم الحسين عليه السلام قد عزم على الرحيل. هذا هو الوداع واللقاء في الجنة، إنه الفراق والملتقى يوم القيامة. كأني بأم البنين وأم سلمة ومحمد بن الحنفية وغيرهم قد صاروا يطوفون حول سيد الشهداء ولسان حالهم إلى أين يا حمانا، إلى أين يا رجانا. لا شك سيدي ومولاي يا صاحب الزمان أنك واقف في مكان ما تنظر إلى موكب بني هاشم بعين مملوءة بالدموع ونظرات حاسرة وقلب مكسور، راحلين دون عودة كأني بك تنظر إلى زينب ترى أبا الفضل العباس عليه السلام يرعى حبيبتك ويحفظها، ولكن سرعان ما تتصاعد زفراتك سيدي وآهاتك. كيف لا وأنت ترى رحيل جدك الحسين عليه السلام مع نسائه وأطفاله، مولاي بحق فاطمة العليلة إقبل منا عذرنا لتقصيرنا بحقكم وتجاوزنا الأدب معكم. سيدي إذا كانت ذنوبنا ستحول بيننا وبينك فأسألك بحق وداع الحسين لفاطمة العليلة، أسألك بخروج زينب عزيزة من مدينة جدها، أن تجعل دموعنا هذه كفارة لذنوبنا وأن تمسح على رؤوسنا كما مسح الحسين عليه السلام على رأس فاطمة، لنودع الحسين مع فاطمة على باب الدار كأني بها تقف على الباب تنظر إلى أبيها الحسين عليه السلام ودموعها تتحادر على خديها لماذا؟ لأن شعوراً من الأعماق يخبرها بأنه الوداع وليس بعده لقاء. توجهت إلى والدها وهي تقول: أبه يا حسين تتركني وحيدة غريبة في هذه الديار؟ أبه يا حسين خذوني معكم. ولسان حالها: أنا روحك فاطمة وتخليني يا غالي. . . .

يبوي حسين واياكم خذوني بعدكم يا هلي يعمن عيوني
وحدي بهالوطن لا تخلوني عليلة والجسم يلتظم بالسم

ترى ماذا يفعل إمامنا الحسين صاحب القلب الحنون، يرى دموع ابنته وهي عليلة الجسم رجع إليها ضمّها إلى صدره قبّلها وكأني به يقول لها: بنية لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة بنية فاطمة إذا وصلت إلى مقرّي سأبعث إليك عمك العباس أو أخاك علياً فيحملك إلينا:

ويلي من سمعها حسين رد من الظعن ليها
قعد يمها يصبرها وعلى الفرقة يسليها
يقلها يا ضياعيوني دمعتك لا تهلّيها

قالت فاطمة: أبه يا حسين إن نفسي تحدثني أن لا لقاء بكم بعد هذا اليوم ولكن يا أبه انتظرني ساعة حتى أودّع أعمامي وعمّاتي وإخوتي وأخواتي. فقال: شأنك يا بنتاه. أقبلت فاطمة تطوف على الهوادج. ودّعت عمّتها زينب، عمتها زينب الصغرى، أم كلثوم، أختها سكينة وفاطمة، رقية إلى أن وصلت إلى هودج أمها الرباب مدّت يدها تناولت أخاها عبد الله الرضيع من حجر أمه، ضمّته إلى صدرها وجعلت تقبّله . . .

تقله وداعة الله يا عيوني خوي شلون وحدي تخلوني
بالله وحدي لا تخلوني وعلى فرقاكم والله هدم حيلي

ومضى الموكب وبقيت فاطمة وحدها تجلس كل يوم عند باب الدار تنتظر رجوع أهلها حتى طال الانتظار، وإذا بإعرابي يأتي، فكتبت فاطمة رسالة إلى والدها وأرسلتها معه. لما وصل الأَعرابي إلى كربلاء سأل عن

الإمام الحسين عليه السلام وقد كان عليه السلام وحيداً فريداً يدير طرفه يمنة ويُسرى ينادي الأحباب والأصحاب. فسلّم هذا الرجل الكتاب إلى الحسين عليه السلام. فلما قرأه توجه للمخيم نادى: يا زينب يا أم كلثوم قالوا: أخي أبا عبد الله ما الخبر؟ قال: هلموا فقد وصل الكتاب وعظم المصاب. قالت له زينب: أخي أما المصاب فنحن فيه ولكن ممن الكتاب؟ قال لها: أخية زينب هذا كتاب ابنتي فاطمة تريد أن نرجع إليها وهي تسلّم على عمها العباس وها هو ملقى على نهر العلقمي بلا كفوف والسهم نابت بالعين، وتسلّم على أخيها علي الأكبر وها هو مقطع إرباً إرباً وتسلّم على أخيها عبد الله الرضيع وهو مذبوح من الوريد إلى الوريد. وظلّت فاطمة تنتظر جواباً لرسالتها .... مِتى بس يا والدي الوصل والقى منالي..

أتاها الجواب بعد مضي ايام .... لكن ما هو هذا الجواب؟ سمعت الناعي ينعى بالمدينة.

لما سمعت فاطمة صوت الناعي، كأني بها فتحت باب دارها وإذا بها ترى سواداً قادماً من بعيد، كلما اقترب هذا السواد أحسّت فاطمة باللوعة والألم، أمعنت النظر فإذا هي عمتها زينب قادمة إليها محدودبة الظهر، ما إن رأتها قالت لها: عمة زينب أين والدي الحسين؟ عمة زينب، أين عمي أبو الفضل العباس؟ عمة أين علي الأكبر والطفل الرضيع؟ ضمتها زينب إلى صدرها ودموعها تتحادر على خديها، وهي منحنية الظهر مكسورة القلب، تتكلم بضعيف الصوت، بنية فاطمة عظم الله لك الأجر بأبيك الحسين فلقد خلّفناه بأرض كربلاء جثة بلا رأس، عظم الله لك الأجر بعمك العباس وأخيك عبد الله. كأني بفاطمة وجهت وجهها إلى أبيها الحسين:

بوية كلمن لها غايب يجيها وأنا الوالهة الذبحوا وليها

كلكم فرد غيبة تغيبون لديباركم أيمتى تعودون
والله لقعد على درب لضعون واسايل ليرحون ويجون
كلمن لها غياب يلفون وأنا غايبي بالملحد مدفون

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد واجعل آبائنا وأمهاتنا وأولادنا وأهالينا وذوي أرحامنا وقراباتنا وجيراننا من المؤمنين والمؤمنات من الشيطان في حرز حارز وحصن حافظ، وكهف مانع، وألبسهم منه جُنَناً واقية، وأعطهم عليه أسلحة ماضية . . اللهم وأعمم بذلك من شهد لك بالربوبية، وأخلص لك بالوحدانية وعاداه لك بحقيقة العبودية واستظهر بك عليه في معرفة العلوم الربانية يا أرحم الراحمين بحق محمد وآله الطاهرين وصلى الله على محمد وآل محمد.



النفحة الثامنة

مجلس مسلم بن عقيل

عليه السلام



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك يا مولاي يا أبا عبد الله صلى الله عليك وعلى ابن عمك مسلم بن عقيل يا غريب الكوفة يا غريب الديار، صلى الله عليك يا من واسى الحسين، بغربته وعطشه لعن الله الظالمين لكم يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

عينُ جودي لمسلم بن عقيل ... لرسول الحسين سبط الرسولِ
لشهيد بين الأعادي وحيد ... وقتيل لنصرِ خير قتيلِ
جاد بالنفس للحسين فجودي ... لجوادٍ بنفسه مقتولِ
أخبر الطهر أنه لقتيل ... في ودادِ الحسين خير سليلِ
وعليه العيون تسبل دمعا ... هو للمؤمنين قصد السبيلِ
وبكاه النبي شجواً بفيض ... من جوى صدره عليهِ هطولِ
قائلاً إنني إلى الله أشكو ... ما ترى عترتي عقيب رحيلي
فابك من قد بكاه أحمدُ شجوا ... قبل ميلاده بعهد طويلِ
وبكاه الحسين والآل لمّا ... جاءهم نعيُه بدمعٍ هَمولِ
كان يوماً على الحسين عظيماً ... وعلى الآل أي يوم مهولِ

كأني بطفلة مسلم لما علمت بشهادة أبيها وجهت نداءها لعمها الحسين عليه السلام :

آه . . . . قلبي من الحزن شايل علامة تحط إيدك على راسي علامَ

يعمي لليتم هذه علامة وظني أبوي انقتل وانقطع بيّ



قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز الحكيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[1] نحن في هذه الدنيا التي خُلقنا فيها أصبحنا سجناء ببعدنا عن الله عزّ وجل كما دودة القز التي تنسج على نفسها ما تنسجه ثم تموت، قاصرة أقدامنا عن الوصول إلى جناب قدسه، وقاصرة أيدينا عن الوصول إلى أُنسه، وإن حبّنا لأنفسنا وللدنيا قد حَجبنا عن محبته وعشقه وولايته، وإن أعمالنا الشيطانية قد صيّرت قلوبنا مهجورة عن التوجه إلى وجهه الكريم. لقد نسجنا لأنفسنا سلاسل البعد والهجران فأصبحنا مقيّدين مأسورين، اللهم إلا إذا أتتنا بارقة إلهية تجذبنا جذبة علوية نذهل بها عن أنفسنا وننقطع إلى الله عز وجل كمال الانقطاع «**إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حُجُبَ النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا مُعلقة بعز قدسك**»[2]، فبانقطاعنا إلى الله تعالى من الممكن أن نرى ونبصر بقلوبنا الحقيقة الفاطمية والعلوية والمحمدية. وعندما لا نطلب شيئاً سوى الباري عزَّ وجل، نخرق كل الحُجُب النورانية، ونصل حينها إلى معدن عظمة الله عزَّ وجل ونُمحى ونُدهش بسرّه المكنون ونقترب من العلي الأعلى، وهذا لا يمكن أن يكون إلا إذا حططنا رحالنا في كربلاء ودخلنا إليها، فهناك تحصل عملية الفناء، حيث تفنى أفعالنا أولاً بأفعال سيد الشهداء ثم صفاتنا بصفات سيد الشهداء عليه السلام ثم تُفنى ذواتنا وتُمحى وتدهش بذات

(١) سورة فاطر، الآية: ٥.
(٢) بحار الأنوار: ٩١/ ٩٨.

سيد الشهداء عليه السلام، ولأن ذات سيد الشهداء فانية بذات الله عز وجل، فإننا بفنائنا به صلوات الله عليه نكون قد وصلنا إلى الفناء بالذات الإلهية تبارك وتعالى، وكما قال أحد العرفاء لأحد تلامذته: «**لك وجود بقدر توحيدك**».

ولكن الذي يريد أن يحط رحاله في كربلاء، سيجري عليه ما جرى على سيد الشهداء عليه السلام كل بحسبه، حيث أنه سيُسلب ويُهتك ويُشرّد، وهذا ما يؤكده الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام عندما قال له رجل: «**والله إني لأحبكم أهل البيت. قال له عليه السلام فاتخذ للبلاء جلباباً، فوالله إنه أسرع إلينا وإلى شيعتنا من السيل في الوادي، وبنا يبدأ البلاء ثم بكم، وبنا يبدأ الرخاء ثم بكم**»[١]. وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[٢] **قال: آمن بما جاء محمد صلى الله عليه وآله، وعمل صالحاً قال: أداء الفرائض. ثم اهتدى إلى حب آل محمد. وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ولا يزال محبنا منفياً مؤذياً منفرداً مضروباً مطروداً مكذوباً محزوناً باكي العين حزين القلب حتى يموت وذلك في الله قليل»**[٣].

وبعدما نُمحى ونُدهش بذات الحسين بن علي عليه السلام، نكون قد أخرجنا أنفسنا من العدم إلى الوجود، ويكون لنا وجودٌ هناك في الآخرة بقدر ما عندنا من فناء وذوبان بذات الإمام الحسين عليه السلام، وإذا لم يتيسّر لنا هذا المحو والفناء فإن ذلك بسبب حبنا لأنفسنا «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**»[٤]، وكما جاء في الحديث: «**المعونة تنزل من السماء على قدر المؤونة**»[٥]، أي على

---

(١) بحار الأنوار.
(٢) سورة طه، الآية: ٨٢.
(٣) بحار الأنوار: ج٢٧، ص١٩٨.
(٤) مستدرك الوسائل: ج١٢، ص٣٨.
(٥) من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص١٦٦.

قدر المؤونة تأتي المحبة من الله عز وجل، وعلى قدر المحبة والمعرفة يأتي الفناء والتوحيد، وعندها نخرج من عدم الدنيا إلى وجود (الآخرة) إلى وجود الحسين عليه السلام.

ينبغي أن نعلم أننا كلنا أكلنا من تلك الشجرة من دون إذن الله تعالى والتي أنزلتنا من ذلك العالم ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] وهذه الشجرة يُعبّر عنها بمقام محمد وآل محمد عليهم السلام. لذا ينبغي علينا أن نتطهّر من خطيئتنا، ولكن كيف تتحقق هذه الطهارة؟ «**فاشهدي أني طاهر بولايتك**» فطهور المعصية الكبيرة إنما يكون من خلال التولي بولاية فاطمة سلام الله عليها.

إن كل العلوم والمعارف التي نتعلّمها وندرسها لا يصبح لها قيمة إلا عندما تخرجنا من الظلمات إلى النور المطلق، إلى ولاية محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله، ونحن إلى الآن مع كل الذي عرفناه لا نعرف كل شيء، ولكن السؤال هل أصبح باطننا متحققاً بما قد تعلّمناه وفهمناه؟.

لقد سمعنا الكثير مما جرى في كربلاء ولو كنا أحياء فعلاً لكنّا بمجرّد أن سمعنا مجلساً واحداً، حصل لنا ما حصل لأهل الكهف، فما الذي سمعوه حتى ماتوا كلهم في لحظة واحدة واستفاقوا بلحظة واحدة؟ يقول إمامنا الصادق عليه السلام: «**لو عرفتم عظم هذه المصيبة لزهقت أرواحكم**».

لقد نوديَ فينا بالرحيل وزادنا إلى الله قليل، تقول الروايات أنه عندما يصبح عُمر الإنسان ثلاثين سنة يُنادى بنداء، وعندما يبلغ الأربعين سنة يأمر الله ملائكته أن يشدّدوا عليه وذلك لأن الحجة تكون قد ألقيت عليه بشكل كامل، وعندها إما أن يُبعث نبياً أو شقياً.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٨.

إن العمر بات قصيراً وأيامنا معدودة، فإذا كانت أعيننا حتى الآن لم تكتحل بالنظر إلى قائم آل محمد عجّل الله تعالى فرجه، فهذا معناه أننا ما زلنا خارج المحضر الإلهي.

فمع كل مجلس نسمعه ينبغي أن تُمحى أنفسنا وتُفنى وتموت بمرتبة من المراتب، ولكن ما دمنا نرى أنفسنا فلن نرى الجميل، فكما يقول ذلك العارف:

بيني وبينك إنيّ يُنازعني فانزع بلطفك إنيي من البين

وهذا المحو يتبعه الصحو، وهو أن نحيا عندهم سلام الله عليهم، فالصحو هو البقاء الذي يُسبَق بالفناء الذي علّمنا إياه الإمام الحسين عليه السلام، الذي توجه إلى كربلاء لكي يُعلّم العشاق كيف يعشقوا، ويُعلم الموحدين كيف يوحّدون، كي يُعلّم المحبين كيف يحبون «**إلهي تركت الخلق طُراً في هواك، وأيتمت العيال لكي أراك، فلو قطعتني بالحب إرباً لما مال الفؤاد إلى سواك**».

ولكن هذا التعلّم له شروط، أولها البذل «**من كان فينا باذلاً مهجته**»[1]، هذه مقولة الإمام الحسين عليه السلام التي ما زال يرددها حتى الآن ولكن هل هناك من يسمع؟ يسمعها فقط ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[2]، فلو كنا من أهل القلوب لسمعناه وأجبناه. ولو علم الله فينا خيراً لأسمعنا ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾[3].

السلام عليكِ يا فاطمة. مولاتي يا زهراء . . . . أيتها الصدّيقة الطاهرة

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٦.
(٢) سورة ق، الآية: ٣٧.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٣.

سلام الله عليك، يا من تتوسطين كل مجلس يقام على ولدك الحسين عليه السلام، مولاتي أقذفي في قلوبنا محبة الحسين عليه السلام وعشقه والفناء به، فأنتم لا تردّون أحد عن بابكم صلوات الله عليكم.

يقول إمامنا الصادق عليه السلام **«من أراد الله به خيراً قذف في قلبه حب الحسين ابن علي عليه السلام وحب زيارته»**[1].

هذا اليوم كما هو معروف عند أرباب المقاتل هو يوم مسلم بن عقيل الذي كان أول شهيد استشهد مع الإمام الحسين عليه السلام. فبعد وصوله إلى الكوفة التي غدر به أهلها، بعدما تخلّفوا عن ابن بنت رسول الله وأصبحوا يفضلون المال على نصرة دين محمد صلى الله عليه وآله، أضحى مسلم وحيداً يمشي في أزقّة الكوفة، لا يجد أحداً يدلّه على الطريق وبعد أن أنهكه العطش وقف أمام أحد الديار فأحسّت صاحبة الدار بوجوده وكانت تدعى طوعة، تعالوا نقف بعين القلب مع مسلم على باب تلك المرأة الجليلة طوعة، نلوذ بمسلم، نتعلم منه كيف نحب ونفدي إمامنا عليه السلام، كيف نكون مخلصين، كيف نواسي بغربتنا غربة إمام زماننا وندعو أن لا نكون مثل أهل الكوفة، نغدر بإمامنا . . .

أترانا نغدر بك يا صاحب الزمان . . .

أترانا ندعوك ونقاتلك . . .؟! إن كنّا كذلك فخذ أرواحنا في هذه الساعة.

تقول الروايات خرجت طوعة ظناً منها بأنّه ولدها وإذا بها ترى سيداً جليلاً واقفاً على باب بيتها، قالت له: يا عبد الله ماذا تريد؟ قال لها: أمة الله، هل لي بشربة من ماء؟.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢، ص٤٩٦.

أتت له بالماء فشرب ثم دخلت دارها. وبعد لحظات عادت إلى الباب فوجدته ما زال واقفاً قالت له: يا هذا أما شربت الماء؟ قال: بلى. قالت له: إذاً امضِ إلى أهلك وبيتك وعشيرتك.

لمّا سمع مسلم بالأهل والعشيرة تذكر علي بن أبي طالب عليه السلام، تذكر فاطمة الزهراء سلام الله عليها، تذكر الحسن عليه السلام، تذكر الحسين الغريب، هذه هي عشيرته.

فقال لها ودموعه تتحادر على خديه: أمة الله أنا غريب ليس لي في هذا المصر أهل ولا عشيرة، لست أدري لماذا بكى؟ هل تذكر مصاب فاطمة سلام الله عليها أم غربة علي بن أبي طالب عليه السلام؟!.

يـقـلـهـا ودمـوعـه غـزيـرة أنا غريب لا أهل عندي ولا عشيرة

غـريـب وعـمـامـي بـغـيـر ديـرة ومـثـل حـيـرتـي مـا جـرت حـيـرة

قال لها: هل لك بمعروف ولعليّ مكافئك يوم القيامة؟ قالت له: يا عبد الله، من أنت حتى تكافئني يوم القيامة؟

قال: أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، رسول الحسين بن علي عليه السلام، كذَّبني هؤلاء القوم وأخرجوني من دياري ثم خذلوني ولم ينصروني وتركوني وحيداً، أدخلته دارها. قدمت له طعاماً فلم يأكل، هذه آخر ليلة وغداً اللقاء قضاها بالصلاة والدعاء إلى الفجر وكان لهذه المرأة ولد غرّه مال ابن زياد (لعنة الله عليه)، عندما علم بوجود مسلم في دارهم أخبر عُبيد الله بن زياد (لعنة الله عليه)، فأرسل اللعين عدداً من الأعداء وحاصروا البيت. أخبرته طوعة بذلك وقالت له: ما رأيتك نمت ليلة أمس قال لها: إعلمي أنه قد غفت عيني فرأيت عمي أمير المؤمنين عليه السلام، (ما رأيته منذ سنين) وهو يقول لي

العجّل العجّل عجّل إلينا، وما أظنه إلا أنه آخر أيامي. فخرج إليهم عازماً على القتال. أخذ الأعداء يجتمعون عليه من كل حدب وصوب فرقة يضربونه بالحجارة وفرقة بالسهام والنبال. تقول الروايات أن نساء أهل الكوفة إجتمعوا وصاروا يضربون مسلم بالحجارة من على سطوح منازلهم وكانت طوعة تقف وبيدها قدح من الماء تقول: سيدي إشرب الماء فيشرب ويرجع لمحاربتهم وبينما هو كذلك إذ حفروا له حفرة وستروها بالتراب وبينما هو يقاتلهم إذ سقط في الحفرة، فحملوا عليه من كل جانب قيّدوه وأخذوه إلى ابن زياد . . .

هذا وطوعة تخاطب مسلم كيف أنظر إلى وجه عمك علي بن أبي طالب أتقتل وأنت ضيفي؟ ولسان حالها . . .

ظلت تناديهم يا هل كوفان ارحموه هذا ابن أخو الكرار لا تسحبوه

صاحت يا مسلم يا عظيمة خجلتي بيك وأنا حرمة وضعيفة ما أقدر أحميك

تقول الرواية كانت الدماء تسيل من ثغر مسلم وكأنه أراد أن يواسي أبا عبد الله عليه السلام بذلك السهم الذي أصاب ثغره قال مسلم: إسقوني شربة ماء جاؤوا له بالماء وكلما أراد أن يشرب امتلأ الوعاء بالدماء، فمسلم بطلبه هذا أراد أن يعرف هل أنه وصل إلى مقام صار هو والإمام واحداً في الحقيقة، فطلب كوباً من الماء حتى يعاين مدى توحّده بمحبوبه ومدى انتقاشه بذات الحسين عليه السلام، وإلا فإن آثار عالم الطبيعة لا تؤثر في أي وقت على وجود الأولياء. وكيف لمسلم أن يشرب ومحبوبه يحرم من الماء ويتلظّى ويموت عطشاً؟ كأني به توجه إلى الإمام الحسين عليه السلام قائلاً:

كيف أشرب سيدي وتموت أنت عطشاناً؟ ثم بكى مسلم فقيل له: هل

مثلك يبكي؟ قال: والله لا لنفسي أبكي لكن أبكي لأهلي المقبلين أبكي للحسين والعباس أبكي لزينب والأطفال . . .

آه . . . وين الذي يوصل بهالحين لأرض مكة ويخبر حسين

مسلم وحيد وما إله معين كتفوه وظل يدير العين

كأني بمسلم رضوان الله تعالى عليه يقول حينها:

يا حسين ردّوا لا تجوني خانوا أهل الكوفة بعدما بايعوني

وللفاجر ابن زياد سلموني وإنتوا يا هلي عني بعاد

ثم صعدوا به إلى أعلى القصر قالوا له: هل عندك حاجة قال: بلى، وجّه وجهه إلى ناحية الحسين عليه السلام قائلاً: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين.

إلك أبعث يبوا اليمة سلامي وهاي آخر حياتي يا إمامي

من فوق القصر يرموني ظامي وحيد وحاطت الظلام بيّ

لنسلم مع مسلم على حبيبنا الحسين عليه السلام، السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا بن رسول الله، طوعة كانت تنتظر ماذا سيفعلون بمسلم؟ وإذا بهم يقطعون رأسه ويرمون به من أعلى القصر. فوقع على الأرض جثة بلا رأس . . . رحم الله من نادى وامسلماه واغريباه . . . لكن الفجيعة كانت عندما وصل الخبر إلى إمامنا الحسين عليه السلام، فمصاب مسلم كان أول المصائب التي أبكت أبا عبد الله عليه السلام وزينب سلام الله عليها، وكان لمسلم ابنة تدعى حميدة، فدعاها الإمام عليه السلام لما دخلت الخيمة تارة تنظر إليها زينب سلام الله عليها وتبكي وتارة تنظر إليها أم كلثوم وتبكي، جعل الإمام

يلاطفها، أجلسها في حجره وصار يمسح بيده على رأسها ويعطف عليها فاستشعرت المصيبة وقالت: يا عم مالي أراك تعطف عليّ عطفك على اليتامى فهل أصاب والدي مكروه؟

عـــمـــي قـــلـــي أبـــونـــا مـــن زمـــان مـــا بـــيـــن عـــلـــيـــنـــا

وأخـــبـــار مـــنـــه مـــا تـــجـــيـــنـــا يـــعـــمـــي يـــمـــكـــن بـــويـــه ذابـــحـــيـــنـــا

كيف يكون حال الحسين عليه السلام في هذه اللحظات رقّ لها وقال: بنية لا تحزني فلئن أُصيب والدك فأنا أبوك وبناتي إخواتك . . .

سـمـع ونـهـا الـحـسـيـن وحـن عـلـيـهـا وغـدا يـنـادي يـا زيـنـب سـكـتـيـهـا

يـا خـتـي قـطـعـت قـلـبـي بـحـكـيـهـا يـتـيـمـة والـيـتـم عـالـطـفـل يـصـعـب

نفس هذا الموقف جرى لسكينة سلام الله عليها إذ قالت له: أبي يا حسين إنزل من على ظهر جوادك فنزل الإمام عليه السلام كانت تريد منه أن يفعل معها كما يفعل مع اليتامى، فطلبت منه أن يجلس على الأرض وجلست في حجره، ثم أخذت يده وصارت تمسح بها على رأسها، كأنّها تقول له: أبه يا حسين إمسح على رأسي كما تمسح على رؤوس اليتامى، أبه يا حسين بعد ساعة من يمسح على رأسي، بعد ساعة رأسي سيُمسح بضرب السياط، أبه يا حسين إمسح على رأسي قبل أن تسوّد متوني من ضرب السياط، بعد ساعة لا يوجد من يرق قلبه عليّ، لن أرى إلا شمراً وعمر بن سعد يحيطون بي يشتموني ويضربوني، أبه يا حسين هذه آخر مرة أناديك بها يا حسين فتجيبني بعطف وحنان لكن بعد ساعة. . . .

آه . . . .

أنـا إن صـحـت بـوي يـضـربـونـي وأنا إن ناديت باسمك يا حسين يشتموني

وأنا من الضرب ورمت متوني وأنا من البكا عميت عيوني

سيدي أبا عبد الله كن مطمئن البال الآن أنت تمسح على رأس سكينة سلام الله عليها ولكن بعد لحظات زينب سلام الله عليها ستمسح على رؤوس الأطفال واليتامى. لقد كانت كل طفلة تنادي عمة زينب أين أخي؟ عمة زينب أين أبي؟

آه . . . مسحت زينب عراسهم تنادي خوي والله تحيرت بيتاماك

يا حسين مالي حيل على فرقاك يا خوي يا ريت روحي تروح وياك

* * *

لم يبكها عدم الوثوق بعمها كلا ولا الوجد المبرّح فيها

لكنها تبكي مخافة أنها تمسي يتيمة عمها وأبيها

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد ونبّهني إلى ذكرك في أوقات الغفلة واستعملني بطاعتك في أيام المهلة وانهج لي إلى محبتك سبيلاً سهلاً أكمل لي بها خير الدنيا والآخرة برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآل محمد.



النفحة التاسعة

مجلس أصحاب الإمام الحسين

عليه السلام



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك يا أبا عبد الله، صلى الله عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، صلى الله عليكم أيها الأصحاب الأوفياء طبتم وطالبت الأرض التي فيها دفنتم لعن الله الظالمين لكم يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

كلما تعذلاني زدتُ نحيبا ... يا خليليَّ إن ذكرتُ حبيبا
يا حبيب القلوبِ رزؤك مهما ... ذكره الراثون شقّ القلوب
يا وحيداً حاميتَ دون وحيدٍ ... حيث لا ناصرَ يُرى أو مجيبا
بعت نفساً نفيسة فاشتراها ... بارئ النفسِ منك والربح طوبا
إن نصرت الحسين غير عجيب ... إن تخلّفت عنه كان عجيبا
يا وزير الحسين حُزت مقاما ... كل آنٍ يزداد عُرفا وطيبا
كم عن السبط قد كشفتَ كروبا ... بعد ما قد لقيت يا حبيب القلوبا
إن يوم أصبت فيه ليومٌ ... فيه طه والمرتضى قد أصيبا
يا مصابا أصاب قلب حسينٍ ... أي قلبٍ لذكره لن يذوبا

* * *

آه .... ينصاب بقلبي مأتمك يا حسين ... وذكرك من يمر الدمع ينصاب
قلبي بدال قلبك ريت ينصاب ... وخدي دون خدك عالوطية

نجلس اليوم في محضر أولئك الأصحاب الذين فدوا بأرواحهم وأجسادهم وأهليهم سيد الشهداء أبا عبد الله عليه السلام، نريد أن نتعلم منهم كيف نصبح أصحاباً وأنصاراً حقيقيين، نلتمس منهم كيف يتعاطى المحب مع محبوبه، وكيف ينصر العبد سيده ومولاه.

أولئك الأصحاب الذين طلّقوا الدنيا بما فيها ليشربوا قطرة من ذلك الماء الذي أروى عطشهم وظمأهم. هؤلاء هم الأبرار الذين يسعون كل حياتهم لكي يسقيهم محبوبهم شربة من الماء.

والعجيب أنه حتى سيد الشهداء كان عطشاناً في كربلاء، وأصحابه سلام الله عليهم كانوا يريدون ويبحثون عن الماء. ولكن أي ماء، وأي شراب؟ إنه الماء والشراب الذي أخبرنا عنه علي الأكبر بقوله: «**شربةً لن أظمأ بعدها أبداً**»، والماء الذي لا ظمأ بعده أبداً هو ماء الكوثر. ورد عن الإمام الرضا عليه السلام لما سئل عن الحسين عليه السلام وأنه قتل عطشاناً، فقال: «**مه، من أين ذلك؟ وقد بعث الله تعالى إليه أربعة أملاك من عظماء الملائكة هبطوا إليه وقالوا له: الله ورسوله يقرآن عليك السلام ويقولان إختر إن شئت إما تختار الدنيا بأسرها ونمكنك من كل عدو لك، أو الرفع إلينا؟ فقال الحسين عليه السلام: على الله السلام وعلى رسول الله السلام، بل الرفع إليه، ودفعوا إليه شربة من الماء فشربها. فقالوا له: إما أنك لا تظمأ بعدها أبداً**»[1]، وهكذا الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم لم ينتظروا ليشربوا من هذا الماء يوم القيامة من يد أمير المؤمنين عليه السلام الذي

(١) الثاقب في المناقب: ج١، ص٣٢٧.

يسقي محبيه يوم المحشر وإنّما شربوا منه في الدنيا قبل رحيلهم. شربوا من هذا الماء في الدنيا قبل الآخرة ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[١].

هذا الماء هو الشراب الطهور الذي يبقى الإنسان كل حياته يبحث عنه، وسنبقى في عطش وظمأ حتى يأتي قائم آل محمد عجّل الله تعالى فرجه ويروينا من كأسه الأوفى شربة لا نظمأ بعدها أبداً.

وإن هذه الحيرة التي نشعر بها وهذا اليأس وعدم الطمأنينة سببه أننا بعد إلى الآن لم نشرب من هذا الكأس. فذاك الكأس مخصص للأبرار فقط ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[٢] فمن هم الأبرار؟ مفرد كلمة أبرار بر، يعني ينبغي أن نكون بارّين، ولكن من ينبغي أن نبرّ؟ **«أنا وعلي أبوا هذه الأمة»**[٣].

ينبغي علينا أن نبرّ والدينا، لذلك من كان يبحث عن ذلك الماء في الدنيا فإنه لن يجده لا بزواج ولا بأولاد ولا بأهل، ولا بمال، ولا بعمل لأنه ليس موجوداً عند أحد أصلاً، هو موجود فقط عند علي بن أبي طالب عليه السلام. فهو ساقي محبيه من نهر الكوثر . . .

أتعرفون لماذا وفّق الحر بن يزيد الرياحي للتوبة؟ لأنّه كان محبّاً لمحمد وآل محمد وبالخصوص لإحترامه لإسم الصدّيقة الطاهرة فاطمة سلام الله عليها حيث قال للإمام الحسين عليه السلام عندما قال له: **«ثكلتك أمك يا حر . . . . والله يا حسين ما إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يُقدر عليه»**[٤].

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٢١.
(٢) سورة الإنسان، الآية: ٥.
(٣) بحار الأنوار: ج١٦، ص٩٥.
(٤) نفس المهموم: ص١٧١.

فالمحب يوفّق للتوبة، ويطهّره الله عزّ وجل بشتى أنواع البلاءات في هذه الدنيا كما ورد في الروايات، ومن لم يطهر في هذه الدنيا يُشَدّدُ عليه عند الموت، وتكتمل عملية التطهير عند البعض في عالم البرزخ حتى يأتي يوم القيامة فيلاقي مولاه ويُسقى رياً روياً.

نحن دخلنا الآن إلى هذا المجلس، ولكن هل نعرف حقيقةً ماذا يجري في هذا المجلس؟ وماذا يتغيّر في الكون بسبب هذا المجلس؟ وماذا يتغيّر في القلوب؟ لا أحد يعرف، فممّا صَرَّح عنه أهل البيت عليهم السلام وكشفوه لنا أن البكاء على الحسين يحطّ الذنوب العظام، فقط.

أهل البيت لم يبيّنوا أكثر من ذلك، الله وحده هو الذي يعلم ماذا تفعل هذه المجالس وما هي حقيقتها التي سيُكشف عنها يوم القيامة.

إن فاطمة سلام الله عليها تحضر في هذه المجالس، فأي شيء أعظم من ذلك؟ فاطمة بنت محمد سلام الله عليها تحضر في كل مجلس يقام على الحسين بن علي عليه السلام، فهل هناك شيء أعظم من حضور فاطمة سلام الله عليها؟! التفتوا، إن كل شيء عندنا ينتهي ويفنى أما الذي عند الله عز وجل فلا يفنى ولا ينتهي ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[1] وحتى أهل السماء لا يبقون كما قال إمامنا الحسين عليه السلام لزينب سلام الله عليها: «**يا أختاه إتقي الله وتعزّي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وأن كل شيء هالك إلا وجه الله . . .**»[2]، فقط الذي هو عند الله عزّ وجل هو الباقي، أما غيره فإنه هالك. ولكن ماذا عند الله؟

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٦.

(٢) الإرشاد: ص٢١٥ ـ ٢١٦.

الله عنده محمد، وآل محمد، وهم الباقون كما قال علي بن أبي طالب عليه السلام . ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[١] فهم عليهم السلام وجه الله تعالى كما ورد في دعاء الندبة «**أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء**» وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «**نحن حجة الله ونحن باب الله ونحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ونحن ولاة أمر الله في عباده**»[٢] وذلك لأنهم هم الفانون بالله عزّ وجل، قد فنوا ذواتهم وأرواحهم، وأجسادهم في الله تبارك وتعالى، وقد منَّ الله علينا بهم وأنزلهم من عزّ قدسه إلى هذه الدنيا.

فهم أثمن وأغلى شيء عند الله عزّ وجل وقد أعطانا إياه ولكن ماذا فعل القوم بهم؟ منهم من سمّموه ومنهم من خَضَّبوا شيبته بالدماء ومنهم من قَطعوا رأسه ورفعوه على رأس رمح طويل، ومنهم من سبوه من بلد إلى بلد ومنهم من ضربوه بالسياط حتى اسودّت متونه.

هذا الإسلام العزيز كلّف الكثير حتى وصل إلينا. لم يصل إلينا بسهولة فقد دُفع ثمنه غالياً، فكما أن أي شيء يريد الإنسان أن يحصل عليه يجب أن يدفع ثمنه، فإن ثمن هذا الإسلام دفعه محمداً صلى الله عليه وآله إذ قال: «**ما أوذي نبي مثلما أوذيت**»[٣]، ثمنه أن تخضّبت شيبة علي بن أبي طالب عليه السلام بالدماء. هذا الإسلام حتى وصل إلينا كلّف أن يكسر ضلع فاطمة بنت محمد سلام الله عليها ويسقط المحسن ويخرج من أحشائها وقد رضيت بذلك لكي يصل الإسلام العزيز إلينا. لقد كلّف بعد، أكثر من ذلك. هذا الإسلام حتى وصل إلينا كلّف أن يتلفظ الحسن كبده المسموم، وأن يقطع رأس الحسين بن علي ويسحق تحت حوافر الخيول ويحرق قلبه كما حرقت خيامه.

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.
(٢) بصائر الدرجات: ج١، ب٣، ص٧٥.
(٣) بحار الأنوار: ج٣٩، ص٥٥.

هذا الإسلام حتى وصل إلينا كلّف أن تسبى زينب بنت علي وهي أثمن شيء عند علي بن أبي طالب عليه السلام، ضحى بها من أجل أن يوصل هذا الإسلام العزيز، هذا الإسلام كلف أن يبقى موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام طيلة حياته بالسجن، كلّف بأن يُسمَّموا ويُقتلوا ويشرَّدوا ويغرّبوا عليهم السلام. ونحن ماذا فعلنا مقابل ذلك؟ كيف بادرناهم سلام الله عليهم؟ وكيف رددنا لهم هذا المعروف الذي فعلوه معنا؟ ينبغي أن نفكر بهذا الأمر ملياً.

نحن الذين نحتار كيف نردّ معروف أي إنسان ضحى من أجلنا، ولا نعرف كيف نكافئه، ألا نفكر بماذا نكافئهم سلام الله عليهم؟ لقد قدّموا ما قدّموه لنا سلام الله عليهم ليخرجونا من ذلك السجن المظلم، من الظلمات إلى النور وكان كل سعيهم لكسر قيود الدنيا والنفس عنا، ليوصلونا إلى الله ولم يبخلوا علينا بشيء أبداً . . . . لهذا، إن أقلّ شيء نفعله إن أردنا أن نرِد وندخل إلى محضرهم وإلى هذه المجالس هو أن نخلع نعلينا خارجاً ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾[1]، فإن من يفكر بهمومه وغمومه لا يمكنه أن يدخل إلى محضر أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

إمامنا صاحب الزمان عليه السلام يقول في تفسير هذه الآية: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ قال: لقد كان يوجد في قلب موسى بن عمران شيء من حبه لزوجته وأولاده. فقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ﴾ فمن غير الممكن أن يحب الإنسان اثنين، الحب هو لواحد وهو لله عزّ وجل، ونحن عندما نحب محمداً أو علياً أو فاطمة فنحن بالحقيقة نحب واحداً وليس أربعة

(١) سورة طه، الآية: ١٢.

عشر معصوماً «**كلنا واحد من نور واحد**»[١] وهم فانون بالله عزَّ وجل، إذن الحب واحد . . . . و«**قلب المؤمن عرش الرحمن فلا تُسكِنُوا فيه غير الله**»[٢].

أيها الموالي، إن الدليل على أننا لم ندخل بعد إلى مجلس أبي عبد الله عليه السلام هو أننا نفكر في آخر هذا المجلس «**ولا يكن همَّ أحدكم آخر السورة**»[٣] كما قال علي بن أبي طالب عليه السلام . فلماذا لا نكون كأصحاب الكهف، الذين آووا إلى الكهف ولم يخرجوا منه أبداً؟؟ ولكن حب الدنيا قد تغلغل في قلوبنا فعشقناها وأحببناها، ولكننا هل فكرنا بما سنجيب به فاطمة بنت محمد سلام الله عليها يوم القيامة حين تقول شيعتي هذه الدنيا التي أحببتموها سَبَتْ حبيبتي زينب سلام الله عليها، شيعتي هذه الدنيا التي عشقتموها قتلت ولدي سيد الشهداء عليه السلام ، فهل علمنا بأي عين ستنظر إلينا سلام الله عليها . إمامنا صاحب الزمان عليه السلام لا يريد أنصاراً يفكرون بأنفسهم ولا يريد أنصاراً يفكرون بأهلهم وأولادهم، يريد أنصاراً يقولون له كما قال أحد أنصار الإمام الحسين عليه السلام «**لقد استبدلت غير أهلي أهلاً وغير أحبّتي أحبة وغير أولادي أولاداً**»، يريد أنصاراً يفكرون بزينب سلام الله عليها، يفكرون بعلي عليه السلام .

تقول الروايات أن راية أصحاب إمام الزمان هي يا لثارات الحسين، فالعاشق لا يفكر إلا بمعشوقه، لا يفكر بالزواج ولا بالعمل ولا بهذه الدنيا كلها، ليست الدنيا أول همه، وإنما همّه وغمّه وتفكيره فقط بمحبوبه

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٦، ص١٦ .
(٢) أصول الكافي: ج١ .
(٣) الكافي: ج٢، ص٦١٤ .

ومعشوقه صاحب الزمان عليه السلام . يلتقي أحد الأشخاص بالإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف في مسجد جمكران والحزن باد على وجهه وقد قال له إن كل الموجودين ليس لديهم إلا حوائج دنيوية ومادية لكن أنظر إلى ذلك الحاج فهو الوحيد الذي ليس له حاجة إلا تعجيل فرجي .

أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام كان يتلفظ أنفاسه الأخيرة والدم متجمد على عينيه، لا يرى شيئاً . أقبل إليه سيد الشهداء عليه السلام ، وضع خده الشريف على خده، ففتح عينه وقال : من مثلي (والله ليس أحد مثلك) والحسين بن علي عليه السلام يضع خده على خدي .

عابس كان كبير قومه وعشيرته، نزل إلى الميدان، قاتل الأعداء، ولكنه اشتاق إلى اللقاء فلم يعد يحتمل، رمى بسيفه ودرعه، العاشق فقط يعرف لماذا فعل عابس هكذا، أهل الدنيا قالوا لعابس، ما بالك يا عابس، أجننت؟ فقال لهم : **«والله إن حب الحسين أجنني»** .

بالله عليكم، من منّا مجنون بحب قائم آل محمد؟ الحب عند أهل الدنيا ما هو؟ ماذا يعني؟ الحب عندهم عبارة عن حب إنسان لإنسان آخر، حب الرجل للمرأة، الولد، المال . . . . الخ .

لكن لو سألنا أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ماذا يعني لهم الحب والعشق؟ يقولون : عشق يعني محمد عشق يعني علي، عشق يعني حسين، عشق يعني زينب، هذا هو العشق وهذا هو الحب، الحب يعمي ويصم، والمحب لا يرى ولا يسمع إلا محبوبه، لا يرى شيئاً غيره **«ليس في الدار غيره ديّار»** . أصحاب الإمام الحسين عليه السلام كانوا إذا أكل يأكلون وإذا امتنع عن الطعام يمتنعون، وإذا شرب يشربون، لا يسبقونه بالقول ولا بالفعل ولا

بالأمر ولا بأي شيء كما هم سلام الله عليهم مع الله تعالى ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[١].

أما نحن فبماذا نفكر وصاحب الزمان بماذا يفكر؟ نحن ماذا نحب وهو ماذا يحب؟ ما هو همّنا وغمّنا في هذه الدنيا وما هو همه؟ نحن لسنا عشاقاً لقائم آل محمد عليه السلام، فالعاشق لا تمر لحظة واحدة إلا ويفكر فيها بمحبوبه، ولا ينساه أصلاً فهو لا يفارق قلبه أبداً، لذلك عشاق صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه يقولون له السلام عليك حين تقوم، السلام عليك حين تقعد، بكل لحظة يسلّمون عليه، والسلام عند الأولياء ليس كسلامنا، فسلامهم هو العشق ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[٢] السلام عليك حين تقرأ القرآن، السلام عليك حين تقرأ وتبين، السلام عليك حين تركع وتسجد، بكل لحظة يشتاقون لمحبوبهم ومعشوقهم ولا يملّون أبداً بل على العكس دائماً يخاطبون محبوبهم ومعشوقهم فهم دائماً في حالة سلام عليه لأنهم معه في كل آن ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٣].

لذلك أصحاب الحسين عليه السلام لم يتحملوا فراقه وأرادوا الموت قبله، لقد بذلوا مهجهم وأنفسهم في سبيل محبوبهم ووطّنوا أنفسهم على لقاء الله وابتعدوا عن الدنيا. وهذان هما شرطا الدخول إلى كربلاء كما قال الحسين عليه السلام **«من كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله»**[٤] وشرطا الدخول إلى مجلس الإمام الحسين عليه السلام أيضاً.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.
(٢) سورة القدر، الآية: ٥.
(٣) سورة الحديد، الآية: ٤.
(٤) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٦.

فالشرط الأول هو بذل المهج، فداك أبي وأمي وأهلي وولدي ونفسي يا أبا عبد الله. والشرط الثاني هو توطين النفس على لقاء الله، وليس توطين النفس على حب الدنيا، فإنه لا يمكن أن يجتمع حب الله وحب الدنيا في قلب واحد ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾[1].

يذكرون أنه في ليلة العاشر من محرم، أخبر الإمام الحسين عليه السلام أصحابه بأنّه سوف يُقتل وسوف تُسبى نساؤه وقال لهم: **«ألا من كان في رحله امرأة فليأخذ بها إلى أهلها، فقام علي بن مظاهر وقال: لماذا يا سيدي؟ فقال عليه السلام: إن نسائي تسبي بعد قتلي وأخاف على نسائكم من السبي.** فمضى علي بن مظاهر إلى خيمته. فقامت زوجته إجلالاً له واستقبلته وتبسّمت في وجهه، فقال لها دعيني والتبسم، قالت له يابن مظاهر إني سمعت «غريب فاطمة» سلام الله عليها خطب فيكم وسمعت في آخرها همهمة وتمتمة فما علمت ما يقول؟ فقال: يا هذه إن الحسين عليه السلام قال لنا ألا ومن كان في رحله امرأة فليذهب بها إلى بني عمها لأنني غداً أقتل ونسائي تسبى. فقالت: وما أنت صانع؟ فقال: قومي حتى ألحقك ببني عمك بني أسد. فقامت ونطحت رأسها في عامود الخيمة وقالت: والله ما أنصفتني يا بن مظاهر، أيسرّك أن تسبى بنات رسول الله وأنا آمنة من السبي؟ أيسرّك أن تسلب زينب إزارها وأنا أستتر بإزاري؟ أيسرّك أن تذهب بنات الزهراء سلام الله عليها أقراطها وأنا أتزيّن بقرطي؟ أيسرّك أن يبيّض وجهك عند رسول الله ويسودّ وجهي عند فاطمة الزهراء سلام الله عليها؟ فوالله أنتم تواسون الرجال ونحن نواسي النساء. فرجع علي بن مظاهر إلى الحسين عليه السلام وهو يبكي، **فقال عليه السلام: ما يبكيك يا علي؟ فقال: أبت زوجتي إلا مواساتكم (وأخبره**

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

بالذي جرى) فبكى الحسين عليه السلام وقال: جزيتم منا خيراً»[١].

وأما هلال بن نافع فقد قال له الإمام: «**ألا تسلك بين هذين الجبلين في وقتك هذا فتنجو بنفسك**»، فانكبّ هلال على قدمي أبي عبد الله يقبلهما ويقول: ثكلتني أمي يا أبا عبد الله لو فعلت ذلك فوالله الذي منّ عليّ بك، أني لن أفارقك سيدي أبا عبد الله، يقول هلال ثم فارقني الحسين عليه السلام ودخل إلى خيمة أخته زينب سلام الله عليها وصار يحدّثها فما لبثت أن اختنقت بعبرتها ونادت: وآأخاه واحسيناه وآغرياه ثم قالت: يا ابن أمي هل استعلمت من أصحابك نيّاتهم؟ فقال لها: «**أما والله لقد بلوتهم وما رأيت فيهم إلا الأشوس، يأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بمحالب أمه**»، يقول هلال كنت أسمع كلامها من وراء الخيمة فبكيت ورجعت إلى حبيب بن مظاهر وأخبرته بما جرى. قام حبيب يخطب بأصحابه حتى وقف بين أطناب مخيم بنات رسول الله، ثم نادى: السلام عليكم يا أهلنا، السلام عليكم يا ساداتنا، هذه صوارم فتيانكم آلوا أن لا يغمدوها إلا في صدور من يبغي السوء عليكم. فخرج سلام الله عليه قائلاً: «**جزاكم الله عن أهل نبيكم خيراً**».

وفي يوم العاشر من المحرم برز أصحاب الإمام الحسين عليه السلام واحداً تلو الآخر يتسابقون إلى الشهادة، وقد برز أحدهم ويدعى وهب بن همام وكانت أمه وزوجته معه، نزل إلى الميدان وحمل على الأعداء حتى قتل جماعة ثم رجع إلى أمه وزوجته ووقف عند خيمتها، وقال: أماه أرضيت عني؟ قالت: لا والله يا بني لا أرضى حتى تقتل بين يدي الحسين بن علي، فقالت له زوجته: بالله عليك يا وهب لا تفجعني بنفسك، فنظرت أمه إليه قائلة: لا

---

(١) معالي السبطين: ج١، ص٣٤١.

تصغي لقولها، إرجع يا بني فقاتل بين يدي ابن رسول الله ﷺ، بيِّض وجهي أمام فاطمة الزهراء سلام الله عليها فتكون شفيعاً لي يوم القيامة، رجع وهب ولم يزل يقاتل حتى قطعت يداه فإذا به يرى زوجته متوجهة نحوه وبيدها عامود الخيمة وهي تقول له: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين الطاهرين دافع عن حرم رسول الله ﷺ فأقبل إليها قائلاً لها: قبل ساعة كنت تنهينني عن القتال فما الذي حملك على هذا؟ قالت له: رأيت شيئاً مالي قرار عليه، أذهب عقلي واضطرب له قلبي. فقال: ما هو؟ قالت: سمعت الحسين عليه السلام يقول أما من ناصر ينصرنا؟ أما من معين يعيننا؟ أما من معين يدافع عن حرم رسول الله؟ يا وهب قاتل دون الحسين عليه السلام، يا وهب إبذل روحك من أجله، يا وهب إنّه الحسين بن علي وابن فاطمة سلام الله عليهما، يا وهب لن أعود حتى أموت معك وماتت معه رضوان الله عليهما.

ثم إن أحد الأصحاب امتطى جواده، أراد أن ينزل إلى الميدان نادته أمه، قالت: بني قف هنيهة فوقف. قالت له حملتك في بطني تسعة أشهر ولي عليك حق، أريد منك هذه الخدمة، قال: ما هي يا أماه؟ قالت: عندما تصل إلى سيدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام أبلغه عني السلام ولا تنسى بأن تشفع لي عند الزهراء سلام الله عليها يوم القيامة.

وعندما برز مسلم بن عوسجة إلى الأعداء قتل منهم عدداً كبيراً حتى صرعوه على الأرض فمضى إليه الحسين عليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر. ولكن عندما مضى أبو عبد الله إلى مصرع أخيه أبي الفضل عليه السلام هل كان معه أحد . . . .؟! ومن كان معه عندما هجموا على الخيام وروّعوا الأطفال والنساء . . . .؟!

وصلا عند مسلم، الحسين عليه السلام عن يمينه وحبيب عن شماله قال له

الحسين عليه السلام : رحمك الله يا مسلم ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1] قال حبيب لمسلم : يعزّ عليّ مصرعك أبشر بالجنة . فقال له مسلم : بشّرك الله بخير ، فقال حبيب : لولا أعلم أني في الأثر ، وأني لاحق بك من ساعتي هذه لأحببت أن توصني بما يهمّك . نظر إليه مسلم ودموعه تتحادر على خديه وقال : بلى ، لي عندك وصية ، ما هي؟ أشار بيده إلى الحسين عليه السلام قائلاً : أوصيك بهذا الغريب ، قاتل دونه ، فقال حبيب : لأنعمنّك عيناً يا مسلم .

وعندما أراد حبيب أن ينزل إلى الميدان ، عصّب رأسه ووقف بين يدي الحسين عليه السلام قائلاً : السلام عليك يا أبا عبد الله ، السلام عليك يا ابن رسول الله ، إني أستودعك الله ، ودموعه تجري على خديه . قال له الحسين عليه السلام : لم تبكي يا حبيب؟ قال : سيدي والله لا لنفسي أبكي ولكن أبكي عليك سيدي أبا عبد الله لأنك ستبقى وحيداً فريداً ولو أني أقدر على أن أدفع الضيم والقتل عنك بشيء أعز من نفسي ودمي لفعلت ، فعليك مني السلام وأشهد أني على هداك وهدى أبيك علي بن أبي طالب عليه السلام فقاتل حتى قُتل . وهكذا برزوا جميعاً ، فلم يبق صحابي من أصحاب الحسين إلا وقد استشهد وبقي الحسين عليه السلام وحيداً فريداً ، فوقف على جثث أصحابه يندبهم ويدعوهم يا حبيب بن مظاهر ، يا زهير بن القين ، يا مسلم بن عوسجة ، يا أبطال الصفا ويا فرسان الهيجا ، مالي أناديكم فلا تسمعون وأدعوكم فلا تجيبون ، أأنتم نيام أرجوكم تنتبهون ، فقوموا من نومتكم أيها الكرام وإدفعوا عن حرم رسول الله هؤلاء الطغاة اللئام ، (قوموا ودافعوا عن زينب وسكينة سلام الله عليهما) ، ولكن صرعكم ريب المنون وغدر بكم الدهر الخؤون وإلا لما كنتم عن

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٢٣ .

نصرتي تقصّرون، (كل مرة كنت أناديكم كنتم تجيبون ندائي)، فإنا لله وإنّا إليه راجعون. يقولون صارت أجساد الشهداء تهتزّ وتضطرب في مكانها كأنها تقول لبيك يا حسين، وأنتم ألا تريدون أن تلبوا الحسين . . . . لبيك يا حسين . . .

آه . . . الحزن يا أهل الوفا على تراكم حين عالثرى نمتوا تراكم

أصبر كيف وعيوني تراكم قتلى كلكم يا فرسان الحمية

تقول الرواية أنه بينما الإمام الحسين عليه السلام كان واقفاً وقبل نزوله إلى الميدان وإذا بسكينة تناديه: أبه يا حسين، إنني عطشانة، أريد أن أشرب فقال لها: أبه أنت تعلمين أنه ليس في مخيمنا ماء فقالت له: أبه أنا أعلم أنك تستطيع أن تأتي بالماء يقولون فأخذ بيدها إلى خلف إحدى الخيم ثم ضرب الإمام الأرض بقدمه فتفجّر الماء من بين رجليه عليه السلام، صارت سكينة تنظر إلى ذلك الماء وهو يجري على الأرض، فقال لها الإمام الحسين عليه السلام: بنية سكينة هذا الماء فاشربي إن أردت، لكن إعلمي أنك إذا شربت سيعطش شيعتي يوم القيامة. إذا شربت يا سكينة سيظمأ شيعتي في الحساب، فلم تشرب سكينة وامتنعت عن شرب الماء. سيدتي يا سكينة لماذا لم تشربي؟ مولاتي يا سكينة لماذا بقيت عطشانة ولم تذوقي الماء؟ كل هذا من أجلنا نحن مولاتي ولكن كيف سنرد إليك هذا الجميل يا مولاتي.

تقول الرواية أنه ليلة الحادي عشر من محرم توجهت سكينة إلى مصرع أبيها الحسين عليه السلام ورمت نفسها على جسد والدها الحسين وإذا بها تسمع صوتاً يخرج من منحره الشريف. ماذا يقول؟ إنها وصيته لشيعته يا محبي الحسين:

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني أو سمعتم بشهيد أو قتيل فاندبوني

* * *

يا بويَّ على فراقك لحرم لذة العيش عقب فقدك يا بوي أنا ما عيش

بجنب النهر ظامي تنذبح ليش يا ريت الماي بعدك لا حلا ولا مر

* * *

ليس الغريب غريب الأهل والوطن إن الغريب غريب الغسل والكفن

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد ربِّ أفحمتني ذنوبي وانقطعت مقالتي فلا حجة لي فأنا الأسير ببليتي المرتهن بعملي المتردد في خطيئتي، المتحير عن قصدي، المنقطع بي، قد أوقفت نفسي موقف الأذلاء المذنبين موقف الأشقياء المتجبرين، عليك المستخفين بوعدك، مولاي فارحمني برحمتك بحق محمد وآله الطاهرين وصلى الله على محمد وآل محمد.



النفحة العاشرة

مجلس المولى علي الأكبر

عليه السلام



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك يا أبا عبد الله يا أبا الأحرار يا حسين يا أبا الثوار يا غريب كربلاء، صلى الله عليك وعلى ولدك علي الأكبر شبيه الرسول ومهجة قلب البتول، لعن الله الظالمين لكم يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

أقول لعيني وقد مُلئت دموعاً ... ألا يا عين هل من مزيد
فيا نفسي اذهبي وجداً وحزناً ... ويا عيني بجمر الدمع جودي
كأني بالحسين غداً ينادي ... علينا يا ليالي الوصل عودي
ودموعه تجري وفي أحشائه ... حسرات قلبٍ ذائب ولهان
وكأن دمعته تقول بلهفة ... بني إن الفقد قد أشقاني
رجوتك يا علي تعيش بعدي ... لتوسّد جثتي رمس اللحود
وتمشي باكياً من خلف نعشي ... كما يبكي الوليد على الفقيد
لله يا كبد الحسين ومهجة ... ملتاعةٍ ذابت من الأشجان

* * *

يا ابني يا علي يا نور العين ... وين الجراح الصابتك وين
يا ابني يا حبيب قلبي وماي عيني ... بعد هيهات يا وليدي تجيني
وتقعد قدامي قبال عيني ... والله حال القدر بينك وبيني

هذا اليوم كما هو متعارف عند أرباب المقاتل هو يوم علي الأكبر، ثمرة كبد الحسين بن علي عليه السلام، فمن هو علي الأكبر؟ وما مقامه عند الله تعالى؟ يجب علينا أن نطلب هذه المعرفة منه عليه السلام، لأنه بمقدار ما يكون لدينا من معرفة به عليه السلام بمقدار ما ينظر إلينا، ونحصل على شيء من مقاماته المعنوية. وهذا كله منوط بصدق طلبنا وبتصدقه علينا.

ورد في الروايات أن علي الأكبر هو أشبه الناس برسول الله، فكما قال سيد الشهداء عليه السلام: «**اللهم اشهد أنه قد برز إليهم أشبه الناس خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك محمد صلى الله عليه وآله**». أتدرون ماذا يعني أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسول الله؟ يعني ظاهره كان كظاهر رسول الله نفس الشكل الظاهري، وخُلقه كَخُلق محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، الذي وصفه الله في كتابه العزيز ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] مما يعني أن علياً الأكبر كان على خُلق عظيم، ومنطقه هو منطق محمد بن عبد الله الذي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[2] ممّا يعني أن علي الأكبر كان كذلك.

كما أن من المعلوم أن علي الأكبر هو الوحيد من بين كل الذين استشهدوا بكربلاء سقاه النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وهذا يدل على رفعة مقامه وشأنه . . .

فبنات الإمام الحسين وأصحابه عليهم السلام، كان أبو الفضل العباس هو ساقيهم وبعضهم كان الحسين عليه السلام هو الساقي لهم، ولكن علي الأكبر

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.
(٢) سورة النجم، الآية: ٣ ـ ٤.

تحديداً سقاه رسول الله ﷺ حيث قال: «**هذا جدي رسول الله قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لن أظمأ بعدها أبداً**».

بالظاهر هل أتى رسول الله وسقى علي الأكبر؟ لا. ولكنه أتى إليه بذلك الماء الذي يعبّرون عنه بالإكسير لإن عطش علي الأكبر كان عطش التوحيد والولاية والمحبة والفناء. اللهم ارزقنا.

جاء في الحديث عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «**إن لله تعالى شراباً لأوليائه إذا شربوا سكروا وإذا سكروا طربوا . . . وإذا وصلوا اتصلوا وإذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين محبوبهم**»[1].

وبحسب هذه الرواية لا يوجد هناك فرق بين علي الأكبر وبين رسول الله ﷺ خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً، وإن كان هناك فرق بالظاهر لأنه ﷺ لا يمكن أن يقاس به أحد. لذا إذا كنت تنظر إلى علي الأكبر من تراه؟ تراه محمد بن عبد الله، أصلاً لا إسم لعلي الأكبر ولا رسم له في قبال جده المختار ﷺ. هذا هو الحب والعشق والفناء، فعلي الأكبر فانٍ بمحمد بن عبد الله ﷺ، وبحسب الروايات لم يثبت هذا المقام إلا لعلي الأكبر، والله وحده يعرف ويعلم منزلة علي الأكبر، وقد ورد في الخبر أن علي الأكبر عندما نزل إلى الميدان، إعترضته سكينة وزينب وأم كلثوم، وأحاطوا بجواده يمنعنه من السير، فرفع رأسه ونظر إلى الإمام الحسين وكأنه يقول له: أبتاه تحدّث أنت إليهن . . . ، فخاطبهن الإمام الحسين قائلاً: «**دعوه فإنه ممسوس بذات الله**» فتركوه ينزل إلى الميدان. مقام علي الأكبر مجهول في هذه الدنيا ومعلوم أن عقيدة التشيع الحقيقية ستظهر مع صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه

(١) المحبة في الكتاب والسنة.

وعندها سيقول له الكثيرون لقد أتيتنا بدين جديد، والروايات تبين أن أكثر فقهاء الشيعة هم الذين يتظاهرون على الإمام عجّل الله فرجه. وهو الذي سيكشف كل الحقائق والمقامات الولائية وسيبيّن من هو علي الأكبر وعلي الأصغر وبنات وزوجات وأصحاب الحسين عليه السلام، والحق أنه حتى مقام رسول الله صلى الله عليه وآله ليس معلوماً، وهو غيب ولا أحد يعرفه **«يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت وما عرفني إلا الله وأنت وما عرفك إلا الله وأنا»**[1] كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكذلك مولاتنا زينب سلام الله عليها هي أيضاً كعلي الأكبر، مقامها ليس معلوماً، وهنا نورد المفارقة بين مقامها ومقام أمها سلام الله عليها، **«بأبي التي ورثت مصائب أمها»** فقد ورثت كل المصائب من أمها فاطمة سلام الله عليها، ولكن هل ورثت زينب من أمها المصائب والبلاءات فقط! ومقامات أمها فاطمة سلام الله عليها لم ترثها؟ حتماً لقد ورثت منها كل شيء. إن الإنسان الذي يكون فقيراً ولا يملك شيئاً، وفجأة يعطيه والده كل شيء فيصبح غنياً. زينب لم تكن تملك شيئاً ولكن ورثت من أمها كل شيء، أصلاً لا يوجد شيء عند فاطمة غير موجود عند زينب سلام الله عليها، وإن كانت عصمة أمها ليست كعصمتها فهي ظل أمها سلام الله عليهما. فقد ورد عن إمامنا زين العابدين عليه السلام بشأنها سلام الله عليها: **«عمة زينب أنت عالمة غير معلّمة وفهمة غير مفهّمة»**. ماذا يعني عالمة غير معلّمة؟ يعني غير معلّمة من رسول الله أو أمير المؤمنين صلوات الله عليهما أو من أي أحد لأن معلّمها هو الله تعالى. يعني عندها العلم الوهبي وهو أعلى من العلم الإرثي واللّدني، وأنتِ فهمة غير مفهمة؟ أي لا تحتاجين لأحد أن يعلّمُكِ أو يُفهِمكِ، علمُكِ وفهمُكِ وهبي من الله.

---

(١) بحار الأنوار.

وأكثر من ذلك، أنظروا، إلى مقامها في الظاهر هل هو معلوم؟ أيضاً كلا، رواية تقول أنه في المدينة، ورواية أخرى تقول أنه في مصر وأخرى في الشام، إذاً في الظاهر لم يُعلم مقامها والظاهر دليل على الباطن، فهل يمكن أن يُعرَف مقامها في الباطن؟ فحديث الكساء مثلاً، سرّه في زينب سلام الله عليها، وهذا أمر ذوقي لا تعيه إلا أذن واعية ولا يعقله إلا أهله حيث ورد فيه عبارة:

«... إني أشم عندك رائحة طيبة كأنّها رائحة جدي رسول الله» ...، كلّهم انجذبوا لهذه الرائحة، ولكن رائحة مَن هذه التي جذبتهم؟.

سأل أحد الأولياء صاحب الزمان عليه السلام في عالم الرؤيا: ما هو السر الكامن في هذا الكساء؟ ولماذا عندما أتت فاطمة بالكساء اليماني وغطّت به رسول الله صلى الله عليه وآله صار وجهه يتلألأ كأنّه البدر في ليلة تمامه وكماله؟ فقال له عليه السلام: **«هذا الكساء هو الذي كانت فاطمة وأمير المؤمنين سلام الله عليهما يضعانه عليهما عندما استقر نور زينب سلام الله عليها في أحشاء أمها فاطمة سلام الله عليها، ففحّت رائحة مسك، وتجلى منها شيء في هذا الكساء»**.

لذلك فإن علي بن أبي طالب، والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام جميعهم قالوا لفاطمة سلام الله عليها: إني أشم عندك رائحة طيبة كأنّها رائحة رسول الله. والكاف أداة تشبيه. فماذا يعني رائحة رسول الله؟ هل رسول الله صلى الله عليه وآله كان بالظاهر يضع رائحة معينة؟ وعلي بن ابي طالب والإمام الحسن والحسين عليهم السلام شمّوا من بعيد هذه الرائحة الظاهرية؟ لا، فرائحة محمد بن عبد الله في الملكوت الأعلى لها ميزة خاصة، ولذلك كلهم أتوا وانجذبوا لهذه الرائحة، لأن رائحة الرحمة قد فحّت، وعادةً لا تفح هذه الرائحة إلا من نبي أو ممن كان له شأن ومقام عند الله عزّ وجل. وعندما نسأل الله تعالى بحق

فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها فنحن نسأله بالسر المستودع بأحشاء فاطمة وهي زينب سلام الله عليها والتي حينها كانت أمها حاملاً بها.

فهل نحن حقاً نعرف زينب سلام الله عليها؟ يقول أحد الأولياء أن يوم القيامة عند انكشاف الحقائق، سيعرف كل الأولياء أن المقامات المعنوية التي حصلوا عليها هي من مقامات زينب سلام الله عليها، يأخذون من ممتلكاتها، وإن أمير المؤمنين عليه السلام كان يستعين بمقام من مقامات زينب سلام الله عليها إذا أراد أن يكشف أي مقام لأحد من أوليائه. فأمير المؤمنين عليه السلام لا يستطيع أن يكشف عن مقاماته ويُبيّن الحقائق للناس، إلاَّ من خلال موجود يستطيع الناس تحمّله، ولا يوجد أحد أقرب للشيعة من زينب سلام الله عليها، وهذا المقصود بأنّه كان يستعين بها سلام الله عليها.

وكمثال مبسط يوضح الفكرة والمطلب، عندما نسحب شريط من عامود التوتر ونوصل إليه مصباحاً بشكل مباشر بالتأكيد إنه سينفجر ولن يتحمل لأنه لا يمتلك القابلية والإستعداد، لذلك هناك ضرورة للمحوِّل (ترانس) لكي نَحصل من خلاله على الكهرباء.

فكل المقامات التي حصل عليها الأولياء هي منها سلام الله عليها، لأنّهم لا يستطيعون أن يتحمّلوا مباشرة من محمد وعلي صلوات الله وسلامه عليهما، لذلك كانت هي الواسطة في الفيض للوصول إلى أهل البيت عليهم السلام فهي سلام الله عليها واسطة الفيض بيننا وبين أهل البيت عليهم السلام، وهي صانعة كربلاء. ولولاها لما حفظ الدين ولذهبت دماء الإمام الحسين سُدى. وعملها وفعلها في كربلاء يدل على مدى توحيدها وولايتها.

فهل كانت زينب سلام الله عليها ترى نفسها في كربلاء مسبية؟! لا . . . !

كانت ترى نفسها الحسين بن علي عليه السلام وهذا هو التوحيد والفناء «**وإذا إتصلوا لا فرق بينهم وبين محبوبهم**». جسد أبو الفضل العباس رفض أن يشرب الماء، لماذا؟ لأن جسده فانٍ بالحسين عليه السلام. كما ورد في الزيارة الجامعة «**أجسادكم في الأجساد وأرواحكم في الأرواح**». أقول إذا كان أمرهم، أي فعلهم وظاهرهم هكذا، بحيث لا نستطيع أن نتحمله أو نؤمن به إلا إذا شاء الله فكيف بذواتهم وباطنهم وحقائقهم؟ ولذلك قالوا «**حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرّب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان**»[1]. فنحن لا نعرف شيئاً عنهم، ولكننا نتوجه بقلوبنا إلى حضرة علي الأكبر ونطلب منه هذا الرزق وهذه المعرفة. تقول إحدى الروايات أنه في اليوم العاشر من محرم نظر الإمام الحسين عليه السلام إلى الشمس وقد زالت فأراد الصلاة، قال لولده علي الأكبر: بني أذّن للصلاة فقال: أبه منذ خروجنا من مكة والحجاج بن مسروق هو مؤذنك، فلماذا أنا أؤذن اليوم؟ فقال عليه السلام: يا بني إني أريد أن أودّع صوت جدي رسول الله. ويُروى أنه أتى يوماً أحد النصارى إلى المدينة بعدما رأى في منامه أنه يريد أن يسلّم على النبي عيسى فأمره النبي أن يسلّم على خاتم النبيين محمد، فأتى هذا الرجل إلى المدينة ليسلّم على رجل من آل بيت النبي. فوصل إلى الإمام الحسين وانحنى على قدميه يقبلهما، ثم قصّ رؤياه للإمام فقال له الإمام: أنت رأيت جدي رسول الله؟ فقال الرجل: نعم يا بن رسول الله، قال الإمام: أتحب أن آتيك بشبيهه؟ فقال الرجل: نعم. فدعى الإمام بولده علي الأكبر وكان طفلاً صغيراً فوضعه الإمام في حجره، لما نظر ذلك النصراني إليه وقع مغشياً عليه. فلما أفاق قال له الإمام: يا هذا إن ولدي

(١) بحار الأنوار: ج٢ ، ص١٨٩.

هذا شبيه بجدي رسول الله؟ فقال الرجل: نعم والله يا بن رسول الله. فقال الإمام: يا هذا إذا كان عندك ولد مثل هذا وتصيبه شوكة، ما كنت تصنع؟ فقال الرجل: أموت. فقال الحسين عليه السلام: أخبرك أن ولدي هذا أراه بعيني مقطعاً بالسيوف إرباً إرباً. إذاً ألا يحق لسيد الشهداء أن يتمنى الموت بعده قائلاً على الدنيا بعدك العفا يا بني؟ هلمّوا بنا، ندخل بعيون قلوبنا إلى كربلاء، إلى المكان الذي أَثكل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله. تقول الروايات لمَّا تقدم علي الأكبر إلى الميدان أرخى الإمام الحسين عليه السلام عينيه بالدموع ثم رفع يديه نحو السماء وقال: «اللهم إِشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك محمد نظرنا إلى وجهه، اللهم امنعهم بركات الأرض وفرّقهم تفريقاً ومزّقهم تمزيقاً واجعلهم طرائق قدداً ولا تُرضِ الولاة عنهم أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا ثم عدَوا علينا يقاتلونا، ثم صاح: يا بن سعد قطع الله رحمك ولا بارك الله لك في أمر، وسلّط عليك من يذبحك بعدي على فراشك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله»، هذا وعلي الأكبر يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي ... نحن وبيت الله أولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي ... أما ترون كيف أحمي عن أبي

بدأ يواجه الأعداء واحداً بعد واحد، يضربهم ضربة واحدة فيقعون صرعى، ليلى أم علي الأكبر كانت تقف بباب الخيمة تراقب ملامح الإمام الحسين عليه السلام، بينما هي كذلك إذ تغيّر لونه عليه السلام فقالت له ليلى: أبا عبد الله أرى وجهك قد تغيّر، هل أصاب ولدي علي مكروه؟ قال: لا ولكن برز إليه من يُخاف عليه منه، فادعي لولدك فإني سمعت جدي رسول الله يقول إن دعاء الأم بحق ولدها مستجاب، دخلت ليلى إلى الخيمة وصارت تقول: يا

راد يوسف إلى يعقوب، يا راد موسى من مغيبه، ردّ عليّ ولدي علي ثم وقعت مغشياً عليها، رجع علي الأكبر إلى الإمام الحسين ولكن بأي حالة؟ قائلاً: أبه يا حسين العطش قد قتلني. أتدرون أي عطش؟ وأي ماء كان يطلب علي الأكبر؟

سيدي يا صاحب الزمان أنستطيع أن نقول لك كما قال علي الأكبر؟ العطش العطش يا مولانا يا صاحب الزمان.

يا صاحب الأمر أدركنا فليس لنا ورد هنيء ولا عيش لنا رغد

طالت علينا ليالي الانتظار فهل يا ابن الزكي لليل الإنتظار غدُ

أبه يا حسين العطش قد قتلني وثقل الحديد أجهدني. أتدرون ما هو هذا الحديد بالنسبة إلى علي الأكبر؟ هو هذه الدنيا التي تثقله وتمنعه من الوصول، فهل إلى شربة ماءٍ من سبيل أتقوى بها على الأعداء؟ بكى إمامنا الحسين عليه السلام وقال: واغوثاه، بني علي يعزّ على جدك محمد المصطفى وعلي المرتضى وعلى أبيك أن تدعوهم فلا يجيبوك وتستغيث بهم فلا يغيثوك، يا بني هات لسانك ضعه على لساني، فلطالما كنت أمصّ لسان جدك رسول الله، فلما وضع علي لسانه في فم أبيه قال: أبه يا حسين لسانك أيبس من لساني. ثم أعطاه عليه السلام خاتمه ليضعه في فمه. والحسين يقول له: إني أرجو أن لا تمسي حتى يسقيك جدك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً ثم قال: بني أدخل إلى أمك ليلى فإنها تكاد تموت في خيمتها. ذهب علي الأكبر إليها، صار يمسح على رأسها ودموعه تقع على وجه أمه، استفاقت ليلى ووجدت ولدها علي أمامها، قبّل ما بين عينيها وقال: أماه أما تنظرين إلى تلك النساء الواقفات بباب الخيمة، كل امرأة تفتخر عند الزهراء

إما برأس ولدها أو زوجها أو أخيها؟ فقالت ليلى: اذهب يا بني، بيّض الله وجهك كما بيّضت وجهي عند الزهراء وكأني بها تقول:

يـــا عـــلـــي يـــا عـــيـــونـــي أنـا كـنـت مـتـأمـلـة وخـابـت ظـنـونـي

كـيـف تـرضـى يـا أمـي تـفـارقـونـي وتـتـركـونـي أنـوح الـلـيـل والـنـهـار

ثم رجع علي إلى الميدان وحمل على الأعداء مرة أخرى حتى قتل منهم عدداً كبيراً وإذا بأحدهم يعترضه بسهم على مفرق رأسه فصرعه . . . رحم الله من نادى واعلياه. صاروا يضربونه بسيوفهم فاعتنق جواده إلا أن الجواد أخذه إلى معسكر الأعداء حتى قطّعوه إرباً إرباً. وقع على الأرض منادياً بضعيف الصوت: أبه يا حسين عليك مني السلام، هذا جدي رسول الله وجدي علي المرتضى، وهذه جدتي خديجة الكبرى، وجدتي فاطمة الزهراء، وعمي الحسن قد قدموا عليّ وهم إليك مشتاقون.

لما سمع الإمام صوت ولده وقرّة عينه أسرع إليه منادياً بأعلى صوته: ولدي علي . . . وصل إليه الإمام الحسين، رَآه بتلك الحالة مقطعاً إرباً إرباً، جلس عنده وصار يمسح الدم والتراب عن وجهه وهو يقول: ولدي علي، لعن الله قوماً قتلوك ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول وانهملت عيناه بالدموع، كان بعلي رمق من الحياة، التفت إلى اليمين فابتسم ثم التفت إلى اليسار فبكى قال له: ولدي علي ما الخبر؟

قال: أبه يا حسين التَفتُّ عن يميني رأيت جدي رسول الله وبيده كأس شربت منه، إلا أني عندما التفتُّ إلى شمالي رأيت جدتي فاطمة تنظر إليك وتبكي، كيفما ذهبتَ تذهب معك وكيفما أتيتَ تأتي معك، وهي تقول ولدي حسين، واحسيناه واغريباه.

مـانـي حـاضـرة يـا حـسـيـن يـا بـنـي يـا ريـت ذبـاحـك ذبـحـنـي

تقول الروايات أن الحسين عليه السلام صار بحالة احتضار عند ولده علي الأكبر، إلا أن امرأة خرجت من الخيمة قد كُسفت الشمس من محيّاها، جلست عند علي وهي تنادي واحبيباه وعلياه واثمرة فؤاداه، إنكبّت عليه وصارت تقبله وتشمّه وتخضّب وجهها بدمه، لما رَآها سيد الشهداء قال: أخية زينب عودي إلى المخيم ولا تشمتي بنا الأعداء. كأني بها تقول:

آه . . . خليني يا خوية حسين يمه أحس بدمع عيني جروح جسمه

علي عيوني وأريد لصدري أضمه وأشيله للخيم وياك يا حسين

* * *

يا ضيا ناظري بقلبي رفقا أولست الذي أحقّك شوقا

وأقيك الخطوب غرباً وشرقاً يا شبيه النبي خَلقاً وخُلقا

بعدك المكرمات طال بكاها

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد اللهم حبب إلينا ما نكره من قضائك وسهّل علينا ما نستصعب من حكمك وألهمنا الانقياد لما أوردت علينا من مشيئتك حتى لا نحب تأخير ما عجّلت ولا تعجيل ما أخرت ولا نكره ما أحببت ولا نتخير ما كرهت برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآل محمد.

النفحة الحادية عشر

مجلس حضرة أبو الفضل العباس

عليه السلام



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك يا أبا عبد الله وعلى أخيك قمر العشيرة أبا الفضل العباس كفيل زينب، حامل الراية لعن الله الظالمين لكم من الأولين والآخرين يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

الدمع لا يرقى مدى الأزمان ... لرزية المذبوح والعطشانِ
هذي المدامع سيلها متواصل ... من كل قاصٍ في الأنام ودانِ
لهفي على العباس وهو مجدّلٌ ... والسبط يدعو في رحى الميدان
ظهري انحنى من عظم ما قد حلّ بي ... يا أوصلَ الأصحاب والإخوان
ثم انثنى نحو الخيام مناديا ... هذا الوداع ولا وداعٌ ثان
نادته زينب والجوى بفؤادها ... روحي لك الفدا يا سيد الأكوان
أولست تسمع ما تقول سكينة ... عماه يوم الأسر من يحميني
وتجيرني في اليتم من ضيم العدى ... واليوم خابت في رجاك ظنوني
عماه إن أدنو لجسمك أبتغي ... تقبيله بسياطهم ضربوني
عماه ما صبري وأنت مجدّل ... عارٍ بلا غسل ولا تكفين

* * *

آه . . . يا عباس يا صاحب الغيرة ترضى شيمتك أمشي أسيرة

خوية أنا تحيرت وشلون حيرة يا غيرة الله أمشي يسيرة

* * *

من طيبة جيت وياك وإنت اللي جبتني والأخت ما تنعاف عد من عفتني

إقعد يا خوية وشوف متني ترى سياط زجر الورمتني



قال الإمام الصادق عليه السلام : «خير العمل برّ فاطمة وولدها»[١].

إن الموضوع الذي سنتحدث عنه منطلق من عمل يستحب القيام به قبل الصلاة وهو الآذان، الذي نقرّ فيه بالتوحيد والنبوة والإمامة، فنقول الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن علياً ولي الله، أشهد أن علياً ولي الله، ثم نقول حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، حي على خير العمل، حي على خير العمل سنحط رحالنا عند هذه العبارة ونسأل ما هو خير العمل؟ فيجيبنا الإمام الصادق عليه السلام : «**خير العمل برّ فاطمة وولدها**»[٢]، وكما قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٣]، وبناءً على ما تقدم يكون أفضل مقام يصل إليه الإنسان هو مقام البرّ، وتحديداً برّ فاطمة سلام الله عليها، والوصول إلى هذا المقام يتطلّب منا أن ننفق مما نحب كما تقول الآية الكريمة، ولذلك ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام : «**بأبي أنت وأمي ونفسي وولدي ومالي يا أبا عبد الله**» ولهذا على المرء أن ينفق ما عنده، وما يحب بين يدي الله عزّ وجل، فيعطيه الله مقابل ذلك ما عنده وما يحب، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين وزينب سلام الله عليهم. قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ

(١) بحار الأنوار: ج٨١، ص١٣٤.
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

ءَامِنُونَ﴾[١]، فما هي هذه الحسنة التي إذا أتى بها الإنسان يعطيه الله عزّ وجل أفضل منها ويؤمنه من الفزع الأكبر يوم القيامة؟ يجيبنا على ذلك الحبيب المصطفى ﷺ: «حب علي حسنة لا تضرّ معها سيئة»[٢]، من جاء بالحسنة، أي بحب علي عليه السلام، فله خير منها، والخير هنا هو حب علي عليه السلام له، وهذا هو المقام الذي يناله الذين وصلوا إلى مقام البرّ حيث يطلق عليهم اسم (أبرار) كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾[٣] فكلمة أبرار مفردها «بِر»، أما مفرد كلمة عليين فهو «علي»، فالأبرار عند علي وفي محضر علي عليه السلام، لكن كيف يصل هؤلاء الأبرار إلى هذا المقام؟! وماذا فعلوا حتى وصلوا؟

قال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[٤] إنما وصل هؤلاء بعدما سقاهم ربهم من ذاك الشراب، لذا فعندما نشرب من هذا الشراب نصل إلى مقام البرّ، ولكن من هو الساقي الذي يسقي هذا الشراب؟

كما هو معلوم، إن كلمة رب لا تعني دائماً اسم الجلالة «الله» فقد تأتي بمعنى السيد أو المربي أو الملك، وهذا ما يؤكده قول النبي يوسف عليه السلام لذلك السجين الذي أخبره بتأويل المنام الذي رآه حيث قال له عليه السلام: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾[٥] والمقصود بالرب هنا هو الملك، عزيز مصر. وإن من المعلوم أن العطاشى يبحثون دائماً وأبداً عن الماء الذي يرويهم دون ملل أو كلل، حتى يصلوا إلى ساقيهم كما كان عطاشى كربلاء، وقد حدّد

---

(١) سورة النمل، الآية: ٨٩.
(٢) عوالي اللآلي: ج٤، ص٦٨.
(٣) سورة المطففين، الآية: ١٨.
(٤) سورة الإنسان، الآية: ٢١.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٤٢.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الذي يشرب من هذا الشراب الذي هو للأولياء فقط بقوله: «**إن لله تعالى شراباً لأوليائه إذا شربوا سكروا**»، والسكر هو الحب الشديد بحيث يُطلق على المحب كلمة مجنون لكثرة محبته، فرسول الله صلى الله عليه وآله قالوا عنه أنه مُعلَمٌ مجنون لأنه شُغف بحب علي بن أبي طالب عليه السلام.

وعابس الشاكري عندما نزل إلى الميدان قاتل الأعداء فقتل منهم عدداً كبيراً ثم رمى بسيفه ودرعه ونزل إلى الميدان، قيل له: أجننت يا عابس؟ فقال لهم: حب الحسين أجنني، إنه لا يرى ولا يسمع غير الحسين عليه السلام، هو لم يرَ شيئاً في هذه الدنيا غير محبوبه ومعشوقه. وهذا ما يعبّر عنه العرفاء بالسكر، إنه الوله، ونحن لا يمكن أن نترك هذه الدنيا إلا إذا شربنا من هذا الكأس وهذا الشراب. كذلك الحال عند بعض الدراويش الموجودين في إيران مثلاً، حيث يُقال عنهم مجانين، فهم لا يرون شيئاً في هذه الدنيا غير محبوبهم علي ابن أبي طالب عليه السلام. وفي هذا المجال يُروى أن أحد المراجع الذين كان الناس يفسحون له الطريق عند مروره، ذهب إلى السيد علي القاضي وهو أحد العرفاء الكبار، وطلب منه إرشاده ليسلك إلى الله، وعندما دخل على السيد، بقي السيد علي القاضي جالساً فسلّم عليه وجلس المرجع بجانبه، ثم دخل أحد الدراويش فقام واستقبله السيد واحتضنه وأجلسه بجانبه، ثم طلب من المرجع أن يعدّ نرجيلة للدرويش، فقال له: أأعد النرجيلة لهذا وأنا مرجع؟ فقال له السيد علي القاضي: عندما تُهذّب نفسك تعال إليّ.

هؤلاء الدراويش يسيرون على الشارع يرددون علي علي مولاي، علي، يا علي علي يا علي، ذكرهم هو علي بن أبي طالب عليه السلام لأن ذكره كما قال

رسول الله ﷺ عبادة، هذا هو السكر بحب علي، وهل عرفنا ما هو حب علي بن أبي طالب ولم نسكر به وبذكره؟

اسألوا الذين ذهبوا إلى كربلاء والنجف بماذا كانوا يشعرون عندما يعودون إلى ديارهم؟ وبماذا يشعرون عندما يسمعون بذكر علي والحسين عليهما السلام؟ ماذا يحصل لهم؟ وكم يحترقون عندما يعرفون أن أحداً ما ذاهب لزيارة المقامات المقدسة لأئمتنا سلام الله عليهم كل هذا لماذا؟ هل لأَنّ أحدهم سقاهم نقطة ماء أو أراهم ذلك الماء أو همس في أذنهم شيئاً أو نظر إليهم نظرة بدّلت وجودهم؟ وبالمقدار الذي يشرب فيه الإنسان من هذا الشراب وهو ماء الكوثر يترك ويهجر الدنيا ويبتعد عنها ويلتحق بالملأ الأعلى...

علي الأكبر عندما قال: **«هذا جدي رسول الله قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً»** هل هو بالظاهر كان عطشاناً أم حقيقة ما الذي كان يريده؟ لقد ذكر ماذا يريد، شربة لا أظمأ بعدها أبداً، بالظاهر هل رأى أحداً رسول الله يُشربه الماء؟ حتماً لا، وهذا معناه إن علياً الأكبر لم يتذوق ولم يطلب الماء الذي نعرفه بالظاهر، وبهذا يكون الماء الذي طلبه وحصل عليه هو هذا الشراب **«إن لله تعالى لأوليائه شراباً إذا شربوا سكروا، وإذا سكروا طربوا، وإذا طربوا طابوا، وإذا طابوا ذابوا وإذا ذابوا خلصوا وإذا خلصوا طلبوا وإذا طلبوا وجدوا وإذا وجدوا وصلوا، وإذا وصلوا اتصلوا، وإذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين محبوبهم»**[1] أي تنتفي الأنانية والإنية فيما بينهما ويصبحان حقيقة واحدة، ومن مصاديق هذا الأمر مخاطبة أمير المؤمنين علياً ابنه

(١) صحيفة الأبرار.

الحسن عليه السلام بهذه الكلمات: «. . . . **فإني وجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني وكأن الموت لو أتاك أتاني**»[١] وفي هذا السياق، يُنقل أن أحدهم جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: عندي حالة من القبض لا أستطيع تحمّلها، فأجابه الإمام عليه السلام: «**إن ذلك منّا، شيعتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا**»[٢]، واليوم يضيق صدر أحدنا فلا يعلم لماذا والحقيقة أن إمام الزمان عليه السلام أو وليّه أو محبوباً له يكون حزيناً، إذاً نحن نستطيع أن ندرك حالته عجّل الله تعالى فرجه من خلال قلوبنا، هذا إن كنا موالين حقيقيين قلباً وقالباً.

ورد في الخبر أن أحدهم سأل أمير المؤمنين عليه السلام: أين ستكون قبوركم، أين ستدفنون؟ فيجيبه: «**قبورنا في قلوب شيعتنا**»، وهذا معنى ما نردده في المجالس الحسينية «**بقلبي مأتمك يا حسين**». إذا أردنا أن نسلّم على الإمام الحسين عليه السلام فلنضع أيدينا على قلوبنا ونقول السلام عليك يا أبا عبد الله، فإذا وجدنا برد حبهم في قلوبنا، فذلك لأن قبورهم فيها، «**قبورهم في قلوب من والاهم**» وهذا الحديث يدل على أن الشرط لتكون قبور الأئمة عليهم السلام في قلوبنا هو (الولاية)، وهذا الأمر هو للشيعي الموالي وليس الشيعي فقط. وهناك فرق واضح بين الشيعي الذي ربما لم ينله من تشيعه إلا النسب وبين الشيعي الموالي وهو المؤمن الممتحن الذي يصفه أمير المؤمنين لسلمان وجندب قائلاً لهما: «**المؤمن الممتحن هو الذي لا يرد من أمرنا إليه شيء إلا شرح الله صدره لقبوله، ولم يشك ولم يرتاب**»[٣] أي لا يشك في أي

(١) المناقب: ج٤، ص٣٧.
(٢) غرر الحكم: ص١١٨.
(٣) بحار الأنوار: ج٢٦، ص١.

مقام من مقامات ومراتب الحقيقة المحمدية العلوية وهذه هي المعرفة الحقّة وهذا هو الدين الخالص.

ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام **«السلام على ملائكة ربي المحدقين بقبر الحسين عليه السلام»**، وأين قبره؟ إنه في قلبك أيها الموالي العاشق لمولاه، الباذل فيه مهجته، وبالتالي أين تحدّق الملائكة؟ إنها محدّقة بقلوب شيعة وموالي علي بن أبي طالب عليه السلام. التفتوا، ظاهر القبر جامد لا حياة فيه، ولا يتكلم من خلاله الإمام، ولكنه عليه السلام يستطيع أن ينطق على لسان أوليائه ومواليه الذين فنوا به بجميع مراتب وجودهم لذا فابحث عن واحد منهم لكنهم كما ورد أندر من الكبريت الأحمر. فكما قال الإمام الصادق عليه السلام: **«إن لنا مع كل وليّ عيناً ناظرة وأُذناً سامعة ولساناً ناطقاً ويداً باسطة»**.

ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول **«كلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت ابنتي فاطمة»**[1]، وكذلك قال: **«النظر إلى علي عبادة»**[2]، وبما أن قبور الأئمة في قلب المؤمن الموالي، فالنظر إلى وجهه عبادة، لذا ورد عنهم سلام الله عليهم **«النظر إلى وجه المؤمن عبادة»**. وكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«يا علي حبك إيمان»**.

أيها الموالي إن الإمام الحسين عليه السلام إنما توجه إلى كربلاء لكي يُعلّم العشاق كيف يعشقون، ويُعلّم الذين يريدون التوحيد، كيف يوحدون. ولا يمكن معرفة التوحيد إلا من خلال كربلاء فالسير منها وبها وإليها.

أنظروا إلى مولى الموحدين كيف كان حاله بكربلاء تقول الرواية: كان

---

(١) التوحيد: ص١١٧.
(٢) بحار الأنوار: ج٣٨، ص١٩٨.

كلما استشهد أحد من أصحابه، كان الباقون ينظرون إلى وجهه فيرونه يشتدّ نورانية فيتعجبون من أمره فقال لهم: «**هوّن ما نزل بي أنه بعين الله**».

وعندما جلس الشمر اللعين على جسد أبي عبد الله الحسين عليه السلام وبدأ يقطّع جسده الطاهر، كان لسان حال سلطان العاشقين والموحدين: «**إلهي لو قطعتني بالحب إرباً، لما مال الفؤاد إلى سواك**» «**فكأن الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل**»[1].

أيها الموالي، لا تظن أنهم عليهم السلام عاجزون عن قتل أعدائهم، فلهم القدرة على ذلك وقد أعطاهم الله ذلك ولكنهم تعاطوا مع الناس على أساس البيّنة. ورد في إحدى الروايات أن الإمام الحسين عليه السلام عندما توجه إلى كربلاء نزلت عليه الملائكة وقالت: نحن حاربنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بدر وأُحد، فأمرنا يا بن رسول الله، فقال: «**لا، بل تأتون بعد مقتلي تستغفرون لزواري**»، فنزل إليه نفر من الجن وقالوا له: مُرنا يا بن رسول الله فإنا نستطيع أن نبيدهم، فقال الإمام: «**والله إنّا لأقدر منكم على ذلك، ولكن ليحيا من حيا على بيّنة ويموت من يموت على بيّنة**». فالإمام لم يستعمل ولايته التكوينية مع أنه قادر على ذلك بما أتاه الله، وهذا نفسه ما حصل لمّا سُحب أمير المؤمنين عليه السلام من الدار وعُصرت فاطمة سلام الله عليها خلف الباب وخرجت خلف علياً عليه السلام وهمّت بالدعاء على القوم فأرسل إليها أمير المؤمنين سلمان رضوان الله عليه قائلاً: «**يا سلمان قل لفاطمة بُعث أباكِ رحمة للعالمين، فلا تكوني نقمة عليهم**» هكذا تجلّت الرحمة الإلهية وهكذا تجلى الرضا بقضاء الله وقدره.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٥، ص٨٧.

هذا هو حالهم وأما إذا أردنا معرفة حالنا ومدى إيماننا وصبرنا وتحمّلنا فلننظر إلى أنفسنا إذا أبتُليَ أحدنا ببلاء ما، فإنه يبدأ بطرق الأبواب ولا يترك أحداً، ويبدأ بالإعتراض لما يفعل الله بي كذا وكذا؟؟، أما الإمام الحسين عليه السلام كان كلما اشتدّ عليه الكرب في أرض كربلاء يقول: «**أرضيت يا رب خذ حتى ترضى**»، حتى بقي وحيداً فريداً فأخذه الله إلى مقام الرضى وهو أعلى مقام ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[1] والراضية والمرضية هما من أسماء الصدّيقة الطاهرة السيدة الزهراء سلام الله عليها. ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[2]، ومن هم عباد الله غير محمد وآل محمد؟ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[3]، فالنفس تدخل إلى محضر رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، إلى محضر أبي عبد الله الحسين عليه السلام وهم عباد الله عزّ وجل الحقيقيين.

وفي هذا الإطار يُروى أن أحد العلماء كان يُعطي درساً يتحدث فيه عن الجنة والحور العين والولدان المخلدين، فوقف أحد الحاضرين وقال له: سيدنا هذه الجنة التي تتحدثون عنها ألا يوجد فيها أبو عبد الله عليه السلام؟ فأجابه: بلى، فقال ذلك الشخص: إذاً يكفينا، ثم غادر المجلس. هذا هو حال العاشق الذي لا يريد شيئاً إلا محبوبه.

وكما ورد في إحدى الروايات، أن بعض الحوريات تشتكي إلى الله، أن لنا أناساً قد وعدتنا بهم، فأين هم؟ فيكشف الله تعالى الحجاب، فإذا هم يجلسون مع الحسين بن علي عليه السلام، فيُناديهم أحبتهم وأزواجهم وأولادهم أن

---

(١) سورة الفجر، الآية ٢٧ ـ ٢٨.
(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٩ ـ ٣٠.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١.

هلموا إلينا فلا يختارون على الجلوس في محضر الحسين شيئاً أبدا، لا الجنة، ولا الحور العين، هؤلاء هم عشاق الحسين الحقيقيون. . .

وهنا نستطيع أن نفهم وندرك معنى الرواية التي تقول: «**الجنة أشوق إلى سلمان من سلمان إلى الجنة**»[1]، لماذا؟ لأن سلمان كان يريد الحقيقة، التوحيد والولاية، وليس شيئاً غيرها. وكان في الدنيا يعدّ خطوات أمير المؤمنين عليه السلام، كان يحذو حذوه، وهذا هو الحب وهذا هو العشق، إحدى الروايات تذكر أنه عندما أتى أمير المؤمنين إلى المدائن ليواري سلمان الفارسي، فعندما رفع عنه الغطاء الذي كان يلفّه، جلس سلمان، فقال له الأمير عليه السلام: يا سلمان إرجع كما كنت، فرجع كما كان!. هذا هو الحب والعشق الذي جعل أطفال الإمام الحسين عليه السلام في الظاهر يطلبون الماء، وعندما يعطونهم إياه يرمونه إلى الأرض مع أنهم عطاشى، ذلك لأنه لا فرق بين الحبيب والمحبوب، فصحيح أن الجسد عطشان ولكنه لا يستطيع أن يشرب، فالحديث يقول «**إذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين محبوبهم**»، ولهذا أبو الفضل العباس عليه السلام لما اغترف بيده غرفة من الماء ليشرب عاد ورمى الماء، لأنه لا فرق بينه وبين الحسين بن علي، كان يرى نفسه الحسين عليه السلام، ألم يقل الإمام الحسين عليه السلام عندما نزل إلى مصرع أخيه العباس عليه السلام: «**الآن انكسر ظهري**» رغم أن العباس شخصاً والحسين شخصاً آخر؟

ما معنى هذا الحب والفناء؟ لقد فنوا في بعضهم فأصبحوا واحداً. انكسار ظهر الإمام معناه أن جسده هو جسد أبي الفضل عليه السلام، ولا يظنن أحد أن ظهر الإمام قد انكسر وانتهى الأمر، بل ما زال مكسوراً إلى الآن، فهناك سريان في هذا الوجود وقد كسر ظهره عليه السلام بعدما رحل كفيل زينب سلام الله عليها.

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٢، ص٣٤١.

تقول الروايات أن الإمام الحسين عندما وصل إلى كربلاء قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: نينوى، فسأل: هل لها اسم آخر؟ قالوا: الغاضرية، فظل الإمام يسأل حتى أتى رجل مُسن، قال: سيدي أبا عبد الله يطلقون على هذه الأرض اسم كربلاء، فقال عليه السلام: ها هنا محط رحالنا، ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء، كرب + بلاء = كربلاء.

أبو الفضل العباس كان يتحمل عن أخيه الكرب **«يا كاشف الكرب عن وجه أخيه الحسين»** والآن بعد شهادته أصبح الإمام الحسين عليه السلام يتحمل الكرب والبلاء، وما هو الكرب؟ هو سبي زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام.

ورد عن الإمام السجاد عليه السلام قوله **«رحم الله عمي العباس لقد كان نافذ البصيرة»**.

لقد كان الأعداء إذا نظروا إلى أبي الفضل العباس يهربون منه، وكان كل همهم أن يعموا عينيه، فهم لا يستطيعون النظر إليها، ذلك لأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب تجلّى في عيني أبو الفضل العباس، لذا كانت نظرة واحدة إلى أحد الأعداء كفيلة بجعله يهرب ويُصعَقْ، لهذا يقولون أنه ما ضرب أحد إلا قتله.

يقولون توجه العباس عليه السلام إلى الميدان، أخذ القربة وسار نحو المشرعة ففرّق العسكر، نزل من على جواده وكان كبده كالجمر، فغرف الماء بيده، لكي يملأ القربة ويشرب وهو لم يفعل ذلك إلا ليرى ويعاين مقدار امتلاء وجوده بالإمام الحسين عليه السلام، وليرَ أنه لا يوجد في ذاته غير الحسين عليه السلام، فغرف الماء بيده لا لكي يشرب لأنه عطشان، بل كما قلنا حتى يرى ويعاين

حقيقة التوحيد الحاصلة بينه وبين الحسين عليه السلام . ثم إنه رمى الماء من يده وملأ القربة، وكأني به:

شلون أشرب وخويه حسين عطشان سكنة والحرم وأطفال رضعان

توجه نحو المخيم، فخاطب ابن سعد معسكره: أيها العسكر لو وصلت نقطة من الماء إلى الحسين لأفناكم عن آخركم، ارشقوا القربة بالسهام، هذا والحسين كان يترقب راية أبي الفضل العباس عليه السلام والعقيلة زينب سلام الله عليها كانت تقف إلى جنبه، بعد لحظات رأت وجه الحسين قد تغيّر، سألت: أخي ما الخبر؟ قال: أختيَّة لقد قطعوا عليه الطريق، تقول الرواية بينما العباس عائد إلى المخيم كمن له لعين من وراء نخلة فضربه على يمينه فبراها، أخذ القربة بشماله وإذا بلعين آخر يضربه على شماله فقطعها، إحتضن القربة بأسنانه ولكن أين المصيبة؟ أتى سهم بالقربة فأريق ماؤها. وقف العباس متحيراً ماذا يفعل؟ وبينما هو كذلك وإذا بسهمٍ أصاب إحدى عينيه فأطفأها، أيها الموالي اسمع هذه المصيبة من العباس عليه السلام حيث رآه آية الله السيد القزويني في المنام وقد قال له أبو الفضل عليه السلام: إعلم أيها السيد إنهم لما قطعوا يديّ غدراً وظلماً وعدواناً، رشقوني بالسهام كرشق المطر، ورموني بالنبال، فأصاب عيني سهم منها فحاولت إخراجه وإزاحته من عيني، وحيث أنه لا يد لي حرّكت رأسي بشدة ليقع السهم منها، ولكن كلما حرّكت رأسي لم يخرج السهم، وإنما وقعت العمامة من رأسي، عندها رفعت ركبتيّ وقرّبت رأسي حتى أخرج السهم بركبتيّ، فإذا بي أفاجأ بضربة عامود من حديد على رأسي، أدّت بي إلى أن أهوي من على ظهر جوادي إلى الأرض[1].

---

(١) الخصائص العباسية: ص١٨٣.

أقول لكم إذا هوى الفارس إلى الأرض بما يتلقى الأرض؟ فكيف بالعباس لا كفان له فيقاتل بهما، ولا عينان فينظر بهما سقط على الأرض ساجداً استقبلها بجبينه فشُق جبينه والدماء تسيل منه. يقولون فلما وقع إلى الأرض سمعنا صوت امرأة تنادي ولدي عباس، أتدرون من هي؟

مني حاضرة يا عباس يا بني يا من ريت ذباحك ذبحني

لما سقط على الأرض، نادى بضعيف الصوت: عليك مني السلام يا أبا عبد الله أخي يا حسين أدرك أخاك. كانت تلك المرة الأولى التي يناديه فيها أخي دائماً كان يقول له سيدي...

لما سمع الحسين صوت أخيه أسرع نحوه، يقول الراوي وإذا بالحسين نزل من على ظهر جواده، حمل شيئاً من الأرض وصار يقبله ويشمّه ثم مشى بضع خطوات حمل شيئاً آخر وفعل كذلك، يقول الراوي نظرنا إلى الحسين ماذا يصنع؟ وإذا هو يقبّل كفي أبي الفضل العباس. ثم توجه نحو أخيه العباس عليه السلام، ولكن بأي حالة؟ واضعاً يده على ظهره منادياً الآن انكسر ظهري، الآن تشتت عسكري، الآن شمت بي عدوي. رآه بتلك الحالة مقطوع اليدين مرضوض الجبين، السهم نابت في العين، كأني به:

ظهري انكسر يا عباس وأنت لي كسرته ماني أخوك وشلون أخوك عفته

وانت التجيب الماي وانت الكفيل انت تخلي العقيلة بلا ولي بين آل امية

أخذ ينزع السهام التي تقاطرت باتجاه جسد العباس ثم جلس عنده، ظنّ العباس أنه أحد الأعداء يريد أن يحتزّ رأسه فقال له: يا هذا لا تقطع رأسي قبل أن يأتي أخي الحسين فأودّعه ويودّعني. وإذا بالحسين ينادي: أخي عباس أنا أخوك الحسين. وضع الحسين رأس العباس في حجره،

فأعاده العباس إلى الأرض وكذلك في المرة الثانية والثالثة فقال له الحسين: إنه الوداع يا بن والدي أريد أن أتزوّد منك، فقال العباس: أخي يا حسين إذا أنا وضعت رأسي في حجرك بعد لحظات رأسك في حجر من سيكون؟ سيدي يا أبا الفضل العباس، نم قرير العين، هذا رأس الحسين بين يدي زينب سلام الله عليها. وكأن العباس كان عنده وصية للحسين عليه السلام:

آه... يقله خوية سلم عالحزينة (زينب) قلها راعي العلم لا تجينا

مقطوعة كفوفه وبالسهم صوبوا عينه وراسه بالعامود تهشم

وبينما الحسين يكلّمه وإذا بأبي الفضل العباس شهق شهقة وفارقت روحه الدنيا. رحم الله من نادى: واعباساه واسيداه.

وما كانت إلا ساعة وإذا بالحسين قد رجع ماشياً على قدميه إلى المخيم يقود فرسه وراءه ويكفكف دموعه... استقبلته ابنته سكينة: أبه يا حسين أين عمي العباس؟ فبكى بكاء عالياً وقال: بنية عظم الله لك الأجر بعمك العباس فلقد تركته على شاطئ العلقمي مقطوع اليدين مرضوض الجبين

آه... يقلها يا سكنة راح عباس والله راح من يرفع الراس

ويلي طلبت الماي وما إجاني وعمي غاب عني وما إجاني

يا ريت الموت من قبله إجاني يا ريت اليوم لا مر على بالي

ثم أقبل الحسين إلى خيمة العباس وأسقط عامودها لَمَّا رأت زينب ذلك صاحت واضيعتنا بعدك يا أبا الفضل... فارتفعت الأصوات بالبكاء والصراخ والنحيب... لسان حال الحوراء زينب سلام الله عليها:

آه . . . تقله زينب

وانا لأبكي عليك يا نايم بالطفوف يا مقطوع الراس يا خوية والكفوف

علّوه حيدر الكرار يشوف ويشوفك عالنهر رمية

* * *

أحق الناس أن يبكى عليه فتى أبكى الحسين بكربلاء

أخوه وابنُ والده علي أبو الفضل المضرج بالدماء

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد .

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد وارزقني الرغبة في العمل لك لآخرتي حتى أعرف صدق ذلك من قلبي وحتى يكون الغالب علي الزهد في دنياي وحتى أعمل الحسنات شوقاً ، وآمن من السيئات فرقاً وخوفاً وهب لي نوراً أمشي به في الناس واهتدي به في الظلمات واستضيء به من الشك والشبهات برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآل محمد .



النفحة الثانية عشر

مجلس القاسم ابن الإمام الحسن

عليه السلام



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك وعلى أولادك المقتولين المذبوحين، صلى الله عليك يا أبا عبد الله وعلى ابن أخيك القاسم ابن الحسن المجتبى، لعن الله الظالمين لكم يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

لابن الزكي ألا يا مقلتي انفجري ... من الدموع دما يا مهجتي انفطري

مرمّلا مذ رأته رملة صرخت ... يا مهجتي وسروري يا ضيا بصري

ما كنت آمل أن أبقى وأنت على وجه ... الصعيد ضجيع الصخر والحجر

بني تقضي على شاطي الفرات ظمئ ... والماء أشربه صفوا بلا كدر

بني في لوعةٍ خلّفت والدة ... ترعى نجوم الدجى في الليل بالسهر

يا ساعد الله قلب السبط ينظره ... فرداً ولم يبلغ العشرين من العمر

إن يبكه عمه حزناً لمصرعه ... فما بكى قمرٌ إلا على قمر

* * *

وكأني بلسان حال أم القاسم رملة تقول:

يمه لا تقول سافروا وما ودعوني ... وعلى رمضا كربلاء تركوني

يمه الجسد مفارقك بس القلب وياك ... لو كان بيدي بقيت وياك

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

سوف نتبرك في هذا المجلس بقراءة هذه الرواية التي هي شفاء لجميع مراتب وجودنا، فمن كان عنده مرض مادي في جسده أو مرض معنوي في نفسه وقلبه فليعلم أن في هذه الرواية شفاؤه.

عن أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قال: **خرجت إلى المدينة وأنا وجع... فقيل للإمام الصادق عليه السلام: محمد بن مسلم وجع، فأرسل إليّ أبو جعفر عليه السلام، (الإمام الباقر)، شراباً مع غلام مغطىً بمنديل، (الإمام أرسل الشراب حتى يشفيه)، يقول الرجل: فناولني إياه الغلام وقال لي: اشرب فإنه قد أمرني أن لا أبرح حتى تشربه، (الإمام أمرني أن لا أتركك حتى تشربه أمامي)، فتناولته فإذا برائحة المسك منه وإذا بشراب طيّب الطعم بارد، فلما شربته قال لي الغلام يقول لك مولاي إذا شربته فتعال، ففكرت فيما قال لي وما أقدر على النهوض قبل ذلك على رجلي، فلما استقرّ الشراب في جوفي فكأنما نَشِطتُ من عقال (يعني في نفس الوقت) فأتيت بابه فاستأذنت عليه، (بعد أن شفي جسمه دعاه الإمام أن أدخل عليَّ لأن هناك تبيان لأمور أخرى وشفاء آخر) فدخلت عليه وأنا باكٍ فسلّمت عليه وقبّلت يده ورأسه، فقال لي: «وما يبكيك يا محمد؟» قلت: جُعلت فداك أبكي على اغترابي (أنا غريب بهذه الدنيا) وبُعد الشِقة وقلّة القدرة على المقام عندك أنظر إليك. فقال لي:**

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

«أما قلّة القدرة فكذلك جعل الله أولياءنا وأهل مودّتنا وجعل البلاء إليهم سريعاً» وهذا من قبيل الامتحان لحقيقة هذا الحب ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[1] . . . **«وأما ما ذكرت من الغربة فإن المؤمن في هذه الدنيا غريب وفي هذا الخلق المنكوس حتى يخرج من هذه الدار إلى رحمة الله»**. **«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»**[2].

(فهل يمكن أن يكون الإنسان مرتاح في السجن؟ لا يمكن أن تجتمع الراحة والسعادة في الدنيا والآخرة. هذا مستحيل، فحب الله وحب الدنيا لا يجتمعان في قلب واحد، وكل من يشعر بغربة له أسوة بأبي عبد الله عليه السلام).

«. . . وأما ما ذكرت من بعد الشقة فلك بأبي عبد الله عليه السلام أسوة بأرض نائية عنا بالفرات، وأما ما ذكرت من حبك قربنا والنظر إلينا وأنك لا تقدر على ذلك فالله يعلم ما في قلبك وجزاؤك عليه».

(إن من هو بيننا عاشق لإمام الزمان عليه السلام حقيقة، وينتظر اللحظة التي يراه فيها، فأجره وثوابه على الله وهو الذي يتولاه) ثم قال لي: **«هل تأتي قبر الحسين عليه السلام؟»**.

(هنا الإمام يعطيه الدواء والشفاء من الغربة ومن المرض ومن كل ما حكى عنه هذا الصحابي، وذكر له بأن شفاءه هو زيارة قبر الحسين عليه السلام.

فالذي يشعر منكم بالغربة وبالبعد عن إمام الزمان وبلوعة وبألم في هذه الدنيا، الحل الوحيد هو زيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام، أصلاً لا يوجد له دواء وحل ثاني ولن يصل إلى الحقيقة بدونها، ولو كان هناك حلاً آخر لكان

---

(١) سورة العنكبوت: الآية: ٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٦، ص١٧، عن رسول الله.

الإمام قد ذكره ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾[١] وإننا ما دمنا نتلهّى بكثرة الأولاد والمال وأمور الدنيا فإننا سنتعرّض لشتى أنواع البلاء «**وإذا ضاقت بكم الصدور فزوروا أهل القبور**» وهل هناك أعظم من قبورهم عليهم السلام حتى نذهب إليها ونزورها؟ هذه القبور بالآية ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ هي قبورهم سلام الله عليهم، هي قبر أمير المؤمنين عليه السلام وقبر الحسين عليه السلام و. . .) **ثم قال لي: «هل تأتي قبر الحسين عليه السلام؟» فقلت نعم** على خوف ووجل.

فقال عليه السلام: «ما كان في هذا أشدّ فالثواب فيه على قدر الخوف ومن خاف في إتيانه أمن الله روعته يوم يقوم الناس لرب العالمين وانصرف بالمغفرة وسلّمت عليه الملائكة».

(الرواية طويلة نذكرها باختصار)، ثم قال لي: «**كيف وجدت الشراب؟**» ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[٢]، **فقلت: أشهد أنكم أهل بيت الرحمة وأنك وصي الأوصياء، ولقد أتاني الغلام بما بعثته وما أقدر على أن أستقلّ على قدمي ولقد كنت آيساً من نفسي، فناولني فشربته فما وجدت مثل ريحه ولا أطيب من ذوقه ولا طعمه ولا أبرد منه، ولما شربته قال لي الغلام أنه أمرني أن أقول لك إذا شربته فأقبل إليّ، . . . فأقبلت إليك فكأني نَشِطتُ من عقال فالحمد لله الذي جعلكم رحمة لشيعتكم. فقال: «يا محمد، إن الشراب الذي شربته من طين قبر الحسين عليه السلام وهو أفضل ما استشفي به فلا نعدل به، فإنا نسقيه صبياننا ونساءنا فنرى فيه كل خير»**، (أهل البيت عليهم السلام كان طبيبهم ودواؤهم الذي لا يعدلون عنه ولا يقيسون به شيئا هو تربة قبر الحسين عليه السلام. وهل يقاس بها شيء؟).

---

(١) سورة التكاثر، الآية: ١ ـ ٢.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٥.

فقلت له: جعلت فداك إنا لنأخذ منه، (أي من الطينة) ونستشفي به لكن لم نشفى لماذا؟ (هذا السؤال من الصحابي يفتح باباً واسعاً عن آداب التعاطي والتعامل مع تربة الحسين عليه السلام). فقال: **«يأخذه الرجل فيخرجه من الحائر وقد أظهره** (يكون التراب ظاهراً ومكشوفاً) **فلا يمر بأحد من الجن به عاهة ولا دابة ولا شيء فيه آفة إلا شمّه فتذهب بركته»** (يعني المسألة أنكم تأخذونه وبطريقة سرعان ما تذهب بركتها فيكون حامله قد كشفه ولم يجعل عليه غطاء، فإذا مرّ أحد من الجن به عاهة أو آفة أو مرض فإنه يأخذ بركته، أو أي دابة تكون مارّة من جنبه فتشمّه وتأخذ بركته وليس من الضروري أن يكون الشمّ عن قرب. وهكذا تذهب بركة طين الحسين عليه السلام) **«فيصير بركته لغيره وهذا الذي يُتعالج به ليس هكذا»**.

(إن الذي نتعالج به لا نأخذه بهذه الطريقة) **«ولولا ما ذكرته لك ما يمسح به شيء ولا شرب منه شيء إلا أفاق من ساعته»** (ولو كان ميتاً لأفاق إذا شرب من تربة الإمام الحسين عليه السلام) ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾[1] (هذا هو الماء الذي إذا نزل على هذه النفس أحياها) **«وما هو إلا كالحجر الأسود أتاه صاحب العاهات والكفر والجاهلية وكان لا يتمسح به أحد إلا أفاق وكان كأبيض ياقوته فاسودّ حتى صار إلى ما رأيت»** فقلت: **جعلت فداك وكيف أصنعُ به؟** (ماذا عليّ أن أفعل كي أشفى بهذه التربة؟) **فقال لي: «تصنع به مع إظهارك إياه ما يصنع غيرك، تستخفّ به فتطرحه في خرجك، وفي أشياء دنسة فيذهب ما فيه مما تريده له»** فقلت: **صدقت، جعلت فداك، . . . وكيف لي أن آخذه كما تأخذه؟ فقال لي: «أعطيك منه شيئاً»** فقلت: **نعم**.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥.

فقال لي: «إذا أخذته فكيف تصنع به؟» فقلت له: أذهب به معي، فقال لي: «في أي شيء تجعله؟» فقلت في ثيابي، فقال: «فقد رجعت إلى ما كنت تصنع، اشرب عندنا منه حاجتك ولا تحمله فإنه لا يسلم لك». فسقاني منه مرتين فما أعلم أني وجدت شيئا مما كنت أجد حتى انصرفت[1].

هنا تكمن المشكلة، إن الإمام لم يخبرنا كيف نأخذ هذه التربة وأين نضعها وكيف نحفظها، ولكن هذه الطينة ما الذي جرى عليها؟ هذه الطينة قد سالت عليها دماءٌ ليست كباقي الدماء، إنه دم الحسين ابن علي عليه السلام الذي سكن الخلد واقشعرّت له أظلّة العرش، ودم أبي الفضل العباس عليه السلام، دم علي الأكبر عليه السلام، ودم الطفل الرضيع والأصحاب ودماء زينب سلام الله عليها والسبايا وبنات الرسالة، لذلك تشرّفت بهذا التشريف. ولقد سالت عليها دماء القاسم بن الحسن عليه السلام الذي نجلس في محضره في هذا المجلس والذي كان الإمام الحسن عليه السلام قد أوصاه أن يستشهد بين يدي عمه الحسين عليه السلام في كربلاء.

سيدي يا أبا عبد الله كلّهم يريدون مواساتك، فقد بكاك الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يوم ولادتك... وها هي أمك فاطمة أودعت أمانتها لك مع العلياء زينب... وها هو شبل الحسن أقبل مواسياً لك، فلا يوم كيومك يا أبا عبد الله، إن الذي جرى على الحسين بن علي لم يجرِ على أحدٍ من الأئمة عليهم السلام، **«إن يوم الحسين عليه السلام قد أقرح جفوننا وأذل عزيزنا في أرض كرب وبلاء»**.

تقول الروايات أن يوم العاشر من المحرم رأى القاسم علي الأكبر مُمَدّداً

---

(١) كامل الزيارات: ص٤٦٢.

في خيمته وقد سمع عمه الحسين عليه السلام يقول: واغربتاه، وا قلة ناصراه، هل من ناصر ينصرنا؟ هل من ذاب يذبّ عنا؟ أما من معين يعيننا؟ أما من ذاب يذبّ عن حرم رسول الله؟ كأني بالقاسم وقف يخاطب علي الأكبر ويقول له: يا بن عمي إني قادم إليك، مولاي يا حسن هذا القاسم قادم إليك، مولاي قم واستقبله، أقبل القاسم وقف بين يدي الحسين عليه السلام قائلاً: سيدي أبا عبد الله لقد ضاق صدري وسئمت الحياة.

هل نستطيع نحن أن نقول لصاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف هكذا؟ سيدي يا صاحب الزمان لقد ضاق صدرنا وسئمنا الحياة وأنّى لنا بالبقاء بعد رحيل الحسين عليه السلام؟

نظر إليه الحسين عليه السلام، احتضنه، هاجت به الأحزان، قال: ولدي قاسم أنت البقية الباقية من أخي الحسن، قال: سيدي ومولاي خذ مني هذه الوصية، أخذها الحسين منه، فتحها، وإذا هي كتاباً من الإمام الحسن لأخيه الحسين عليه السلام، أخي أبا عبد الله إسمح لولدي القاسم بالشهادة بين يديك، وكأنه يقول أريد أن أكون شريكاً معك في كربلاء.

نظر الحسين عليه السلام إلى القاسم نظرة عطف ورحمة وسالت دموعه على خديه، كأني به تذكّر يوم رحيل أخيه الحسن عليه السلام وهو يتلفظ كبده المسموم، ثم دنا من القاسم وضمّه إلى صدره وجعلا يبكيان حتى أغمي عليهما.

آه... يقله وداعة الله يا عيوني نيتكم وحدي تخلوني

هان عليكم يا ويلي تودعوني يا عمي وداعكم للقلب فطّر

ثم قام الحسين عليه السلام وألبس القاسم ثوباً على هيئة الكفن عمّمه بعمامة الحسن عليه السلام، أعطاه سيف أبيه، وهذا يدل على رفعة الحسن ومقامه وعلى

رفعة القاسم ومقامه، أراد القاسم أن يودّع أمه رملة، وعمته زينب وبنات عمه، أحطن به من كل جانب، هذه تقول له أبلغ سلامي إلى أخي علي الأكبر، وهذه تقول له أبلغ عمي عني السلام، أما زينب سلام الله عليها كأني بها اقتربت منه تقول، ولدي يا ابن أخي قاسم عندما ترى أباك الحسن أبلغه عني السلام وقل له بأني أمسيت غريبة، كأن النساء لما نظرنّ إلى القاسم رأوا فيه أباه الحسن عليه السلام، كلهم صاروا ينوحون ويبكون على الحسن عليه السلام، عظم الله أجرك سيدي ومولاي يا حسن المجتبى. وكأن رملة وقفت تقول: ولدي قاسم، أبلغ سلامي إلى أبيك الحسن، ثم نزل القاسم إلى الميدان، يقول حميد بن مسلم خرج إلينا غلام وجهه كفلقة القمر جعل يضرب بالسيف ويقول:

إن تنكروني فأنا نجل الحسن ... سبط النبي المصطفى المؤتمن

هذا حسين كالأسير المرتهن ... بين أناس لاسقوا صوب المزن

وبينما يقاتلهم قتال الأبطال رغم عطشه وصغر سنه حتى قتل منهم عدداً كبيراً إذ انقطع شسع نعله، ولا أنسى أنها اليسرى فانحنى ليصلحه وإذا باللعين اغتنم هذه الفرصة وقال: والله لأثكلنّ به عمه. فجاءه من خلفه وضربه بالسيف على رأسه فوقع منادياً: يا عماه يا أبا عبد الله أدركني، عليك مني السلام. فلما سمع الحسين عليه السلام نداء القاسم أسرع إلى الميدان وضرب قاتل القاسم وأقبل إليه فرآه مخضباً بدمائه قائلاً: عزّ والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا يعينك أو يعينك فلا يغني عنك.

بكه ونادى يا جاسم مش بإيدي ... يا ريت السيف قبلك حز وريدي

يا عمي هان عليكم تخلوني وحيدي ... وعلى خيامنا يا عمي الخيل تكثر

أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يرفع القاسم إلى خيمة الشهداء، وضع صدره على صدره وحمله إلى المخيم ورجلا القاسم تخطّان في الأرض، من منكم يساعد الحسين عليه السلام؟ لماذا؟ لأن الحسين عليه السلام أصبح منحني الظهر لعظم المصاب. ثم دخل إلى الخيمة وضعه إلى جانب ولده علي الأكبر وجلس بينهما صار تارة ينحني على ولده الأكبر وينادي واعلياه وتارة ينحني على ابن أخيه القاسم وينادي واقاسماه...

وإذا بالحوراء زينب تقول: أخي يا أبا عبد الله عظم الله لك الأجر، هؤلاء النسوة يردن الدخول والبكاء على أولادهن، لكن هيبتك تخجلهن. دخلت رملة، صارت تحوم حوله وتخضّب وجهها من فيض دمه، ولسان حالها:

آه... يبني ما انا الوالدة وانت ضناها يا بني والوالدة تطلب رباها

ويلي ليش قطعت منك رجاها يومك يالوحيد عماها

* * *

يا بني العتب شيفيد يا نور عيني فراقك بعيد

يا مهجة فؤادي يا فرد يا وحيد يا بني الوالدة مين غير ابنها تريد

* * *

إن يبكه عمه حزنا لمصرعه فما بكى قمر إلا على قمر

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلِّ على محمدٍ وآل محمد . . اللهم اختم بعفوك أجلي وحقق في رجاء رحمتك أملي وسهل إلى بلوغ رضاك سبلي وحسن في جميع أحوالي عملي برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآل محمد.



النفحة الثالثة عشر

مجلس الطفل الرضيع علي الأصغر

عليه السلام



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك يا أبا عبد الله يا أبا الأحرار يا حسين يا أبا الثوار يا غريب يا مظلوم صلى الله عليك وعلى طفلك الرضيع المذبوح من الوريد إلى الوريد، لعن الله الظالمين لكم يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني ... أو سمعتم بشهيد أو غريب فاندبوني

فأنا السبط الذي من غير جرم ذبحوني ... وبجرد الخيل بعد القتل عمداً سحقوني

ليتكم جميعاً يوم عاشوراء تنظروني ... كيف أستسقي لطفلي فأبوا أن يُشربوني

وعلى يدي ذبحوا رضيعي ظامياً ... وبقتلهم إياه قد أفجعوني

هل كان طفل قبل حين فِطامِه ... في حجر والده قضى كجنيني

فرفعته بيدي أمصّ لسانه ... كي يرتوي وبريقه يرويني

فأصاب حرملة اللعين وريده ... ورميته نحو السماء بيميني

فرأيت آفاق السماء محمرةً ... منه وفاضت بالدموع جفوني

* * *

سيدي يا صاحب الزمان. . . أخبرني أي المصائب تحرق قلبك أكثر كسر ضلع أمك الزهراء أم سقوط المحسن أو كسر ضلع أبي عبد الله في

كربلاء وذبح الطفل الرضيع . . .

آه . . . نارين شبوها القوم نارين تسعر لليوم

وضلعين انهشمت للعترة ضلع حسين وضلع الزهرة

يالغايب طالت هالغيبة وما تخمد جمرة آلامك

تلهب من كسر الضلعين



ورد عن الإمام الحجة عليه السلام قوله: **«لا لأمره تعقلون ولا من أوليائه تقبلون حكمة بالغة فما تغني النذر عن قوم لا يؤمنون»** فما هو أمر الله الذي إلى الآن لم يعقله المؤمنين ولم يقبلوه؟ وهل أمرهم غير أمر الله؟ إن من المعلوم أن أمرهم سلام الله عليهم هو أمر الله ونهيهم نهي الله، ولكن من هو صاحب الأمر؟ **«يا صاحب الأمر أدركنا»** إنما هو قائم آل محمد، وأمرهم سلام الله عليهم نحن لا نعقله، فكما ورد **«إن أمرنا صعب مستصعب لا يتحمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»**[1].

وإذا كنا لا نحتمل أمرهم، فهل نقبل من أوليائهم؟ ومعلوم أن تحمّل أمر الولي يوصل إلى تحمّل أمر الإمام، والذي يخالف أمر الولي سيفعل الشيء ذاته مع صاحب الزمان عليه السلام بل أكثر. فإذا كنّا حتى الآن لم نتحمل أمر الأولياء فهل سنتحمل أمر صاحب الزمان؟!.

ورد في الحديث أنه إرتدّ الناس بعد النبي إلا ثلاثة: سلمان وأبو ذر والمقداد، وتقول الرواية كان أشجعهم المقداد إذ كان واضعاً يده على سيفه ينظر في عينيّ أمير المؤمنين، لا يفكر بشيء، بل ينتظر أمر محبوبه ومعشوقه، ولا يعترض ولا يسأل: كيف يُسحب الأمير من الدار؟ كيف يتركهم يفعلون ما فعلوه بالسيدة الزهراء سلام الله عليها وهو عنده الإسم الأعظم؟ كيف وكيف... كل القضية عنده، إذا أمره الأمير عليه السلام بسحب

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٢، ص٢٩٦.

سيفه يسحبه وإذا لم يأمره لا يسحبه. هذا هو حد القضية عنده، فهل يا ترى نحن كذلك؟!.

هنا أطرح موضوع البحث هل أتقبل أمر الإمام إذا أمر وهل سأتحمل أمره؟.. وهنا نسأل في هذا الباب هل يحق للإمام المعصوم أن يغيّر الشريعة؟ الجواب أن الإمام المعصوم هو الشريعة وقد قال رسول الله ﷺ: **«الشريعة أقوالي والطريقة أحوالي والحقيقة ذاتي»**[١]، فالشريعة هي قول رسول الله **«صلّوا كما رأيتموني أصلي»**[٢].

وكما ورد عن الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه **«قلوبنا أوعية لمشيئة الله فإذا شاء شئنا»**[٣] فبساحتهم غير وارد أي مخالفة لإرادة الله لأنهم فانون به وقد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم وعصمهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٤] وأنتم تعلمون أن في عصر الظهور لحضرة قائم آل محمد عجّل الله تعالى فرجه هناك امتحانات ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٥] وإحدى هذه الامتحانات كما ورد في الروايات أنه إذا خرج القائم حوّل القبلة إلى كربلاء، وهنا ليس بحثنا في سند الرواية، وهل هذه الرواية صحيحة أم لا؟ ولكن الغرض، هل يحق للإمام المعصوم أن يغيّر الشريعة؟ وماذا سيكون موقفي من إمام الزمان عليه السلام؟ ألم نسمع الرواية التي تقول بأنه سيأتي بدين جديد. مشكلة الشيعة أنهم يعتبرون أن الذي تربوا عليه هو الصحيح وليس قول أو فعل الإمام المعصوم

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١، ص١٧٣.
(٢) بحار الأنوار: ج٨٢، ص٢٧٩.
(٣) دلائل الإمامة: ص٢٧٣.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٢.

هو الصحيح. ولذلك سيعتبرون ما يقوله الإمام المهدي ديناً جديداً وليس هو الدين الصحيح.

من هنا الكثير سيقول له «**إرجع من حيث أتيت لا حاجة لنا بك**» ولا يتحملون أمره، مع العلم أنني كي أعرف ماذا يريد الله مني، عليَّ أن أرجع للإمام المعصوم، فهو الذي سيرشدني «**بنا عُبد الله بنا عُرف الله**»[١]، «**من أراد الله بدأ بكم ومن وحّده قبل عنكم**»[٢]. هناك امتحانات كثيرة يقوم بها إمامنا صاحب الزمان عليه السلام، منها ما ورد في هذه الرواية والتي يمكن أن لا يتقبلها البعض، ويذكرها الشيخ آبادي أستاذ الإمام الخميني قدس سره والذي حينما يذكر إسم أستاذه في كتاب «الأربعون حديثاً» يقول عنه: أستاذنا العارف الشاه آبادي روحي له الفداء . . .

تقول هذه الرواية أنه حين يخرج القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف يأتي إلى المكان الذي دفن فيه أبو بكر وعثمان وعمر لعنهم الله ويخرجهم من قبورهم فتبدو أجسادهم وكأنهم دفنوا للتّو، عندئذ قسم من شيعة الإمام يقولون لو لم يكن لهؤلاء كرامة عند الله ما كانت أجسامهم محفوظة، فيقفون ضد إمام الزمان، ثم تكمل الرواية أن إمام الزمان بعد ذلك يأخذهم ويُعَلِّقهم على نخيل يابس ويُصَلِّبَهم فيخضَّر ذاك النخيل اليابس، حينئذ، تقف ثلّة أخرى ضد الإمام، وهذا بلاء، فإمام الزمان يريد أن يكشف السرائر ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾[٣] أي يوم تظهر حقائق ما أخفينا في أنفسنا، وأخيراً يحرقهم الإمام وينثر رمادهم في الهواء فتبرق الدنيا وترعد كلها رعداً ما رعدته من قبل ويهطل المطر بشدّة.

---

(١) الكافي: ج١، ص١٤٥.
(٢) التهذيب: ج٦، ص٩٩.
(٣) سورة الطارق، الآية: ٩.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[١] و﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾[٢] فالمؤمن الحقيقي والموالي لا يتزلزل ولا تهزّه الريح وإنما يزيده الامتحان والبلاء يقيناً وثباتاً، القلة القليلة تبقى مع إمام الزمان، وأولئك الذين تركوه لأنهم لم يتحملوا أمره. وهناك رواية تقول: أن ثلاثمائة وثلاثة عشر من القادة يريهم إمام الزمان عليه السلام صك كتاب مختوم بختم من محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، ولا تنقل الرواية ما هو الموجود في الكتاب، ولكن عندما يقرأه عليهم يجفلون عنه (يتركونه) إجفال الغنم، فلا يبقى معه إلا الوزير وأحد عشر نقيبا، فيهيمون في الأرض فلا يجدون حجة غيره، فيرجعوا إليه فيبين لهم الإمام عليه السلام، حقيقة الأمر ويوضحه لهم فيرجعوا إليه.

أهل البيت لو أرادوا أن يظهروا مقامهم كله بالتأكيد لن يبقى معهم أحد. **«إن أمرنا صعب مستصعب لا يتحمله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان إلا مَنْ شئنا»**[٣]، وقد ورد عن علي عليه السلام قوله **«ما خرج إليكم من علمنا إلاّ ألف غير معطوفة»**[٤]، لذلك هم يتعاطوا معنا كبشر عاديين **«ولولا أن أمر الله لا يُغلب وسرّه لا يُعلن ولا يُظهر، لظهر لكم من حقّنا ما تبهر منه عقولكم ويزيل شكوكم ولكن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ونحن صنايع ربنا والخلق بعد صنايعنا، ولولا ما عندنا من صلاحكم والإشفاق عليكم لكنّا عن مخاطبتكم في شغل»** هذا كلام صاحب الزمان للشيخ المفيد، ولكن هم مشغولون مع من؟ مع كُنْهِ الذات الإلهية تبارك وتعالى مع غيب الغيوب.

---

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ١٣ ـ ١٤.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.
(٣) بصائر الدرجات.
(٤) بصائر الدرجات: ج٨، ص٥٠٨.

تقول إحدى الروايات أنه يأتي أحد الأشخاص ويجثو على ركبتيّ الإمام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه يُقَبلهما فيلتفت الإمام إلى أصحابه ويقول لهم إقطعوا رأسه إنه منافق. ونحن نظن أن هذا الشخص مؤمن ومتدين؟ فهل ستتحمل أمر كهذا؟.

فلنلتفت إذاً، إذا كنا نحن إلى الآن لا نستطيع تحمل أمر الولي وتقبلّه ولا أمر الإمام المعصوم فكيف نريد أن نصل لأمر الله وإلى التوحيد؟ وأي توحيد هذا؟ لذلك «**يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت**»[1]. تقول إحدى القصص المروية عن عارف رباني جليل في إيران وهو الشيخ بهجت حفظه الله، أنه كان يصلي صلاة الصبح قبيل شروق الشمس، وهذا يعني أنه ينتهي من صلاة الصبح والشمس ساطعة، فبدأ الناس بالهتك والأذى بهذا العالم العارف بأنه كيف يؤخر صلاته إلى هذا الوقت وهو عالم؟ إلى أن بيّن الأمر أحد الأخوة في الحرس وقال: أنَّ الإمام الخميني طلب من الشيخ أن يُبقي معه حرَّاس مرافقين له لأنه كان هناك من يراقبه ويريد قتله، ولكن الشيخ لم يرض آنذاك فقال له الإمام: لا أجوّز لك أن تخرج ليلاً، فإذا أردت الخروج فليكن ذلك نهاراً، فكان العالم يصلي في بيته صلاة الصبح ثم يذهب إلى المسجد عندما تشرق الشمس، هذه هي حقيقة الأمر ولكن الناس ماذا فعلوا؟ هذه هي مشكلة الإنسان أنه يقيس ما يراه على فكره فيهتك الآخرين ويتعرّض لهم ولا يحتمل أنه قد يكون لهذا الإنسان حجة بالكتاب والسنة وهو لم يرها.

نحن نقيس حتى الله عزّ وجل على فكرنا، النبي موسى عليه السلام عاتبه الله، مع الإلتفات إلى أن العتاب شيء والذم شيء آخر، يقول له: لقد استغاث بك فرعون سبعين مرة ولو استغاث بي مرة واحدة لأغثته، هنا الرحمة المطلقة،

---

(١) تأويل الآيات: ص١٤٥.

هنا الله سبحانه وتعالى يبين للنبي موسى الفرق بين رحمة موسى ورحمته المطلقة محمداً وآل محمد. وقد تجلت هذه الرحمة عندما سحبوا أمير المؤمنين وفُعِل ما فُعل بفاطمة وهي تقول خلوا عن ابن عمي أو لأكشفن للدعا راسي، لما رآها أمير المؤمنين أرسل إليها سلمان يقول لها لقد بُعِثَ أباك رحمة للعالمين فلا تكوني نقمةً عليهم.

أُنظروا إلى الرحمة المطلقة، حتى في هذه اللحظة أمير المؤمنين يرحمهم، لا يريد أن ينزل عليهم البلاء ولم يعمل بولايته التكوينية مع أنه كان قادراً على ذلك. وهذا ما حصل أيضاً في كربلاء حين حضرت وفود الملائكة لنصرة أبي عبد الله عليه السلام.

أيها الأحبة من أراد رحمة الله فهم رحمته ومن أراد الله بدأ بهم ومن أراد أمره أخذ عنهم وتمسك بولايتهم، جاء بالحديث القدسي «**يا محمد لقد افترضت على عبادي الصلاة وأسقطتها عن العليل، وافترضت على عبادي حب علي بن أبي طالب فلا عذر لأحد فيه أبداً**»، فالصلاة والحج والصوم والزكاة يسقطون في عدة موارد ولكن ولاية علي بن أبي طالب لا تسقط أبداً، لذلك يقول الإمام علي عليه السلام لأصحابه عندما يجبرهم الأعداء على البراءة منه «**أما السب فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة وأما البراءة فلا تتبرؤا مني فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة**»[1].

والذي يتولاهم عليه أن يدفع ثمن هذه الولاية فهذه هي السيدة زينب سلام الله عليها مع كل الذي حصل لها في كربلاء يقول لها عبيد الله بن زياد لعنه الله، كيف رأيت صنع الله بأخيكِ؟ فتجيبه «**والله ما رأيت إلا جميلاً**».

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٩، ص٣٢٥.

تنقل إحدى الروايات أن منكراً يقول لنكير عندما يدخلان على أحد الأشخاص، دعك منه إني أشم منه رائحة علي بن أبي طالب. ويقول أحد الأولياء أن أحد الملائكة الموكلين من قبل ملك الموت أتى إلى أحد الشهداء يريد قبض روحه ولكن هذا الملك جفل عند رؤيته، لماذا؟ لأنه عندما نظر إلى وجه هذا الشهيد رأى شيئاً من ملامح وجه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: أريد أن أقبض روحك وكأنه يستأذنه ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1] فقال له الشهيد: إن قبضت روحي فهل سأظل أحب علياً عليه السلام؟ فأجابه ملك الموت: بلى. فقال له: يا علي خذها وهو يردد ذكر ـ يا علي يا علي ـ على لسانه، عشاق علي بن أبي طالب عندما يرونه ساعة موتهم تشهق روحهم شهقة واحدة وتستقرّ في حجر علي بن أبي طالب فهو القابض لها وهو الباسط أيضاً.

أين عشاق علي بن أبي طالب؟! أين أولئك الذين يناجونه ليلاً ونهاراً؟! أين أولئك الذين يتحرّقون شوقاً إلى رؤيته؟!.

إسمعوا أمير المؤمنين عليه السلام يتحدث عن صاحب الزمان فيقول آهٍ آهٍ شوقاً إلى رؤيته، أمير المؤمنين يتأوه شوقاً لرؤية صاحب العصر والزمان وهو لم يكن آنذاك مولوداً، ولكن صاحب الزمان موجود الآن فمن يقول آهٍ آهٍ شوقاً إلى رؤيته؟ من يريد أن يرى الطلعة الغرّاء لبقية الله؟ إمامنا الصادق يخاطبه عجّل الله تعالى فرجه «**سيدي غيبتك نفت رقادي**...» أين عشاق صاحب الزمان؟!!.

يا صاحب الأمر أدركنا فليس لنا وردٌ هنيء ولا عيش لنا رَغد، طالت علينا ليالي الإنتظار فهل يا بن الزكي لليل الإنتظار غد؟! عشاق إمام الزمان لا

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة، فهم لا يأنسون لا بفرض صلاة ولا صوم ولا حج ولا زكاة ولا بشيء من أمور الدنيا أو الآخرة لأنّهم أحرار.

تصوروا أن يدركنا الموت ولا نرى صاحب الزمان، هل هناك أعظم من هذه المصيبة؟ أنموت وولي أمرنا لم نره بعد ولم نشم رائحته حتى الآن ولم نسمع له حسيساً ولا نجوى؟.

سيدي أين أنت يا معزّ الأولياء ومذل الأعداء؟ ومن هم الأولياء؟ أليسوا زينب وسكينة سلام الله عليهما؟

نسأل أين أنت يا صاحب الزمان؟ فها هو يجلس صباحاً ومساءً يندب ويبكي. **«لأندبنك صباحاً ومساء ولأبكين عليك بدل الدموع دما»**.

تقول إحدى الروايات أن صاحب الأمر يخرج من الكعبة سانداً ظهره إليها خائفاً مترقبا، يخرج من نفس المكان الذي خرجت منه مولاتنا فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين رضوان الله عليها بعدما وضعت الإمام عليه السلام ويُشَقُّ له الجدار كما شُق لها، تقول الروايات يخرج في يوم العاشر من محرم في اليوم الذي قتل فيه سيد الشهداء فإذا ظهر وضع سيفه على عاتقه، ميكائيل عن يمينه وإسرافيل عن شماله. جبرائيل ينادي بين السماء والأرض: ظهر المهدي من آل محمد تقول الرواية ثم يأتي إلى قبر جده رسول الله ويقول: **«أنا المهدي المنتظر ويشير إلى قبر أمه فاطمة وهو يعلم بقبرها ويقول: يا أهل العالم احكموا بيني وبين الذي قتل أمي فاطمة»**. وكيف قُتلت مولاتنا فاطمة الزهراء سلام الله عليها؟ دخلوا عليها الدار وعصروها خلف الحائط والباب واغتزّوا المسمار في صدرها وهي تنادي: يا فضة إليك فخذيني وإلى صدرك فضميني فقد والله أسقطوا جنيني وإذا بالمنادي ينادي أيها الناس أفسحوا

المجال فإذا بمخدرتين سيدتين جليلتين تحضران عند الإمام إحداهما تُسلّم وتقول: يا صاحب الأمر أنا أمك فاطمة بنت أسد والأخرى تقول: أنا أمك خديجة الكبرى وتقدّم السيدة خديجة شيئاً للإمام المنتظر في خرقة ملفوفة، الإمام يفتح تلك الخرقة وينادي: أيها الناس هذا محسن بن فاطمة الذي قتل بين الحائط والباب، ما ذنب هذا الطفل؟ عند ذلك يضع خدّه على قبر أمه وينادي: «وافاطمتاه». ثم يأتي إلى أرض كربلاء ودموعه تتحادر على خديه، يدخل إلى المكان الذي دُفن فيه أبو عبد الله عليه السلام وهو يقول: السلام عليك يا جداه. فيخرج صوت من داخل الضريح وعليك السلام يا ولدي إلى الآن تأخر ظهورك وقد كسر الأعداء جناحي صدري ثم يحفر عليه السلام بسيفه عند قبر الحسين عليه السلام فيخرج طفلاً صغيراً مذبوحاً من الوريد إلى الوريد وهو جثة بلا راس فيرفعه الإمام ويقول: يا رب ما ذنب هذا الطفل حتى يذبح من الوريد إلى الوريد؟ هذه دلالة على منزلة علي الأصغر، من هو علي الأصغر حتى يخرجه صاحب الزمان بيده؟ ثم يقول: أيها العالم لقد قتل جدي الحسين بكربلاء عطشاناً، أيها العالم لقد تركوا جدي الحسين بكربلاء عرياناً، أيها العالم لقد سحقوا جدي الحسين ظلماً وعدواناً».

كأني بأصحاب الإمام المهدي عليه السلام عندما لاحت لهم طفوف الغاضرية وشاهدوا قبة الحسين عليه السلام وقعوا على الأرض وصاروا يعفّرون وجوههم بهذا التراب الذي طالما اشتاقوا إليه. هذا التراب الذي استشهد عليه الحسين بن علي كأنهم يبحثون عن السوط الذي ضُربت به سكينة ويرمون بأنفسهم عليه ويفتشون عن السوط الذي ضرب متن زينب وصاروا يضربون أجسادهم بتلك السياط وكيف لا يفعلون هذا عندما يرون خمار زينب؟ . . . إذا كان حبيب بن مظاهر صار يحثو التراب على وجهه وفمه عندما علم أن زينب

تسلّم عليه، فما حال هؤلاء الأصحاب إذا رأوا المكان الذي داست عليه زينب وهي تسعى بين مصرع الإمام الحسين وأبا الفضل عليهما السلام.

تقول الروايات بعدما قتل الأصحاب وبنو هاشم وبقي الحسين وحيداً فريداً يطلب الناصر والمعين وينادي: ألا من ناصر ينصرنا ألا من ذاب يذب عن حرم رسول الله؟ وإذا بصوت الطفل الرضيع يعلو بالبكاء، تفديك روحي سيدي أبا عبد الله حتى الأطفال يريدون أن يلبوا نداءك، أخذته زينب من يد أمه ناولته إلى أخيها الحسين قائلة: أخي يا أبا عبد الله لقد جفّ اللبن من ثدي أمه. أخذه الإمام الحسين أجلسه في حجره وصار يقبله. هذه آخر مرة يرى فيها طفله. توجه نحو الميدان وهو يقول: ويل لهؤلاء القوم إذا كان جدك المصطفى خصيمهم يوم القيامة، ثم أتى به نحوهم يطلب الماء قائلاً: يا قوم لقد قتلتم إخوتي وأولادي وما بقي غير هذا الطفل أما ترونه كيف يتلظى عطشاً من غير ذنب أتاه إليكم؟ فاسقوه شربة من الماء. اختلف العسكر فيما بينهم فمنهم من قال: إذا كان ذنب للكبار فما ذنب هذا الطفل، ومنهم من قال: اقتلوه ولا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية ولا تذروا على الأرض أحد منهم. لما رأى عمر بن سعد لعنه الله ذلك صاح: ويحك حرملة إقطع نزاع القوم. يقول حرملة: نظرت إلى الطفل الرضيع لم أعرف أين أصوّب السهم لأن الطفل كان مقمّطاً بقماط، إلى أن هبّت ريح فرأيت رقبته تلمع على عضد أبيه الحسين عليه السلام كأنها إبريق فضة فرميته بسهم فذبحته من الوريد إلى الوريد وصارت دماؤه تسيل عليه وعلى ثوب أبيه. قيل له: ويحك حرملة أما عندك رحمة؟ أما رقّ قلبك؟ قال: بلى والله لقد رقّ قلبي، فإني لما رميته وهو في حجر أبيه، أحسّ بحرارة السهم أخرج يديه من القماط واعتنق رقبة أبيه سيد الشهداء وصار يرفرف كالطير المذبوح. وضع الحسين كفّه تحت منحر الرضيع فلما امتلأت دما رفع يديه نحو السماء وقال: «هوّن ما نزل بي أنه

بعينك يا الله». يقول الراوي: عاد الإمام الحسين عليه السلام بطفله كما جاء تحت ردائه. كانت سكينة تقف تنتظر رجوع أبيها لما رأته أسرعت نحوه، قالت: أبه لعلك سقيت أخي الماء وجئتنا ببقيته؟ فقال الحسين عليه السلام: هذا أخاك مذبوحاً من الوريد إلى الوريد.

يبويه الطفل للماء أخذته بسهم العدى مذبوح جبته

شنهو الذنب خوية لعملته والماي حاضر ما شربته

يقال أن الإمام الحسين كان كلما وصل إلى خيمة الرباب عاد ولم يدخل لماذا؟ لأنه لا يستطيع أن يخبر الرباب بما جرى وهي تنتظر ولدها وقد شرب الماء. وقف عند باب الخيمة حائرا ثم نادى: أخية زينب يا أم المصائب. خرجت من الخيمة. قال لها: أخية ساعديني، أقبلت إليه تنظر إلى الطفل الرضيع فوجدته مضرّجاً بدمائه، وجعلا يحفران حفرة في الأرض، وبينما كان الإمام الحسين يهمّ أن يضعه في قبره خرجت أمه الرباب لأنها لم تعد تسمع بكاء الطفل، فظنت أنهم سقوه الماء. لكنها عندما نظرت إليه رأت الطفل مذبوحاً من الوريد إلى الوريد، السهم نابت في نحره، قماطه ملطخ بالدماء نظرت إلى سيد الشهداء قائلة: سيدي أبا عبد الله قف لي هنيهة حتى أودّع ولدي أقبلت إليه ضمته إلى صدرها وهي تقول: بني علي لقد كنت الأنيس لوحشتي وسلواي إذا صرت في الهم هائمة...

آه... أنا الوالدة وتعبت برباك وعلى مهدك طول الليل أسهر

تمنيتك يا عبد الله تكبر وعلى فراقك قلبي تمرمر

ردوك يا بني بسهم مفطوم يالرحت عن الماي محروم

بعدك لحرّم لذة النوم وابكي عليك بقلب مالوم

يقولون صار ابن زياد يكافئ كل من قتل قتيلاً بكربلاء وجاء برأسه إليه. فصار حرملة يفتش عن الطفل الرضيع حتى يقطع رأسه ويأتي به إلى ابن زياد. يقولون صار يحفر قرب المخيم فوجد الطفل الرضيع فذبحه ورفع رأسه على رمح طويل. . .

في ليلة الحادي عشر من محرم رأت الرباب في منامها أنها تهزّ مهد ولدها فانتبهت من نومها وإذا بها ترى المهد خالياً من ولدها. . .

في هذه الليلة افتقدت العقيلة زينب الرباب أخذت تبحث عنها بين النساء فلم تجدها، توجهت نحو المكان الذي دفن فيه الطفل الرضيع سمعت أنيناً وحنيناً. أقبلت العقيلة زينب نحوها قالت: لها رباب ما تصنعين هنا؟ قالت لها: سيدتي عندما أباحوا لنا الماء وشربت منه درّ ثدياي عليّ فأوجعني صدري فقلت آتي إلى ولدي لعلي أجد فيه رمقاً من الحياة ولكنه مذبوح من الوريد إلى الوريد.

وكأني بلسان حال الرباب

ويلي يا بني يا عبد الله يا نور العين ... وأنا قلبي عليك يا أمي شعل نار
علوه تعود يا بني عالدار ... لأفرح فيكم والقلب ينسر
يا ريت السهم اجا بقلبي ... ولا شفتك مذبوح يا بني
خليتني عمياء ما شوف دربي ... من كثر النوح عليك ومن البكا

* * *

ما حال عمته وحال شجونها ... من نار أحشاها وماء جفونها
لما رأت خطفه كف منونها ... همت تغسله بماء عيونها
فتكفلت عنها الدماء بغسله

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد . . اللهم إنك ابتليتنا في أرزاقنا بسوء الظن وفي آجالنا بطول الأمل حتى التمسنا أرزاقك من عند المرزوقين وطمعنا بآمالنا في أعمار المعمرين فصل على محمد وآل محمد وهب لنا يقيناً صادقاً تكفينا به مؤونة الطلب وألهمنا ثقة خالصة تعفينا بها من شدة النصب برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآل محمد.



النفحة الرابعة عشر

شهادة الإمام أبو عبد الله الحسين

عليه السلام



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك يا سيدي يا مولاي يا أبا الأحرار يا أبا الثوار يا غريب يا مظلوم يا عطشان كربلاء، مولاي يا أبا عبد الله يا رحمة الله الواسعة يا باب نجاة الأمة روحي وأرواح شيعتك لك الفداء يا شهيد كربلاء، لعن الله الظالمين لكم من الأولين والآخرين يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

رزء الحسين الشهيد قد أبكاني ... وزاد حزني وهيّج أشجاني
وفتّت القلب والأحشاء قطّعها ... وخلّى في قلبي لهيبا من النيران
ذكرت حسينا بالطفوف عندما ... أحاطت به الأعداء من كل مكان
حزني عليه غريباً ما له أحد ... ولا نصير له بين عدوان
لهفي عليه ينادي القوم ويلكم ... إرحموني يا آل زياد وسفيان
فرموه بسهم وسط نحره ... فسقط للأرض وطرفه للنيران
وراح المهر ينعى ويندبه ... نحو النساء قاصدا يبك بأحزان

* * *

آه... أنا منين أجيب الماي منين ... ما ظل دمع واسقيك يا حسين
جفّت يا خوي دمعة العين ... وعلى الشريعة القوم صفين

«أشهد أن دمك سكن في الخلد واقشعرت له أظلّة العرش وبكى له جميع الخلائق وبكت له السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا وما يرى وما لا يرى»[1]، بهذه الكلمات كان الإمام زين العابدين عليه السلام يزور الإمام الحسين عليه السلام وهو الذي شاهد بعين القلب والحقيقة كل ما جرى في كربلاء. فالإمام زين العابدين عليه السلام يشهد أن دماء أبيه الحسين عليه السلام سكنت في الخلد، واقشعرّت لها أظلّة العرش، وبكى لها جميع الخلائق من الجن والإنس والملائكة والنبات والجماد. ولكن كيف أن البشر أيضاً، البارّ منهم والفاجر قد بكى على سيد الشهداء عليه السلام؟ أحدهم يرى العلامة الدربندي صاحب كتاب إكسير العبادات في عالم الرؤيا فيسأله عن هذا الأمر، فيقول له: عندما نأتي إلى هذا العالم ونخرج من أرحام أمهاتنا، نبكي شئنا أم أبَيْنا وإذا كنا لا نبكي نُضرَب حتى نبكي وإلا نموت. فكل البشر أول ورودهم وشرط دخولهم إلى عالم الدنيا هو البكاء على سيد الشهداء عليه السلام.

وإن من المعلوم أن هناك فرقاً بين العلم واليقين والشهود، أي بين أن يعرف الإنسان مسألة وبين أن يشهدها، وعندما يشهدها تسمى تلك المشاهدة بالشهود، فعندما نقول على سبيل المثال: أشهد أن لا إله إلا الله، يعني أننا نعلم ونعرف ونتيقن ونشهد أن لا إله إلا الله، وإذا لم يكن عندنا شهود وإنما كان عندنا فقط علم أو معرفة أو يقين بالله تعالى فهذا معناه أنه حتى الآن لسنا من المؤمنين الحقيقيين.

---

(١) الكافي: ج٤، ص٥٧٥.

فعندما يُرفع الآذان عند حلول وقت الصلاة يبدأ أولاً بشهادة التوحيد ثم تأتي بعد ذلك الشهادة بالنبوة ثم الولاية، فمن لم يكن عنده شهود بكل تلك المراتب لا يعدّ مؤمناً متقياً التقوى الصافية والخالصة لله تعالى التي توصله إلى الحقيقة المطلقة.

أحد العرفاء وهو السيد حيدر الآمالي يقسّم الجنان إلى مراتب فيقول: أسفل مرتبة يوجد فيها المجانين والقصرّ الذين كانوا في الدنيا، وهم الذين تعلّموا ولم يعملوا بعلمهم، ومَثلهم في القرآن الكريم ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾[1] فهذا الحمار هل يستفيد مما يحمله من هذه الكتب والأسفار؟ طبعاً لا، كذلك هو حال حامل علم محمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولا يعمل به، فهو كمثل الذين حمّلوا التوراة بعقولهم ثم لم يحملوها بقلوبهم. ولهذا قال علي عليه السلام: «**من كان ظاهره في ولايتي أكثر من باطنه فقد خفت موازينه**» والله يقول في كتابه الكريم: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩﴾[2].

لذا نقول إن الذين كانوا في واقعة كربلاء صنفان، صنف عنده معرفة ظاهرية بالإمام الحسين عليه السلام ولكن لا يوجد عنده شهود، وصنف آخر كان عنده يقين وشهود. ومن الذين كانوا يعرفونه بالظاهر فقط، عمر بن سعد لعنه الله الذي كان من أصحاب الإمام عليه السلام والذي كانت نتيجة معرفته أنه ترك الإمام من أجل ملك الري، يعني من أجل الدنيا، في حين أنه لو كان عنده يقين أو شهود لما تخلّى عنه أبدا. وهذا هو حالنا إذا لم نمتلك هذا الشهود.

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٥.

(٢) سورة القارعة، الآية: ٨ ـ ٩.

يروي الأئمة المعصومين عليهم السلام أنه: «**ما من مجلس عزاء يقام إلا وفاطمة الزهراء سلام الله عليها حاضرة فيه**»، فلو أننا فعلاً نصدّق بذلك لكنا بمجرّد دخولنا إلى المجلس نبدأ بالعويل والصراخ والبكاء، لو أننا نصدّق أن الإمام الحسين عليه السلام حاضر بيننا هل كانت حال قلوبنا كما هي الآن؟! فلماذا لا نرى فاطمة سلام الله عليها إذا كانت حاضرة بيننا؟ ما السبب؟! المسألة، أن حب الدنيا وذنوبنا قد حجبتنا عن رؤيتها وإلا فهي لا تحتجب عن قلوب محبيها ولا عن شيعتها، إلا أن يحتجب شيعتها عنها، كالشمس التي لا تغيب ولكن يحجبها عنا الغمام الأسود فلا نرى شعاعها.

نحن الذين نبعد الصدّيقة الطاهرة فاطمة سلام الله عليها عن مجلسنا عندما نأتي إلى هذا المجلس ونحن لسنا مصدّقين بكل تلك المعارف أو لسنا على يقين بها.

أصحاب الإمام الحسين بكربلاء ربما كان بعضهم في البداية عنده حب للدنيا، ولكن لمّا كان الإمام عليه السلام يخبرهم بمصيبة زينب سلام الله عليها كانوا مباشرة يصلون إلى حالة يكرهون فيها البقاء في الدنيا وتلتحق أرواحهم بالملأ الأعلى.

معلوم للجميع كيف كان نهج الحر بن يزيد الرياحي، من الذي أيقظه؟ يقولون أن الذي أيقظه كلمة قالها له الإمام الحسين عليه السلام: «**ثكلتك أمك يا حر**»، هنا وكما يقولون أراد الحر أن يجيب الإمام بمثل ما قال إلا أنه عندما أراد الكلام تذكر أن أم الحسين هي فاطمة سلام الله عليها، وكلمة «تذكر» هنا هي بمعنى الشهود وليس التذكر، لقد رأى الحر فاطمة سلام الله عليها وهو الذي كان من محبيها فهي من أيقظته، شهوده لها هو الذي أدّى به إلى ترك جيش عمر بن سعد لعنه الله والإلتحاق بالإمام الحسين عليه السلام.

وكذلك حبيب بن مظاهر الذي كان يبكي، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: ما يبكيك يا حبيب، لعلك تذكرت الأهل والأحبة والأولاد؟ فقال له حبيب: سيدي ومولاي لقد استبدلت غير أهلي أهلاً، وغير أحبتي أحبة، وغير أولادي أولاداً، عندها قال الإمام عليه السلام: إذاً مم بكاؤك يا حبيب؟ فأجابه: أبكي لتلك الواقفة خلفك، ماذا سيجري عليها من بعدك؟ فالتفت الحسين عليه السلام خلفه فرأى زينب سلام الله عليها. لقد كان حبيب من أهل الشهود الذين رأوا ماذا سيحلّ بزينب سلام الله عليها.

لماذا أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لم يرغبوا بأن يستشهدوا بعده؟ لأنهم لا يريدون رؤية النساء وهنّ سبايا، أصلاً عندما سمع الأصحاب بمصيبة زينب سلام الله عليها وما سيجري عليها، أخذوا يتقدّمون مباشرة من الإمام الحسين عليه السلام يطلبون منه الإذن بالشهادة. ونحن أيضاً إن عرفنا وشاهدنا حقيقة ما جرى سوف نطلب الرحيل من هذا العالم وستموت الدنيا في وجودنا وهي التي قال الله عنها بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام «**حبيبي حسين على الدنيا بعدك العفا**».

أبو الفضل العباس عليه السلام عندما أخبره الحسين عليه السلام بما سيجري على زينب سلام الله عليها، طلب الإذن كي يأتي بالماء للأطفال، صعد إلى جواده، أخذ القربة وتوجه إلى الأعداء وهو كان يعلم تماماً أنه لن يرجع، لقد قرّر الشهادة، لقد كره الدنيا بما فيها وذلك فقط عندما سمع بما سيصيب زينب سلام الله عليها.

يسأل أحدهم مولانا صاحب الزمان عليه السلام في المنام: سيدي ومولاي علام تبكي صباحاً ومساءً بدل الدموع دماً؟ أعلى مصيبة علي الأكبر؟

قال عليه السلام: لا، لو كان علي الأكبر موجوداً لبكى عليها بدل الدموع دماً. فقال له: أعلى مصيبة العباس عليه السلام؟ فقال عليه السلام: لا، لو كان أبو الفضل عليه السلام موجوداً لبكى عليها بدل الدموع دماً. فقال له: سيدي ومولاي أعلى مصيبة أبي عبد الله؟ فقال عليه السلام: لا، لو كان أبو عبد الله عليه السلام موجوداً لبكى عليها بدل الدموع دماً. فقال: إذاً سيدي ومولاي على أي مصيبة تبكي؟ فقال الإمام عجّل الله تعالى فرجه: أبكي لسبي عمتي زينب سلام الله عليها من كربلاء إلى الشام.

كل الأصحاب عندما عرفوا بمصيبة زينب سلام الله عليها قرروا أن يلتحقوا بالملأ الأعلى، وكذلك هو الحال بالنسبة للشهداء، ونحن ما دمنا على حالنا فلن نكتب من الشهداء الذين يرتحلون من هذه الدنيا.

وهذا ليس حال الأصحاب فقط، فهذه الحيوانات التي لا نعطي لها أي قيمة كانت تعرف أبا عبد الله عليه السلام، فالعلاّمة المجلسي يقول: أنه لمّا وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى أرض كربلاء توقف جواده عن المسير، فحاولوا أن يسحبوه سحباً لكي يدخل، فلم يفلحوا، حتى بدّل الإمام سبعة جياد، كانت جميعها تقف وتمتنع عن الدخول إلى أرض كربلاء، ذلك لأن الحيوانات لم تكن راضية عن قتل أبي عبد الله عليه السلام في حين أن البشر كانوا راضين بذلك.

يقول الإمام الرضا عليه السلام: «**إنه ذبح (أبو عبد الله) كما يذبح الكبش**»[1]، تصوّروا عندما يريد القصّاب أن يذبح كبشاً فإن كل الحاضرين ينتظرون تلك اللحظة التي سيذبح فيها الكبش، هكذا ذبح أبو عبد الله، ما من معترض، بل إن الجميع كانوا ينتظرون متى يقطع رأسه الشريف؟

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٠٣.

حتى الجماد لم يرضَ بقتله سلام الله عليه. يقولون أن شمر بن ذي الجوشن اللعين عندما أراد قطع رأس الإمام الحسين عليه السلام وبدأ بعملية الذبح، الحديد لان، عند ذلك ذُعر اللعين ولكن الإمام الحسين نظر إلى سيفه (أي إلى سيف الشمر اللعين) وأمره أن يرجع كما خلقه الله تعالى، فجرت عملية الذبح.

الله أكبر، الجمادات والحيوانات لم ترضَ بقتلك مولاي، ولكن البشر كانوا يريدون قتلك؟ وهم راضون بذلك؟ حتى تكاثروا عليه من كل جانب. أثخنوه بالجراح فوقع على الأرض صريعاً يجود بنفسه، أقبلت إليه زينب رأته بتلك الحالة نادت: أأنت ابن والدي؟ أأنت نور عيني؟ أأنت بن محمد المصطفى وابن علي المرتضى؟ ثم وضعت يديها تحت ظهره الشريف ورفعت طرفها إلى السماء وقالت: اللهم تقبل منا هذا القربان. ثم قالت: أخي يا حسين كلّمني بحق جدنا رسول الله؟ أخي كلّمني بحق أبينا علي. لكنها لم تسمع منه جواباً. عندها أقسمت عليه بقسم عزيز على قلبه، قالت: أخي يا حسين أقسم عليك بحق أمنا فاطمة أن تكلّمني. ما أن سمع الحسين اسم أمه الزهراء سلام الله عليها حتى فتح إحدى عينيه لأن الأخرى قد جمد عليها الدم، وقال: أخية زينب لقد كسرت قلبي وزدتني كربا إلى كربي، أخية زينب عودي إلى المخيم واحفظي لي العيال والأطفال. وبينما زينب تكلّم أخاها الحسين إذ أقبل عمر بن سعد لعنه الله وبعض رجاله يريدون قتل الحسين عليه السلام. صاحت زينب: ويحك يا بن سعد أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ أما فيكم مسلم؟ أليس فيكم من يخاف الله فينا؟ هل أجابك أحد مولاتي يا زينب؟ بلى، أجابها صوت شمر بن ذي الجوشن لعنه الله قائلاً: تنح عنه يا زينب وضربها بالرمح بين كتفيها ثم وكزها برجله فوقعت على الأرض مغشيا عليها.

بـــالله يـــا شـــمـــر خـــلـــيـــه لا تـــذبـــح عـــزيـــز الـــروح
مـــا تـــســـمـــع خـــواتـــه عـــلـــيـــه تـــلـــطـــم يـــا شـــمـــر وتـــنـــوح
مـــن تـــذبـــح ولـــيـــنـــا حـــســـيـــن هـــاي الـــحـــرم ويـــن تـــروح

لكن يا شيعة الحسين، المحب عندما يودّع حبيبه ينظر إلى وجهه، إلى عينيه لكن زينب أين رأس أخيها حتى تودعه؟ استفاقت من غشيتها وجدت أخاها جثة بلا راس. مولاتي يا زينب حتى من هذا الوداع حرموك... صاحت: واأخاه واحسيناه

آه... خوية بيش أضمك وين أوديك خـويـة شـلـون أصـد عـنـك وخـلـيـك
تـراني تـحـيـرت يـا مـهـجـتـي بـيـك خـويـة بـيـش أظـلـلـك مـن الـحَـرْ

قوموا يا محبي الحسين لنودع الحسين مع زينب، هل ستودعونه كما ودعته زينب؟ حان الوداع، حان الفراق

بـــأمـــان الله يـــا شـــهـــيـــد الله نـور عـيـنـي حـسـيـن يـا حـبـيـب الله
آه... زيـــنـــب تـــون وتـــنـــوح وتبكي على حسين بقلب مجروح
خـــويـــة لـــويـــن نـــروح عـــقـــبـــك يـــا ولـــيـــنـــا

بعد، مصيبة أخرى عظيمة جرت على زينب سلام الله عليها عندما عادت إلى المدينة، كيف روت سلام الله عليها هذا المصاب لأمها الزهراء سلام الله عليها؟ وقفت على قبرها وهي تنادي: أماه جئت من كربلاء، من عند قبر أبي عبد الله، أماه إن أخبروك بأن الحسين قتلوه عطشانا، لا يا أمي أنا رأيت الرماح قد سقت أبا عبد الله، أماه إن أخبروك بأن الحسين بقي ملقى ثلاث أيام بلا غسل ولا كفن، لا، أنا رأيت دماء نحره غطّت جسمه الشريف... أماه جئت إليك بهدية من عند قبر الحسين (زائر الحسين يأتي

بتربة أبي عبد الله، أما زينب بماذا جاءت؟) أماه يا فاطمة أنا زائرة الحسين قومي وخذي مني هذه الهدية، وإذا بزينب أخرجت ثوب أبي عبد الله الملطخ بالدماء... ولسان حالها:

يا زهراء قومي شوفي عزيزك حسين على التربان محزوز الوريدين

وعباس البطل مقطوع اليدين

* * *

يا زهراء عزيزك حسين حز الشمر نحره ولعبت خيل العداء على صدره

يا زهراء حبيبك حسين حرقوا خيامه وخيل الكفر رضت عظامه

* * *

بالأمس كانوا معي واليوم قد رحلوا وخلفوا في سويداء القلب نيرانا

نذرا عليّ لئن عادوا وإن رجعوا لأزرعن طريق الطف ريحانا

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلّ على محمد وآل محمد وتفضّل عليّ.. اللهم وانطقني بالهدى وألهمني التقوى ووفقني للتي هي أزكى واستعملني بما هو أرضى.. اللهم أُسلك بي الطريقة المثلى واجعلني على ملّتك أموت وأحيى برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآل محمد.

النفحة الخامسة عشر

مجلس الهجوم على المخيّم وإحراقه



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك يا أبا عبد الله يا رحمة الله الواسعة ويا باب نجاة الأمة يا غريب يا مظلوم يا عطشان كربلاء، لعن الله الظالمين لكم يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

هذه الطفوفُ فسلْها عن أهاليها ... وسُحَّ دمعك في أعلى رواسيها
ومُدّها بدم الأجفانِ إنْ فقدتْ ... دموعاً عيناك أو جفّتْ مآقيها
وقِفْ على جَدَثِ السبط الشهيدِ وقل ... سقاك رائحُها من بعد غاديها
لهفي لثاوٍ رمتْ أيدي الخطوبِ به ... بأرض كرب البلا أقصى مراميها
ثوى قتيلا بشط الغاضريةِ ظمـ ... ـآن الفؤادِ فلا ساغت مجاريها
أفدي جسوما على الرمضاء قد كُسيت ... أكفانَ تربٍ أكفُّ الريح تُسديها
فيالها وقعة بالطف ما ذُكِرَتْ ... إلا وقد بلغتْ روحي تراقيها
لله أيُّ شموسٍ غاب شارقُها ... فأظلمت بعدها الدنيا وما فيها
لهفي على فتياتِ الطهر فاطمةٍ ... يهتفن بالسبط والأصداء تُحاكيها
مسلّبات على النضائض[1] تندبه ... ما بقي عليها سوى نور يواريها

(١) النضائض: الإبل العطش.

تقول يا كافل الأيتامِ بعدك من أراه كافلَ أيتامٍ وكافيها

* * *

أمسى المسا يا حسين والنار ما خلت الناخيام وصيوان ما ظل تحتمي بفيه هالأيتام

أقبل علينا الليل وازدادت الوحشة وما عندي غير أيتام تتصارخ بدهشة



ورد في دعاء أمير المؤمنين عليه السلام الذي علّمه لكميل بن زياد: «**ولأصرخن إليك صراخ المستصرخين، ولأبكين عليك بكاء الفاقدين، ولأنادينك أين كنت يا ولي المؤمنين**» إنَّ البكاؤون كثر، والبكاء أيضاً له مراتب ومنها مرتبة بكاء الفاقدين، فهناك بكاء خاص للفاقدين، ولكن أولئك الفاقدين كيف يكون بكاؤهم؟ إن الذي يبكي بعد رحيل أحبّته ليس كالذي يبكي أمام أحبّته وهو يعرف أنه سيفقدهم بعد قليل، وهذا الأخير هو بكاء الفاقدين.

السيدة زينب سلام الله عليها كانت ترى الحسين بن علي عليه السلام أمام عينيها وتعلم أنه مفارقها، فكانت تبكي عليه بكاء الفاقدين. كانت تعرف أنها ستفقده بعد قليل، ترى رأس الحسين بن علي عليه السلام أمامها وتعرف أنها لن ترى ذلك الرأس بعد ذلك أبداً. فهي لن تراه سلام الله عليه بعد هذا اليوم، آهٍ لحرِ دمعك مولاتي يا زينب. سكينة في اليوم العاشر من محرم جلست في حجر الحسين عليه السلام وصارت تبكي وأخذت يده الشريفة وصارت تمسح بيده على رأسها، لماذا؟ لأنها ستفقد هذه اليد عمّا قريب. فهل نحن نبكي على الحسين بن علي عليه السلام بكاء الفاقدين؟ إذا قلتم أن الحسين بن علي عليه السلام قد استشهد منذ زمن بعيد ولم نكن بزمنه هو، أقول فهلاً بكينا على قائم آل محمد بكاء الفاقدين؟

ألا من بكّاءٍ على قائم آل محمد بكاء الفاقدين...؟ أونَذهب من هذه الدنيا وحبيبنا، البقية الباقية من آل محمد لم نره بعد...؟ إن أولئك البكائين

يبكون صباحاً ومساءً، لأنهم يبكون بكاء الفاقدين. كم أصبح لنا في هذه الدنيا؟! هل رأينا قائم آل محمد؟! هل شممنا رائحته؟! هل لُذنا بعباءته يوماً؟! هل قبّلنا يده؟! هل نظرت أعيننا إلى طلعته الغرّاء؟! هل تشرّفنا بخدمته؟.

«**خير الإخوان من إذا فقدته لم تحب البقاء بعده**»[1] كما يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام، نحن فقدنا إمامنا صاحب الزمان، فلماذا نحب أن نبقى بعده؟ لأننا نحب غيره. إن هذه المحبة التي من المفترض أن تكون لصاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه أصبحت للدنيا، لمشاكلها وهمومها وأحزانها وزينتها، إمامنا صاحب الأمر يرى مقامنا ويسمع كلامنا وإذا سلّمنا عليه يرد سلامنا. ألا نقول في الزيارة «**أشهد أنك ترى مقامي وتسمع كلامي وترد سلامي**»؟ بالله عليكم إذا دخل إلى هذا المجلس ونظر إلى قلوبنا، وهو الذي يعرف ويرى حقائقنا وسرائرنا ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾[2] ووجد قلوبنا مشغولة بحب وولاية الدنيا، غافلة عن محبة وعشق الله وولايته كما يجب، فكيف سيخرج؟ إذا أراد أن يسلّم على أحدنا يراه مشغولا بالدنيا، يسلّم على الثاني فيراه مهموماً، ما هو همّه؟ لا يوجد معه مال، يسلّم على آخر فيجد حب النساء أو حب الدنيا قد تغلغل في قلبه... وآخر يفكر بالرئاسة، وآخر إذا وقع بمشكلة أو جرى عليه بلاء ما، لا يستأنس بصلاة ولا بدعاء ولا يقرّ له قرار. ولكن لو كان الله يسكن في هذا القلب، لما كان يلتجئ إلى غيره أصلاً.

نحن قد استدعيناه في هذا المجلس، أن أقدم يا بن فاطمة، أقدم إلينا يا

---

(١) غرر الحكم: ص٤١٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

صاحب الزمان، وعندما أتى إلينا، وجد قلوبنا متوجهة إلى حطام هذه الدنيا. نحن ندعوه لكي يرد إلى هذا المكان ثم نخرجه باكياً!! ألا يكفي بكاؤه صباحاً ومساءً على مصاب جده الحسين عليه السلام وعمته زينب سلام الله عليها، حتى نُبْكِيهِ نحن؟!!

أحدهم يرى صاحب الأمر في عالم الرؤيا يبكي فيسأله سيدي مما بكاؤك؟ أصبح هناك مجرى على خدودك من كثرة البكاء، فيقول له: يا هذا لقد آذانا جهلاء شيعتنا. نحن الذين نؤذيك يا صاحب الزمان. بالله عليكم إذا خرج إمامنا صاحب الأمر سلام الله عليه من هذا المكان وهو يبكي من سيُسرّ لبكائه؟! فاطمة ستُسرّ لبكائه؟! الحسين سيُسرّ لبكائه؟!... أم أن الشياطين ستُسرّ لبكائه!! نحن ندخل السرور إلى الشياطين؟! ونجعلهم يفرحون ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠﴾[1] أستحلفكم بالله إذا وقف محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة وسألنا ماذا فعلنا بصاحب الزمان، بماذا سنجيبه؟

أوَ تظنون أن صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه لا يرانا؟ وكيف ذلك وهو الذي خاطبنا برسالته للشيخ المفيد: «**نحن وإن كنا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، فإنا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم... إنا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم البلاء واصطلمكم الأعداء فاتقوا الله جلّ جلاله... وليعمل كل امرئ منكم بما يقرّبه من محبتنا ويتجنب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا فإنّ أمرنا بغتة، حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابه ندم على حوبة**». إنه سلام الله

(١) سورة النجم، الآية: ٥٩ ـ ٦٠.

عليه ينتظرنا، ولكن ينتظر من كان قلبُه عاشقاً لكي يُنحَر ويذبح من الوريد إلى الوريد كأصحاب الحسين عليه السلام، هل نحن نتعلم من السيرة الحسينية أم أننا نستمع فقط؟ هل تجدون مجنوناً بحب قائم آل محمد، كحال عابس؟ الذي نزل إلى الميدان وقد كان شيخ عشيرته، والأعداء كانوا يهابونه. تقدّم إليهم فلم يبارزه أحد، رمى بسيفه... رمى بدرعه... ناداه أحد أصحابه: يا عابس ما بالك أجُننت؟ نظر إليه قائلاً: حب الحسين أجنني...

ألم يقل الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه ليلة العاشر من محرم «**هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً فالقوم لا يريدون غيري**» ولكن ما كان موقف هؤلاء وقد رفعَ عنهم إمامهم التكليف، هل تركوه؟ هل خذلوه؟ هل فضّلوا مُلك الري كعمر ابن سعد اللعين؟ هل فضلوا الحياة على الموت؟ لا، بل قالوا: أوَنبقى لنحيا بعدك يا أبا عبد الله؟! كلهم عشقوا الموت لأن فيه لقاء محبوبهم، لنتعلم هذا الحب وهذا العشق وهذا الفناء من أصحاب الحسين عليه السلام.

حبيب بن مظاهر عندما وصل إلى أرض كربلاء ضج المكان، زينب سلام الله عليها سألت علي الأكبر: من الذي أتى؟ قال لها: إنه حبيب بن مظاهر قالت: أبلغ حبيب عني السلام. تقدم علي الأكبر إلى حبيب، وكان حبيب ما يزال على ظهر جواده، فقال له: يا حبيب إن عمتي زينب تبلغك السلام. يقولون رمى حبيب بنفسه على الأرض وصار يحثو التراب في عينيه وفمه قائلاً: من أنا ومن أكون حتى تسلّم عليَّ زينب بنت علي؟ أنظروا ماذا يفعل سلام المحبوب والمعشوق بأهل المحبة والعشق. إلتفتوا حبيب قال: من أنا حتى تسلّم عليّ زينب؟ وأنا إذا كنت أريد أن أرى الإمام الحجة عجّل الله فرجه، عليّ أن أسأل نفسي من أنا حتى أرى الإمام الحجة عجّل الله

فرجه؟ حبيب قال ما قاله فقط لأن زينب سلام الله عليها أبلغته السلام، ولكن ما حالنا نحن وما موقفنا بعد موقف حبيب؟.

إن صاحب العصر والزمان ينتظر أصحاباً كأصحاب جده الحسين عليه السلام، يطلبون معه ثأر جده الحسين وجدته فاطمة سلام الله عليها، فهل هذا حالنا نحن؟! إمامنا ينتظر من هو مستعد أن يفدي هذا الإسلام العزيز، وأساس الإسلام الولاية لأهل البيت عليهم السلام وقد وصل إلينا وقُدِّم لنا على طبق من دم الحسين وأهل بيته عليهم السلام، فالإسلام محمدي الحدوث حسيني البقاء، ولا يمكن أن يُفرَّط أو يُتهاون به. وهذا الإسلام حتى يبقى مستمراً يجب أن نسقيه، تماما كما النبتة التي نسقيها بالماء دائماً حتى تنمو، لذلك يجب أن يُسقى الإسلام بالدماء وبذل الأنفس والأرواح، كما حصل في كربلاء، فكل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء. وهل تظنون أن عاشوراء انتهت ونحن نحيي ذكراها فقط؟ لا، لم تنته أبداً، فالكل إنما يلتحقون بركب الحسين بن علي حتى ظهور قائم آل محمد عجّل الله تعالى فرجه، ومن أراد الالتحاق بهذا الركب سيجري عليه ما جرى على أهل كربلاء.

إن راية صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه مكتوب عليها يا لثارات الحسين، لذا هو ينتظر أولياءَه الذين لا ينظرون إلى شيء سوى محبوبهم. ينتظر ممهدين وأنصاراً حقيقيين فهو لا يريد أنصاراً يفكرون بهمومهم وغمومهم وآلامهم وأحزانهم وما يجري عليهم في الدنيا. وكل ما فيها لا يعني لهم شيئاً، لا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم، فإذا أُصيبوا بمرض قالوا: الحمد لله وإن افتقروا قالوا الحمد لله، وإن أصبحوا أغنياء قالوا الحمد لله، وإذا مُحّصوا بالبلاء قالوا الحمد لله. ذكرهم دائماً الحمد لله لماذا؟!! لأن محبوبهم ومعشوقهم أذهلهم عن كل ما في هذه

الدنيا. هؤلاء هم المنتظرون حقاً، هؤلاء عشاق قائم آل محمد عجّل الله تعالى فرجه وهم يسلّمون عليه في كل لحظة «**السلام عليك حين تقوم، السلام عليك حين تقعد، السلام عليك حين تقرأ وتبين**»[١] في كل آن وعلى كل حال...

تعالوا ندعوه للجلوس في محضرنا للبكاء على جدّه الحسين عليه السلام، ولكن سيدي يا صاحب الزمان نستميحك العذر ونتوسل إليك أن تنظر إلى قلوبنا وتمسح عليها لكي تُخرِجَ ما فيها من حب الدنيا.

بالله عليكم أسألكم، إذا دخل إلينا من سيفعل كما فعلت سكينة، يجلس في حجره يضع يده الشريفة على رأسه ويمسح بها ويقول كما قالت سكينة: أبه يا حسين بعد ساعة أصير يتيمة؟ نعم فنحن أيتام قائم آل محمد. أتعرفون ماذا يعني نحن أيتام؟ نحن من دون صاحب الزمان لا يمكن أن نعيش لحظة واحدة، لذلك العشاق والأولياء كل لحظة يذكرونه. سيدي يا بن الحسن أدركنا، سيدي يا أبا صالح أدركنا، يا فارس الحجاز أدركنا...

ولكن إمام الزمان لا يدخل إلى مكان نجس، لا يتجلّى على قلب مملوء بحب الدنيا، هو ينتظرنا لكي نطهّر هذا القلب فيدخل ويسكن فيه، ولكن هذا القلب لا يطهر إلا بماء فما هو هذا الماء؟ إنه دموعنا على الحسين بن علي عليه السلام. فالحسين هو الذي يطهّر قلوب شيعته من حب الدنيا، أوَليس هو من فداهم بدمه، وسبيت أخته زينب سلام الله عليها من أجلهم، يقول إمامنا الرضا عليه السلام «**يا بن شبيب إذا أردت أن تلقى الله طاهراً وليس عليك ذنب فابك الحسين بن علي**»[٢]، وعندما نطهّر قلوبنا ببكائنا على الحسين بن علي تدخل

(١) زيارة آل ياسين، مفاتيح الجنان.
(٢) كامل الزيارات.

عند ذلك فاطمة بنت محمد سلام الله عليها إلى هذا القلب وتبكي، يقول أحد الأولياء أن فاطمة سلام الله عليها، يوم القيامة تتوسط أرض المحشر تخاطب شيعتها، شيعتي شيعتي هذه الدنيا التي أحببتموها قتلت ولدي سيد الشهداء، شيعتي هذه الدنيا التي عشقتموها سبت حبيبتي زينب، ماذا سنقول لفاطمة بنت محمد؟!.

«أنا قتيل العبرة ما ذكرت عند مؤمن إلا بكى»[1] ولكن مولاي يا حسين لم تتورم عيوننا كما تورّمت عينا سكينة من البكاء، لم تتورّم متوننا كما تورّمت متون زينب في كربلاء.

لو كان أبو عبد الله الحسين عليه السلام موجوداً بينكم وتريدون أن تودعوه، بالله عليكم كيف تبكون؟!! ألا تبكونه بكاء الفاقدين كما بكت زينب بنت علي سلام الله عليها؟ ألا تفعلون كما فعلت زينب بنت علي بن أبي طالب سلام الله عليهم؟ يوم القيامة بعد أن ينادي المنادي أين البكاؤون من خشية الله، ينادي أين البكاؤون على الحسين بن علي؟

إذا دخلت فاطمة بنت محمد سلام الله عليها ووجدت أحداً منّا يبخل على الحسين بن علي بدموعه كيف ستخرج من هذا المكان؟! هل تريدوننا أن نترك فاطمة سلام الله عليها تبكي لوحدها؟!! هل تريدوننا أن نرجع إلى هذه الدنيا أم أننا نبقى معها؟ فلعلها نظرت إلينا نظرة، لعلها غمرتنا بعباءتها، لعلها مسحت على قلوبنا فأخرجت ما فيها من غلٍ.

مولاتي يا زينب سنحط رحالنا عندك. من كان يحب زينب بنت علي سلام الله عليها فليسمع مصابها وليسمع ذكرها مولاتي يا زينب سنحط رحالنا

---

(١) كامل الزيارات.

عندك، سنلوذ بالسوط الذي ضُربت به، مولاتي يا زينب سنلتمس الشفاعة من ذلك السوط الذي ضربت به.

تقول الرواية أن الأعداء بعد قتل سيد الشهداء هجموا على مخيم الحسين وما فيه إلا النساء والأطفال والإمام زين العابدين، أضرموا النار في الخيام. عندها دخلت زينب سلام الله عليها على ابن أخيها زين العابدين قالت: يا ابن أخي ما نصنع؟ قال: عمة زينب إلبسي إزارك وتهيئي للسبي. عمة زينب اهربوا في هذه الصحراء. فصارت زينب سلام الله عليها تركض في الصحراء، طفل تنقذه من ألسنة النيران، وآخر من ألسنة السياط، وآخر من تحت حوافر الخيول، وقد قُتِل ما يقرب من عشرين طفلاً وطفلة تحت حوافر الخيول ومثلهم أحرقوا بالنار.

زينب احتارت شبّت بالخيم نار طلعت وياها الحرم صغار كبار

تصرخ بعالي الصوت طايح وين يا حسين خدري انتهك وانت غياث المستغيثين

إلى أن عادت إلى خيمة زين العابدين، يقول حميد بن مسلم: رأيت إمرأة واقفة بباب الخيمة والنار قد وصلت إلى أطراف الخيمة، وهذه المرأة تارة تدخل وتارة تخرج وكأنها خائفة أو تخفي شيئاً في الخيمة فدنوت منها، وقُلت: أمة الله النار النار ما وقوفك بباب الخيمة؟ أي شيء أعزّ من الروح الآن؟ قالت: بلى يا ظالم أرى النار ولكن لنا مريض في هذه الخيمة. دخلوا على الإمام زين العابدين وهو مسجّى على بساط فأراد الشمر اللعين أن يقتله فقال له حميد بن مسلم: يا سبحان الله أتقتل هذا المريض؟ رمت زينب بنفسها عليه وقالت: إن أردتم قتله فاقتلوني معه فسحبوا البساط من تحت الإمام بعد أن نهبوا كل ما في الخيمة. وصار الإمام زين العابدين تحت أرجلهم وزينب فوقه.

قامت عمته وحضنته بيديها تقله يا شمر ارحم حاله
بالله خليه وذبحني بداله هذا علي نور العين
يا حسين ليش ما تنغرّ علينا ما انا زينب العزيزة الهاشمية
يضربوني وما حد يحن قلبه ليه اشبيدي على دهري الخان بيه
راحوا هلي من بين ايديه أنا منين اجتني الغاضرية

يقول حميد بن مسلم رأيت طفلة والنار تشتعل بأطراف ثيابها، لكنها من شدة الخوف لا تشعر بحرارة النار ولا تدري أين تمضي، يقول: اقتربت منها أردت إطفاء النيران عنها فخافت الطفلة وقالت: يا عم لا تضربني أنا يتيمة فقلت لها: بنية ما آتيتك بسوء فهدأت وأخمدت النار ثم قالت: يا شيخ أنت لنا أم علينا؟ قلت بنية لا لكم ولا عليكم. فقالت: يا شيخ هل قرأت القرآن؟ قلت: بلى، قالت: هل قرأت قوله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[1]؟ قلت: بلى، قالت: يا شيخ أنا والله يتيمة أبي عبد الله، أنا يتيمة الحسين. فقلت: بنية هل من حاجة فأقضيها لك؟ فقالت: يا شيخ أريد أن تدلني على طريق النجف؟ قلت: وما تصنعين بالنجف؟ قالت: ذكرت لي عمتي زينب أن لنا قبراً في النجف، هو قبر جدي علي بن أبي طالب أريد اللواذ به فلقد اسودت متناي من ضرب السياط

أنا انصحت بوي حسين يضربوني وأنا انصحت يا علي يشتموني
وأنا من الضرب وِزمَت متوني وأنا من البكا ورمت عيوني

(تريد أن تبثّ إليه آلامها وشكواها) قلت لها: بنية إن بينك وبين النجف مسافة، هل من حاجة أخرى فأقضيها لك؟ قالت: نعم يا شيخ دلني على جسد

(١) سورة الأضحى، الآية: ٩.

والدي الحسين. طفلة الحسين لا تعرف جثة والدها تريد من يدلها عليه؟!.

يقول حميد: فجئت بها إلى مصرع الحسين وقلت لها: بنية هذا جسد أبيك الحسين فلما رأته جثة بلا رأس، رمت بنفسها عليه وهي تنادي:

أبه يا أبه من الذي قطع وريدك؟

أبه من الذي أيتمني على صغر سني؟

أبه إذا أظلم الليل من يحمي حماي؟

يـــا والـــدي والله عـــظـــيـــمـــة أنـا صـيـر مـن صـغـر سـنـي يـتـيـمـة

والـنـوح مـن بـعـدك لـيـه قـيـمـة أتـاري الأبـو يـا نـاس خـيـمـة

* * *

وكـيـف لا يـبـكـي وقـد شـاهـد مـا بـكـت لـه عـيـن الـسـمـا بـدمـا

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً ومن ذا الذي أَنِسَ بقربك فابتغى عنك حولا . . إلهي فاجعلنا ممن اصطفيته بقربك وولايتك وأخلصته لودك ومحبتك وشوقته إلى لقائك ورضّيته بقضائك ومنحته بالنظر إلى وجهك.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد وارحمني برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآل محمد.

النفحة السادسة عشر

مجلس ليلة الحادي عشر من محرم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك وعلى آلك المظلومين، صلى الله عليك يا أبا عبد الله وعلى المخدرات المسبيات المصفدين بالحديد، صلى الله عليك وعلى أختك الحوراء زينب، لعن الله الظالمين لكم من الأولين والآخرين يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

يا نفس عن هذا الرقاد تنبّهي ... إن الحسين سليل فاطمة نعي
آه يا لها من وقعة كم أوقعت ... في الدين أكبر وقعة لم توقع
قتل الحسين فيا سماء إبكي دما ... حزناً عليه ويا جبال تصدعي
ولزينب نوح لفقد شقيقها ... تدعوه يابن الزاكيات الركّع
اليوم أصبغ في عزاك ملابسي ... سودا واسكب هاطلات الأدمع
اليوم قادوني بظلم يا أخي ... والسوط آلمني وأطفالي معي
اليوم شبّوا نارهم في منزلي ... وتناهبوا ما فيه حتى برقعي
أنعم جواباً يا حسين أما ترى ... شمر الخنا بالسوط آلم أضلعي
أخي مالك عن بناتك معرضا ... والكل منك بمنظر وبمسمع
فأجابها من فوق شاهقة القنا ... قضي القضاء بما جرى فاسترجعي

وتكفّلي حال اليتامى وانظري ما كنت أصنع في حماهم فاصنعي

* * *

لسان حال الحوراء زينب سلام الله عليها:

آه... خوي لا يرضى القلب ينسى ولا ترضى العيون تنام

ولا طيفك يفارقني ولا تنسيني الأيام

واللي يزيد همي بكا الحرم والأيتام



قال الله تعالى في كتابه العزيز في سورة المجادلة الآية الثانية والعشرون بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ صدق الله العليّ العظيم.

هذه الآية الكريمة بيّنت وبشكل جليّ وجوب التبرّي من الذين حادّوا الله ورسوله، وأنّ مودّتهم تتنافى مع الإيمان بالله واليوم الآخر...

كما ذُكِرَ للتبرّي أربع فوائد:

١ ـ أن المؤمن المتبرّي يُكتب الإيمان في قلبه وقد قال رسول الله ﷺ «**يا علي حبك إيمان وبغضك كفر**»، ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ والكَتْبُ أُستعمل في القرآن الكريم بمعنى إثبات الشيء وإقراره بنحو لا يزول ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[1] فإنّ فائدة التبرّي ستكون أنّه يجعل إيمان المرء إيماناً مستقرّاً ثابتاً في القلب لا يزول عند الفتن والهزاهز، ولا يعدل عنه عند سكرات الموت، بخلاف المؤمن المتولّي الذي يضعف عن البراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام.

حيث أن إيمانه إيمان مستودع، يُسْلَبُه عند أوّل فتنة في الدنيا، أو يعدل عنه قبل الخروج منها.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢.

٢ ـ أن المؤمن المتبرّي مؤيَّد بروح من الله ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ كما ورد قول الإمام الصادق عليه السلام لهشام بن الحكم: «**لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك**». فإن هذا النّحو من التأييد لا يكون إلاّ لمن يكون متمحّضاً في ولايتهم والبراءة من أعدائهم، وناصِرٌ لهم بقلبه ولسانه ويده...

٣ ـ أن المؤمنين المتبرّئين ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فمقامهم في الجنّة هو جنّة الرّضوان ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1] لا جنّة النّعيم المادّي، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

٤ ـ أن المؤمنين المتبرّئين هم ﴿حِزْبَ اللَّهِ﴾ دون غيرهم كما يقتضيه قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ الدّال على الحصر فكون المؤمن من حزب الله الغالبين في الدّنيا والمفلحين في الآخرة بحسب النّظرة القرآنيّة يبتنى على ركنين:

ـ **الأول**: أن يكون ممن يتولى الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾[2].

ـ **الثاني**: أن يكون ممن تبرأ من أعدائهم أياً كانوا كما دلت عليه آية ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ ـ ٥٦.

وهناك مراتب للبراءة الحقّة الصادقة، يجب على الشيعي الوفيّ السعي إلى تحصيلها وتحقيقها في نفسه وكذا في عائلته ومجتمعه إن أمكن ذلك.

أولاً ـ البراءة العاطفية

«عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾[1]، قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «لا يجتمع حُبنا وحب عدونا في جوف إنسان، إن الله لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه، فيحب هذا ويبغض هذا فأما محبنا فيخلص الحب لنا كما يُخلَصُ الذهب بالنار، لا كدر فيه. فمن أراد أن يعلم حبنا فليمتحن قلبه، فإن شاركه في حبنا حب عدونا، فليس منّا ولسنا منه، والله عدوهم، وجبرائيل، وميكائيل، والله عدوٌّ الكافرين»[2].

وقيل للصادق عليه السلام: «إن فلاناً يواليكم، إلا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم. قال: هيهات، كذب من ادعى محبتنا، ولم يتبرأ من عدونا»[3].

ثانياً ـ البراءة العقائدية

عن الرضا عليه آلاف التحية والثناء أنه قال: «كمال الدين ولايتنا، والبراءة من عدونا»[4].

وعن الرضا عليه السلام قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: من سرّه أن يكون بينه وبين الله حجاب، حتى ينظر إلى الله، وينظر الله إليه، فليتولَّ آل محمد، ويبرأ من

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤.
(٢) عن تفسير شيخنا القمي: ج٢، ص١٧١.
(٣) عن المستطرفات الشريف: ص١٤٩.
(٤) عن المستطرفات الشريف: ص١٤٩.

عدوهم، ويأتم بالإمام منهم. فإنه إذا كان كذلك نظر الله إليه ونظر إلى الله»[١].

وهذا مفاد الآية القرآنية الحكيمة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[٢].

ثالثاً ـ البراءة الفعلية والعملية

أ ـ إياك ومجالستهم...

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٣]. وهم عليهم السلام أكبر آية فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«والله ما من آية أكبر مني»**، لذا إياك ومجالسة منكري آيات الله، محمداً وآل محمد.

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: **«من جالس لنا عائباً، أو مدح لنا قالياً، أو وصل لنا قاطعاً، أو قطع لنا واصلاً، أو والى لنا عدواً، أو عادى لنا ولياً، فقد كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم»**[٤].

ب ـ إياك أن تتخذ منهم خليلاً...

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾[٥].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٧، ص٥١.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.
(٤) عن الأمالي: ص٥٥.
(٥) سورة الفرقان، الآيتان: ٢٧ ـ ٢٨.

ج ـ إياك أن تشبع أحداً منهم أو تؤويه..

فقد قال إمامنا الصادق صلوات الله عليه: «**من أشبع عدواً لنا فقد قتل ولياً لنا**»(١).

د ـ إياك أن تستعين بأحد منهم..

روى شيخنا المحدّث عباس القمي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرجل من شيعته: «**إجهد أن لا يكون لمنافق عندك يد فإن المكافي عنك وعنهم الله عزّ وجلّ بجنته، والمصطفى صلى الله عليه وآله بشفاعته، والحسن والحسين عليهما السلام بحوض جدهما**»(٢).

هـ ـ إياك أن تتقاضى أو تترافع إليهم...

من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾(٣). اللهم العن الجبت والطاغوت بحق محمد وآل محمد.

رابعاً ـ البراءة الفكرية والعلمية

وهذه البراءة أهم أنواع البراءة وأقسامها، إذ هي أساس البراءة العاطفية، والبراءة العقائدية، والبراءة الفعلية والعملية. وهي مدارُ العقيدة الحقّة، وحصن الإيمان الواقعي. بل هي المحور الذي تتكون حوله شخصية المؤمن العقائدي.

ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «**شيعتنا المسلّمون لأمرنا، الآخذون بقولنا، المخالفون لأعدائنا، فمن لم يكن كذلك فليس منّا**»(٤).

---

(١) معاني الأخبار: ص٣٦٥.
(٢) سفينة البحار: ج١، ص١٨٥.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٠.
(٤) الوسائل: ج١٨، ص٨٣.

كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**والله ما جعل الله لأحد خيرةً في إتّباع غيرنا، وأنّ مَنْ وافقنا خالف عدوّنا ومن وافق عدوّنا في قول أو عمل فليس منّا ولا نحن منهم**»(١).

ومما جاء في التوقيع الشريف عن إمام زماننا عجّل الله تعالى فرجه الشريف في رسالته للشيخ المفيد: «**وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله**»(٢). وانتبه أيها العزيز إلى قوله عليه السلام: «**رواة حديثنا**»، أي أنهم لا يتحركون أي حركة، ولا يسكنون أي سكنة إلا على أساس ما جاء عن أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم، إذ هم رواة حديثهم فقط، ولا شأن لهم بأي حديث أو كلام لا يمت لأهل البيت عليهم السلام بصلة أو رابطة.

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «**كل شيء لم يخرج من هذا البيت(بيت النبّوة) فهو باطل**»(٣).

ولذا نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن إمامنا الهادي صلوات الله عليه: «**والحق معكم، وفيكم، ومنكم، وإليكم، وأنتم أهله ومعدنه، وميراث النبوة عندكم، وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم، وفصل الخطاب عندكم، وآيات الله لديكم، وعزائمه فيكم، ونوره وبرهانه عندكم، وأمره إليكم..**»(٤).

وهكذا أيها المحب فإن البراءة من أعداء آل الرسول صلوات الله عليهم دخيلة في كل شأن من شؤون حياتنا الدينية والدنيوية...

---

(١) الوسائل: ج١٨، ص٨٥.
(٢) الإحتجاج: ج٢، ص٤٧٠.
(٣) المستدرك: ج١٧، ص٣٠٩.
(٤) مفاتيح الجنان: الزيارة الجامعة.

وليست محصورة بعصر دون عصر، والحق نفسه هو الحق، والباطل عينه هو الباطل.

ولا يدور الحق إلا حيث يدور الحجة بن الحسن العسكري صلوات الله عليهما إذ هو معدن الحق وأصله وحقيقته.. فالبراءة من أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد صلوات الله عليهم مقرونة في كل أحوالها قلباً ولساناً وفعلاً، مع البراءة من كل ظلمتهم على طول الدهر وإلى يوم القيامة..

وقد ورد عن إمامنا الزاكي العسكري صلوات الله عليه:

إن رجلاً قال للصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله، إني عاجز ببدني عن نصرتكم، ولست أملك إلا البراءة من أعدائكم واللعن، فكيف حالي؟.

فقال الصادق عليه السلام: «**حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال من ضعف عن نصرتنا أهل البيت، فلعن في صلاته أعداءنا، بلّغ صوته جميع الأملاك من الثرى إلى العرش. فكلّما لعن هذا الرجل أعداءنا لعناً، ساعدوه، فلعنوا من يلعنه، ثم ثنوه فقالوا: اللَّهُمَّ صلِّ على عبدك هذا الذي قد بذل ما في وسعه، ولو قدر على أكثر منه لفعل، فإذا النداء من قبل الله تعالى: قد أجبت دعاءكم وسمعت نداءكم، وصلّيت على روحه في الأرواح، وجعلته عندي من المصطفين الأخيار**»[1].

وقد ورد عن إمامنا زين العابدين عليه السلام: «... **وإنّ من عظيم ما يتقرب به خيار أملاك الحجب والسماوات: الصلاة على محبينا أهل البيت، واللعن لشانئينا**»[2].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٤، ص٤١٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٨، ص٣٧.

وفيما ورد عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«دخلت الجنة فرأيت على بابها مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد حبيب الله، علي بن أبي طالب ولي الله، فاطمة أمة الله، الحسن والحسين صفوة الله، على مبغضيهم لعنة الله»**[1].

وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: **«لا تأكلوا القنبرة (نوع من الطيور) ولا تسبّوه، ولا تعطوه الصبيان يلعبون بها، فإنها كثيرة التسبيح، وتسبيحها: لعن الله مبغضي آل محمد عليهم السلام»**[2].

وليس الكلام يقف عند هذا الحد فالآيات القرآنية الشريفة التي لعنت المنحرفين عن الحق وأئمة الضلالة تفوق الأربعين آية وقد أكد الباري سبحانه وتعالى فيها اللعن على أهل الغي والإنحراف. وهنا لا بد من الإلتفات إلى أن القرآن الكريم لم يتطرق لتفصيل أحكام الشريعة بجزئياتها. وإنما ذكرها بنحو كلي إجمالي ولم يخصص لكل حكم من الأحكام المهمة في الشريعة المقدسة إلا عدداً محدوداً من الآيات الكريمة. مع علمنا بأهميتها وضرورتها وكذلك فإن هناك الكثير من المطالب العقائدية المهمة تحدث عنها القرآن الكريم في آية أو آيتين مع عظمة تلك المطالب.

ورحم الله مَنْ عبد الله على بصيرة واستبصر كلام مولاه الباقر سلام الله عليه فعن أبي حمزة، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: **«إنما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله، فإنما يعبده هكذا ضلالاً. قلت: جعلت فداك، فما معرفة الله؟. قال: تصديق الله عزّ وجل، وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله، وموالاة**

(١) بحار الأنوار: ج٢٧، ص٢٢٨.
(٢) بحار الأنوار: ج٢٧، ص٢٧٣.

علي، والأئتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام، والبراءة إلى الله عزّ وجلّ من عدوهم. هكذا يُعرَف الله عزّ وجلّ»[1].

وما ذكر في المقام ما هو إلا قطرة من جرّة ولطالما صدع رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله المظلومين «**تخلقوا بأخلاق الله**» وإن التخلّق بأخلاق الله مقدمته طهارة النفس وهذه الطهارة متوقفة على ذرف الماء من العيون بالخصوص على الإمام الحسين سلام الله عليه فهلموا لكي نتطهر بدموع أعيننا بورودنا إلى محضرهم والبكاء عليهم، سيدي يا أبا عبد الله صحيح أن حب الدنيا قد أعمى قلوبنا وصيّرنا محجوبون عنكم ولكن سيدي ومولاي نتوسل إليك بدموع زينب ورقية، بأطفالك والحرم، بأمك فاطمة أن تسمح لنا بالدخول إلى محضركم واللواذ بكم، بعيون قلوبنا فلندخل إلى كربلاء العشق، كربلاء السبي فها هي أشلاء الأصحاب والآل الأطهار منتشرة هنا وهناك...

لمن هذا الرأس المرفوع على القنا أهو رأس علي الأكبر، أم رأس القاسم.. أم رأس أبي الفضل العباس.. وأين كفيه، ها هي جثث الأصحاب تنادينا ألا من ناصر لابن بنت رسول الله...

وها هي النسوة حاسرات.. باكيات.. على الخدود لاطمات. وللأطهار نادبات.. أين علي.. أين الحسن.. أين الحسين.. أين أبي الفضل العباس... آه...

إعلم أيها الموالي المحب أن المستفاد من الروايات في جملة من المقامات كما ذكر العلامة الدربندي أن مرور النساء على مصارع الشهداء،

---

(١) الكافي الشريف: ج١، ص١٨٠.

كان في اليوم الحادي عشر من المحرم بعد الزوال، لأن ذلك الوقت كان وقت إرتحال ابن سعد لعنه الله مع عسكره من كربلاء إلى الكوفة. . .

آه. . . أُخرج النساء من الخيمة وأشعلوا فيها النار. . فخرجن حواسر مسلبات حافيات باكيات يمشين سبايا في أسر الذِّلة وهنَّ يصحن وآمحمداه، وآعلياه، وآعباساه، وآحسيناه فمروا بهن على مصارع الشهداء، هذه تنظر إلى أخيها ملقى على ظهره، وأخرى ترى ولدها ملقى على يمينه وهكذا. . إلا أبا عبد الله عليه السلام كان ملقى على بطنه فصحن وضربن وجوههن. . .

قال الراوي: فوالله لا أنسى زينب بنت علي سلام الله عليها وهي تندب الحسين عليه السلام وتنادي بصوت حزين كئيب: «يا محمّداه، بناتك سبايا وذريتك مقتلة، تسفى عليهم الصّبا، وهذا حسين محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء. . بأبي من لا غائب فيرتجى ولا جريح فيداوى بأبي من نفسي له الفداء، بأبي المهموم حتى قضى بأبي العطشان حتى قضى، بأبي من شيبته تقطر بالدماء. . .».

قال الراوي: فأبكت والله كل عدوٍّ وصديق، ثم أن سكينة اعتنقت جسد الحسين عليه السلام فاجتمع إليها عدة من الأعراب حتى جرّوها عنه. . .

أمّا أُم كلثوم لمّا رأت أخاها الحسين وهو مكبوب ومسلوب وقعت من أعلى البعير إلى الأرض وحضنت أخاها وهي تقول ببكاء وعويل: «يا رسول الله، انظر إلى جسد ولدك ملقى على الأرض، كفّنه الرمل، وغسّله الدّم الجاري من وريديه، وهؤلاء أهل بيته يساقون أسارى، ورؤوس أولاده مع رأسه الشريف على الرماح كالأقمار. .».

واحسرتاه، وامصيبتاه . . أقول إن كان حال الإمام المعصوم حجة الله على جميع خلقه ممن في السماوات والأرضين هكذا فها هو الإمام زين

العابدين عليه السلام يجود بنفسه، حتى كادت تخرج من بدنه مع كونه طود النهى والصبر وقد ورد أن «سيد الساجدين لما وقع نظره على جسد أبيه ألقى نفسه من أعلى البعير على الأرض، مع أنه كان مغلولاً وفي عنقه الجامعة»، فكيف يكون حال زينب روحي لها الفداء والحرم من البنات والنساء...

كان للإمام الحسين عليه السلام بنت صغيرة السن، وكانت من بين تلك النساء جالسة حول أبيها، قابضة كتفه، وكفّه في حضنها، فتارة تشم كتفه، وتارة تضع أصابعه على فؤادها، وتارة على عينها، وتأخذ من دمه الشريف وتخضّب شعرها ووجهها وهي تقول:

«... يا أبتاه، إذا أظلم الليل من يحمي حماي؟

يا أبتاه، نهبوا قرطي ورِدائي، يا أبتاه أنظر إلى رؤوسنا المكشوفة، إلى أكبادنا الملهوفة، إلى عمتي المضروبة، وإلى أمي المسحوبة».

إنا انصحت بوي حسين يضربوني وأنا انصحت يا علي يشتموني

وأنا من الضرب ورمن متوني وأنا من البكا ورمن عيوني

سيدي أبا عبد الله خرجت من المدينة ومعك اثنين وسبعون طفلاً وطفلة ويوم العاشر من المحرم كانت وصيتك: «أخية زينب احفظي لي العيال والأطفال»، نم سيدي قرير العين ها هي زينب تحفظ لك الأمانة، حفظتهم حتى بعد الممات فالأعداء لم يسمحوا للإمام زين العابدين عليه السلام أن يدفن الأطفال الذين فارقوا الحياة شوقاً إليك، لقد كانت الحوراء تتولّى دفنهم، تحفر لهم بيديها، فمنهم مَنْ استشهد بالحرق، ومنهم بضرب السياط ما بين كربلاء والشام ومنهم من داسته الخيول والكل كانوا ينظرون إليها وهي تحفر حفرة وتدفن هذه الطفلة وتلك، ولكن لهفي لها بماذا كانت تفكر حينها، أوَ هكذا تحفظ العيال والأطفال؟ تنزلهم بيديها إلى قبورهم؟

ساعد الله قلبك مولاتي يا زينب للظلم الذي أصابك في حياتك والذي ما زال إلى الآن، فالناس ترضى بأن ترتفع الأصوات بالبكاء والعويل لموت وفراق أحد أعزائها، ولكنهم لا يرضون بالبكاء عليك وعلى أمك الصدّيقة فاطمة الزهراء وأهلك عليهم السلام.

سيدتي يا زينب، دعينا نحط رحالنا عند أعتابك، نرى بعين القلب ما جرى عليك في ليلة الحادي عشر من محرم. تقول الروايات في تلك الليلة طلبت زينب من عمر بن سعد اللعين أن يبني لها خيمة حتى تجمع فيها الأطفال والأيتام، أخذت زينب تجمع الأطفال وهم ينظرون إليها ودموعهم تتحادر على الخدود. أخذوا يسألون الحوراء زينب هذه تقول عمة زينب أين أبي؟ وذاك يقول عمة زينب أين عمي؟ وآخر ينادي عمة زينب أين أخي؟ . . . ماذا تجيبهم زينب؟ قامت إليهم صارت تحمل الطفل منهم وتهدأ روعه وتمسح دمعه وتسكن خاطره من البكاء. . .

والله هذا يصيح عمة وين عمي ... وذاك يقول فارقني ابن أمي

واللي يهيّج لوعتي ويزيد همي ... عليك من يدير العين ليّ

لننتقل بقلوبنا إلى تلك الخيمة التي قامت بحراستها العقيلة زينب وأختها أم كلثوم، تلك الخيمة التي لطالما كان يحرسها أبو الفضل. قالت زينب أخية يا أم كلثوم إذا داهمك داهم في هذا الليل قولي له نحن بنات رسول الله لعلّه يرجع عنا، تقول الرواية وبينما العقيلة زينب تقوم بحراسة الخيمة، وإذا بها ترى فارساً ملثّماً يتقدم نحوها قالت له: يا فارس من أنت؟ يا فارس إذا كنت تريد ذبح الأطفال فإنها ذُبحت، وإن كنت تريد حرق الخيام فإنها حُرقت، وإن كنت تريد قتل الأبطال فإنها قُتِلَت، وإن كنت تريد سلب النساء فإنها

سُلبت، يا فارس أقسم عليك بحق أمي الزهراء أن تقول لي من أنت؟ فلما سمع الفارس اسم الزهراء نزل من على جواده، نزع اللثام عن وجهه، وقال: بنية زينب أنا أبوك علي جئت أحرسكم، قالت له: أين كنت يا والدي؟ اليوم قتلوا علي الأكبر والقاسم، اليوم قتلوا أبي الفضل العباس، اليوم ذبحوا حبيبك الحسين.

بوي قوم شوف حسين مذبوح بوي وعلى التربان جسم حسين مطروح

يا بوي ما بقى لحسين من الطعن روح وأنا زينب أصيح خوي يا مذبوح

والذي يُدمي قلب الحوراء زينب أنها في تلك الليلة افتقدت طفلة من بنات الحسين وبينما هي تبحث عنها وإذا بفارس يحوم حول الخيمة قالت: مَنْ أنت أيها الفارس؟ قال: بعثني عمر بن سعد لعنه الله لأحرسكن في سواد هذه الليلة فاختنقت زينب بعبرتها وقالت: أوَبعد عين سيد الغيارى أبي عبد الله أنت الذي تتولى حراستنا؟ أوَبعد عين أبي الفضل العباس أنت تتولى حراستنا؟ أين أنت يا كفيل زينب؟ ثم سألته يا هذا هل رأيت طفلة؟ قال: ما رأيت ولكن مررت قرب أجساد القتلى سمعت عند جسد الحسين بكاءً وحنينا فعلّها تكون هي. وإذا بزينب توجهت نحو الميدان، رأت الطفلة على صدر أبيها وهي تقول: أبي إذا أقبل الليل من يحمي حمانا؟ التفتت إليها العقيلة زينب: عمة ما الذي جاء بك؟.

قالت لها: عمة لما هجمت الخيل علينا، شعرت بالخوف فقلت أحتمي بجسد والدي قالت: . . . ومن أين علمت أنه أبوك وهو جثة بلا رأس؟

قالت: عمتي بينما أنا أسير بين القتلى أبحث عن جسد والدي وإذا بصوت من منحر والدي ينادي بنية تعالي، تعالي إليّ فجئت إليه أحتمي به.

يـــا والـــدي والله عـــظـــيـــمـــة أنـا صـيـر مـن صـغـري يـتـيـمـة

والـنـوح مـن بـعـدك لـيـه قـيـمـة أتـاري الأبـو يـا نـاس خـيـمـة

تقول الرواية وإذا بهذه الطفلة أخذت القربة وتوجهت نحو نهر الفرات، ملأتها بالماء ثم عادت إلى جسد أبيها الحسين، تريد أن تشربه وهي تقول:

أبه قم واشرب الماء، أبه يا حسين أنت عطشان لقد أباحوا لنا شرب الماء

تـقـلـه أنـا شـلـون أشـرب لـذيـذ الـمـاء وأبـوي حـسـيـن يـنـقـتـل عـطـشـان

* * *

هـذه نـسـاؤك مـن يـكـون إذا سـرت فـي الأسـر سـائـقـهـا ومـن حـاديـهـا

أيـسـوقـهـا زجـر بـضـرب مـتـونـهـا والـشـمـر يـحـدوهـا بـسـبّ أبـيـهـا

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد اللهم وصلِّ على أوليائهم المعترفين بمقامهم، المتبعين منهجهم، المقتفين آثارهم، المستمسكين بعروتهم، المتمسكين بولايتهم، المؤتمين بإمامتهم، المُسَلّمين لأمرهم، المجتهدين في طاعتهم، المنتظرين أيامهم، المادين إليهم أعينهم برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآل محمد.

النفحة السابعة عشر

مجلس السبايا في الكوفة والشام



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك يا سيدي ويا مولاي يا أبا عبد الله يا أبا الشهداء يا حسين، يا رحمة الله الواسعة، ويا باب نجاة الأمة، لعن الله الظالمين لكم يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

خذوا الماءَ من عينيَّ والنارَ من قلبي ... ولا تحملوا للبرق منّا ولا السحبِ
ولا تحسبوا نيرانَ وجدي تنطفي ... بطوفانِ ذاك المدمعِ السافحِ الغرب
رزاياكُم يا آلَ بيتِ محمد ... أغصّ لذكراهنّ بالمنهلّ العذب
عميَ لعيونٍ لا تفيض دموعُها ... عليكم وقد فاضت دماكم على الترب
وتعساً لقلب لا يمزّقُه الأسى ... لحرب بها قد مزّقتكم بنو حرب
أأنسى بأطراف الرماح رؤوسكم ... تطلّع كالأقمار في الأنجم الشهب
أأنسى حوافر الخيل فوق جسومِكم ... وما وطأتْ من موضع الطعن والضرب
أأنسى دماءً قد سُفكن وأدمعا ... سُكبن وأحرارا هُتكن من الحجب
أأنسى بيوتاً قد نُهبن ونسوةً ... سُلبن وأكبادا أُذبن من الرعب
أأنسى إضرامَ النار فيه وما بها ... سوى صبيةٍ فرّت مذعّرةَ السرب
فأنتم به للقتلِ والنبلِ والقَنا ... ونسوتكم للأسرِ والسبي والسلب

* * *

قلبي من المصايب صار بيداي ... وقطع بيه الشمر للشام بيداي
اشلون أمشي وحبل ممدود بيداي ... ونّة زينب الحسرة الهاشمية

قال مولى المتقين وأمير المؤمنين علي عليه السلام :

«فوالله لرجلٍ على يقين من ولايتنا أهل البيت خير ممن له عبادة ألف سنة»[١].

إن الله تبارك وتعالى لا ينظر إلى كثرة عبادتنا ولكن ينظر إلى كثرة وعظمة محبتنا وولايتنا لأهل البيت عليهم السلام وعلى أساسها يُثيب أو يعاقب. فلو أن رجلا عبد الله ألف عام وليس عنده معرفة ويقين بأهل البيت عليهم السلام فلن تنفعه عبادته شيئاً. ورد في الحديث أن **«نوم العالِم أفضل من عبادة العابد»**[٢] وذلك لأن العالم يمتلك معرفة حقيقية أما العابد فلا، وإن كان كل عالم عابد وليس كل عابد عالم، وهناك فرق كبير بين العابد وبين العبد، والفارق بينهما كالفارق بين العدم والوجود.

فالعابد هو الذي يؤدي عبادته دون معرفة، أما العبد فهو الذي يكون عارفاً بالله عزّ وجل، يعني عنده معرفة ولذلك هو يعبد الله فيكون عبداً عابداً. إذاً، فكل عبد هو عابد لأنه لا يخالف أمر مولاه، ولكن ليس كل عابد هو عبد.

وإن أكثر الناس هم عُبّاد وليسوا عبيداً، عابدون لله من دون معرفة، وهي من قبيل ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾[٣] ولكن، علينا أن نعلم أنه حتى المعرفة، لا تكفي وحدها فقد جاء في الخبر **«أن الإيمان على أربع أشياء:**

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١، ص١٦٨.
(٢) بحار الأنوار: ج٢، ص٢٥.
(٣) سورة لقمان، آية: ٢١.

المعرفة واليقين والتسليم والإقرار» فالمعرفة يجب أن يكون معها يقين وتسليم وإقرار.

وإن من المعلوم أن هناك فرق ما بين الإسلام والإيمان، والفرق بينهما جلي وواضح عند أهل الله عزّ وجل، فمثلاً، أبو سفيان لعنه الله وغيره كانوا من المسلمين ولكن لم يكونوا من المؤمنين. والإنسان عندما يشهد بالشهادتين يكون مسلماً لأن هذه الشهادة الظاهرية التي تلفّظ بها وأعلنها يحفظ بها دمه وماله وعرضه في عالم الدنيا، ولكن في عالم الآخرة هو ليس بمؤمن، ويُتعامل معه على أنه منافق لعدم تطابق الظاهر مع الباطن...

ومعلوم أن الأجر والثواب في الآخرة إنما يكون على الإيمان لا على الإسلام فكما ورد في الخبر: «**إنما يثاب المرء على الإيمان**». لذا ينبغي أن تتحوّل معرفتنا إلى تصديق ثم إلى يقين تام وهذا اليقين يوصلنا إلى التسليم والإقرار.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**كتاب الله على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء**»[1].

فمثلاً نحن عندما نجلس في هذا المجلس، فقط نسمع ولا نتدبر بما نسمعه، فنسمع أن الإمام الحسين عليه السلام وصل إلى كربلاء، ونسمع بما جرى في كربلاء، ونسمع يا علي ويا حسين ولا نفهم أكثر من هذه العبارات، فهي تصل إلى شحمة أذنينا ولكنها لا تَرِدُ إلى الداخل. وأما الخواص فعندما يسمعون الرواية تكون بمثابة إشارة لهم إلى معرفة معينة.

---

(١) بحار الأنوار: ٨٩، ١٠٣.

فمثلاً، إن الإمام الحسين عليه السلام عندما خرج من مكة لم يخرج معه أحد من أهلها أبداً، لذا فمن الممكن أن نفهم مدى إيمان وطهارة أهل مكة آنذاك. أو عندما قال الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه ليلة العاشر من محرم **«هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا»** عندها أخذ بعض من كان معه ظاهر المعنى وهي العبارة، فلم يفهموا الليل الذي يقصده الإمام، أما أصحابه فقد فهموه... يقول إمامنا العسكري عليه السلام **«الوصول إلى الله سفر لا يدرك إلا بامتطاء الليل»** لذلك بقي أصحابه وغادره العوام الذين ليس لهم إلا العبادة.

والبعض من الأولياء من الممكن أن يروا بعض المكاشفات والتي لها علاقة بكربلاء، كأن يرى موكب السبي مثلاً، وهذه المرتبة تسمى عين اليقين والأولى تسمى بعلم اليقين. وأما الحقائق فتسمى حق اليقين والتي هي من مقام الأنبياء عليهم السلام فتكون بتحقق ما يراه.

يعني إذا رأى السيدة زينب سلام الله عليها تُضرَبْ بالسوط يصبح هو والذي يراه شيئاً واحداً، أي يصبح وكأنه يُضرَب معها بهذا السوط، وهذا هو العشق والحب والفناء. لذا فليسأل كل واحد منا نفسه هل أنا من أهل العبارة؟ أم من أهل الإشارة؟ من أي مرتبة أنا؟ وماذا عليَّ أن أفعل حتى أصبح من أهل الحقيقة؟!

وعلينا أيضاً أن نسأل أنفسنا كم مجلس عزاء حَضَرنا حتى اليوم! وماذا أثّرت بنا هذه المجالس؟! وهل غيرت فينا خُلقاً سيئاً؟ هل غيّرت ما في قلوبنا وجعلتنا ندخل إلى كربلاء؟ هل جعلتنا من أهل الولاية؟ هل جعلتنا نبغض الدنيا؟ هل جعلتنا من أهل التوحيد؟ لذلك لا تظنوا أن المقصود من هذه المجالس هو أن نسمع الروايات المدفونة والمخبأة فقط، لا ليس هذا هو المطلوب، إنما المطلوب أن نتحقق بكلام المعصوم، أي نصبح نحن والرواية التي نسمعها واحداً، وهذا يحتاج إلى دعاء وصفاء نية وإخلاص.

من الممكن أن يأتي شهر محرم القادم ونكون بعداد الموتى، الشقي الشقي من يدخل إلى محضر الإمام الحسين عليه السلام ولا يصبح من أنصاره.

وإن النفحات الإلهية بدورانها خلال العام، تبدأ على سبيل المثال منذ شهر رجب وهو شهر التخلي فَيُعدّنا الله سبحانه وتعالى للدخول إلى محضره خلال شهر رجب وشعبان وهو شهر التحلي حتى نصل إلى التحقق بليلة القدر في شهر رمضان والتي ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[1] وهو شهر التجلي وأما من حرم الغفران في شهر رمضان ولم يتمم شؤون الضيافة الإلهية، فإن أمامه فرصة أخرى في شهر محرم. في هذه الأيام العشرة التي يتعلم ويتعرّف فيها على كربلاء الحسين عليه السلام لأن دماء الموالي وقلبه وروحه تتأجج حرارتها في هذا الشهر. وهذا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله **«إن لقتل الحسين عليه السلام في قلوب المؤمنين حرارة لن تبرد أبداً»**

ولكن البعض يعتقد أننا ندخل إلى محضر المولى أبي عبد الله عليه السلام، فقط للبكاء لأن البكاء عليه يغفر الذنوب والمعاصي الموجودة في نفوسنا، ولكن علينا أن نعرف أن هذه المحبة هي محبة التجار، وأما محبة الأحرار فليست كذلك.

أنتم تعرفون أن الإمام الحسين عليه السلام ينظر إلى الباكي عليه ويقول له: **«أيها الباكي لو تعلم ما أعدّ الله لك لفرحت أكثر مما جزعت»**[2] ولكن جواب العاشق هو سيدي ومولاي يا حسين:

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة ... لكنما عيني لأجلك باكية

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٥، ص٣٧٦.

فالعاشق ليس له وجود حتى يلتفت إلى أجر وثواب، ولا يريد مقابل حبه شيئاً وإن كان ذلك حاصلاً، لكنه يلتفت فقط إلى معشوقه ولا يرى أحداً سواه، ولا ينتظر منه أجراً وإحساناً لأن الأجر والثواب، مهما بلغ، فإنه بالنسبة للعاشق الواله هو دون نظرة واحدة إلى جمال الحسين بن علي عليه السلام.

الأم عندما تسمع بخبر شهادة ولدها تبدأ بالنوح والبكاء والعويل من دون أن تعرف كيف استشهد ولدها، ومن دون أن تخوض في التفاصيل، وكذلك العاشق فإنه يكفيه ذكر «يا حسين» حتى يقع على الأرض مغشياً عليه. وهو لا يحتاج إلى سماع تفاصيل ما جرى في كربلاء. لذا فأين نحن من كل هذا؟ وفي أي مرتبة نحن؟ وهل نريد أن نغيّر أنفسنا حقيقة أم سنبقي هذا الإسلام المحمدي غريباً بيننا؟

أيها الموالي، لقد كان الإمام الحسين عليه السلام غريباً، وما زال غريباً، لقد استشهد يوم العاشر من محرم وبدأ المصاب ومع ذلك تجد الناس يُسمّون ذلك اليوم بيوم الفلّة، وينتهي الأمر بالنسبة إليهم في يوم العاشر مع أن الحزن يبدأ حينئذ، وهنا يبدأ حزن فاطمة سلام الله عليها. إن الإمام الحسين غريب وآثاره أيضاً في غربة، فمن آثاره الشهداء الذين بذلوا مهجهم حباً وعشقاً للقاء محبوبهم أبي عبد الله الحسين عليه السلام وفداء لنا، لكن أين أصبح ذكرهم؟ أليسوا منسيين؟ . .

أليس صاحب الزمان هو البقية الباقية من ذرية الإمام الحسين عليه السلام؟ أليس إمامنا غريباً بيننا؟

سيدي ومولاي يا صاحب الزمان، نحن حتى الآن لم نر طلعتك الغرّاء، لم نتشرّف بخدمة واحدة نقدّمها إليك، سيدي ومولاي يا صاحب الزمان أيها الغريب بين شيعتك. . . آه . . . آه لغربتك.

بالله عليكم . . . إذا رحلنا من هذه الدنيا ولم ننل شرف خدمة الإمام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه كيف سيكون حالنا؟ بماذا سنجيب الله عزّ وجل إذا سألنا عن إمامنا وخدمته؟! .

ليتنا نخرج من هذا المجلس ويكون صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه قد نظر إلينا وجعلنا من عداد الشهداء، ليتنا نخرج من المجلس حقيقةً حسينيين، لا يكون همنا مصائب الدنيا وبلاءاتها، ولا الأولاد والأموال والأوضاع . . . فمهما كان هذا المصاب، فإنه بعين الله، وفي رضى الله . ولسان حالنا ينبغي أن يكون «**إلهي خذ حتى ترضى**»، بل في مقابل ذلك ينبغي أن يكون خوفنا من أمر عظيم ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[1] . هذا ما دعاه لنا إمامنا صاحب الزمان برسالته للشيخ المفيد إذ قال «**عافانا الله وإياكم من الفتن ووهب لنا ولكم روح اليقين وأجارنا وإياكم من سوء المنقلب**» .

فإنه من الممكن أن يمسي أحدنا مؤمناً ويصبح كافراً بسبب ضعف الإيمان وعدم اليقين والتسليم والإقرار . الذي يؤدي عدمهم إلى التزلزل بسهولة أمام الامتحان والبلاء . ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[2]، لذلك يجب علينا أن نخرج من هذا الامتحان راضين ومسلّمين بقضاء الله وقدره . . .

أيها الأعزاء فلينظر كل واحد منّا إلى قلبه، ألا يرى فيه السخط على الله؟ ألا نردد دائماً ماذا أعطانا؟ لماذا فعل بنا ذلك؟ نحن دائماً أو غالباً غير راضين بقضائه وقدره .

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٧.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢ .

إذا وفّقنا إلى زيارة كربلاء لا نقنع؟! وإذا أعطانا مقامات معنوية لا نكتفي؟! وإذا رزقنا من أشكال وأنواع النعم نئِن ونشكو. على كل حال نحن لسنا بشاكرين مع العلم ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[2].

إن الذي يريد أن يدخل إلى عالم المعنويات، وعالم المحبة والعشق عليه أن يستعد لما سيجري عليه ويعدّ العدّة كما يتهيأ الجندي في المعارك لمواجهة العدو، فإذا أراد أن يقتحم موقعاً لليهود فإنه لا بد أن يزيل الحواجز المانعة...، ويفكك الألغام... ومن الممكن أن ينفجر به أحد الألغام...، وهكذا هو الحال أيضاً في عالم المعنويات، فالذي يريد محبة أمير المؤمنين علي عليه السلام وعشق أهل البيت عليهم السلام عليه أن يخرق الحجب الظلمانية والنورانية ويقتحم العقبات وينجو من نفسه الأمارة وإبليس ومكائدهم ومكرهم.

يأتي أحدهم لأمير المؤمنين عليه السلام يقول له: يا مولاي إني أحبك، فيضع الإمام يده على كتفه ويقول عليه السلام له: «**إستعد للفقر والبلاء**». من يريد أن يكون عاشقاً ومحباً لعلي عليه السلام فإنه سوف يُتهم ويُظلم كما ظُلم أهل البيت عليهم السلام مع الفارق بينهما.

لقد أُتهم النبي يوسف عليه السلام بالزنى وسُجن، لماذا؟!. إن الدخول إلى عالم المعنويات ليس سهلاً.

أيها الموالي هل تعلم أن أهل البيت عليهم السلام ما زالوا يتأذون إلى الآن؟ ولكن هل تعرف من الذي يؤذيهم؟!. «**لقد آذانا جهلاء شيعتنا**». إنهم يتأذون

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.

من شيعتهم أكثر من أعدائهم، فكما قال الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه: **«الحسن من كل أحد حسن وإنه منك أحسن لمكانك منا وإن القبيح من كل أحد قبيح وأنه منك أقبح . . .»**[1].

البعض من الناس يقول أن فاطمة سلام الله عليها ليست بحاجة إلى من يساعدها بالبكاء على ولدها بعد ألف وأربعمائة سنة من واقعة كربلاء، فقد انتهت هذه المصيبة، أي سخرية هذه؟ ألا يتأذى قلب قائم آل محمد عجّل الله تعالى فرجه من هذا الكلام؟! ويؤذي قلب فاطمة سلام الله عليها، كربلاء ما زالت موجودة بمعانيها فعندما نحي مجالسهم كل سنة فنحن نحي الإمام الحسين عليه السلام (بصفاته بأخلاقه) الميت في وجودنا، ونميت عدوه وهو الجهل في وجودنا. وهذا الادّعاء ما هو إلا من الأنانية القابعة في وجود هؤلاء.

سيدي يا صاحب الزمان نحن لسنا كحبيب ابن مظاهر أو كعابس الشاكري؟!.

متى نصبح كالمقداد وأبي ذر وسلمان؟! الذين ثبتوا على الولاية يوم حادثة الدار حين ارتدّ جميع الناس عن الولاية وقد كان أشجعهم المقداد رضوان الله عليه.

سيدي لو كنّا حقيقة من أصحابك لكُنّا رأيناك، لو كنّا حقاً حُسينيين لكُنّا رأينا قائم آل محمد عجّل الله تعالى فرجه منذ زمن بعيد. . . ولو متنا سنرجع معه. فأين نحن منك يا صاحب الزمان؟ إمام الزمان لا يريد أصحابا يستغيبون شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام بل يريد من يستر على شيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٧، ص٣٤٩.

إمام الزمان لا يريد أناساً يفكرون بأنفسهم، بل يريد أناساً يفكرون متى ستُفك زينب سلام الله عليها من أسرها؟

إمام الزمان يريد أصحاباً يقاتلون الأعداء، ونحن حتى الآن مازلنا غير قادرين على مقاتلة أنفسنا الأمارة والإنتصار عليها؟!.

وما دمنا إلى الآن نقاتل أنفسنا فهذا يعني أننا بعد إلى الآن لم نصبح من أنصار الحجة، وقتل النفس الأمارة، كما يقول أحد الأولياء لا يكون إلا بسيف أمير المؤمنين عليه السلام حينما نناديه بصدق «يا علي» فيأتي عليه السلام ويطهرنا منها ويحطمها كما حطم الأصنام في الكعبة.

إن جواد الإمام الحسين عليه السلام لم يحتمل العيش بعده فرمى بنفسه في نهر الفرات. أما نحن فكم مرة سمعنا أن شمر بن الجوشن عليه لعائن الله ضرب زينب سلام الله عليها وحزّ رأس الحسين... هل أثّر ذلك فينا كما يجب...؟!.

لماذا هل لأننا بعد لم نصدق تماماً بذلك؟ أم لأن زينب سلام الله عليها ليست أختي، ليست زوجتي، ليست أمي...

إن المحب لا يقوى حتى على سماع هذا الكلام. أما نحن فما زلنا موجودين على قيد الحياة، نأكل، نشرب، أمير المؤمنين يقول: «**خير الإخوان الذي إذا فقدته لا تحب أن تبقى بعده**»[1].

بالله أجيبوني أين الشهداء...، أين أحباؤنا الذين كانوا معنا؟!.

وأين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، أين فاطمة بنت محمد سلام الله عليها، لقد

---

(١) غرر الحكم: ص٤١٧.

أتينا إلى هذه الدنيا بعد فوات الأوان، فكلهم رحلوا. لقد ذهبنا إلى البقيع ولكن بعد فوات الأوان إذ أتينا متأخرين.

لقد ذهبنا إلى كربلاء ولكن بعد فوات الأوان، لقد كان الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء حينها جثة بلا رأس...، سألنا عن أبي الفضل العباس، قالوا إنه على شاطئ العلقمي قطيع الكفين.

سألنا عن علي الأكبر قالوا لنا أنه مقطع إرباً إرباً سألنا عن القاسم، سألنا عن بنات الإمام الحسين عليه السلام قالوا إنهن سبايا، سألنا عن الأطفال قالوا خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة ومعه اثنان وسبعون طفل وطفلة لكن لما عادت زينب سلام الله عليها إليها لم يكن معها إلا ثلاثة أطفال، لقد استشهد أكثرهم إما تحت حوافر الخيول أو حرقاً أو برمي السهام أو خلال السبي.

كيف لا يستشهدون تحت حوافر الخيول وقد داست الخيول جسد معشوقهم ومحبوبهم؟

بالله عليكم كيف نرضى أن نبقى في هذه الدنيا التي قتلت محمد وآل محمد...؟!. كيف نعيش بدنيا قتلت علي بن أبي طالب عليه السلام؟ كيف نعيش بدنيا لا توجد فيها فاطمة بنت محمد سلام الله عليها؟.

كيف نعيش في دنيا سُبيَت فيها زينب سلام الله عليها وأُدخلت إلى مجلس ابن زياد لعنه الله وهو ينظر إليها شامتاً فقال له الإمام السجاد عليه السلام: **«يا بن زياد إلى متى تهتك عمتي زينب بين من يعرفها ومن لا يعرفها»**.

تقول الروايات لما أقبلوا بالسبايا إلى يزيد في الشام وكان رأس الحسين عليه السلام على الرمح صاروا يمرون بالنساء والأطفال أمامه، يقولون نظر رأس الإمام الحسين إلى سكينة فابتسم، نظر إلى فاطمة الصغرى وابتسم،

نظر إلى رقية والرباب وصار يبتسم لكنه لما رأى زينب سلام الله عليها أغمض عينيه. سيدي يا أبا عبد الله ماذا رأيت حتى أغمضت عينيك؟ تقول الرواية إن يزيد لعنه الله صار يسأل عن كل واحدة من النساء، كانت بينهم امرأة تغطي وجهها بيديها وليس عليها خمار فسأل من هذه؟ قالوا: إنها سكينة بنت الحسين، فدمعت عيناها. فسألها: ما يبكيك؟ قالت: وكيف لا تبكي من ليس لها خمار تغطي به وجهها عنك؟

ثم إن أحد حواشي يزيد لعنه الله أشار إلى فاطمة الصغرى وقال: يا يزيد، هبني هذه الطفلة جارية لي، أسألكم هل بينكم من يتحمل أن تكون ابنته جارية؟ . . . فلاذت الطفلة بثياب عمتها زينب سلام الله عليها. فقالت له زينب: كَذِبتَ والله ولؤمت. وكأني بزينب توجهت إلى أخيها الحسين . . .

خوية والله تحيرت بيتاماك ما ينحمل يا حسين فرقاك

لمثل هالوقت ردناك

ثم بدأ أحد الأشخاص في مجلس يزيد يعرّف السبايا واحدة واحدة . . . فلما دخلت الرباب زوجة الإمام الحسين عليه السلام، قال المعرّف: أميري، هذه الرباب زوجة أبي عبد الله.

لما سمع اسمها أقبل نحوها وهو يحمل طبقاً فيه رأس الحسين. فقال لها: رباب أتعرفين لمن هذا الرأس؟ وإذا به رأس الحسين فبكت وهي تقول؟

عزيز عليّ أن أراه كما عزيز عليه أن يراك تراني.

صد للرباب وفتح عينه وراسك يبو اليمة بيمنه

يقلي هالراس إلمن تعرفنه تمنيتك حي يا حامي الظعينة

ثم أخذ يزيد يضرب ثنايا أبي عبد الله بالخيزران فصرخت فاطمة بنت الحسين عمة زينب قومي وانظري إلى فعل يزيد برأس أبي الحسين.

فقامت زينب سلام الله عليها ونادت بصوت حزين لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إلى الله المشتكى وكأني بزينب...

يحسين راسك حين شفته تلعب عصا يزيد عله شفته

ذاك الوقت وجهي لطمته وقلت شلّت يمينك يالضربته

نعم كان موقف النساء والأطفال في مجلس يزيد من أعظم المصائب على قلب إمامنا زين العابدين عليه السلام. تقول الرواية «دخل يوماً أبو حمزة الثمالي على الإمام زين العابدين عليه السلام فوجده حزيناً كئيباً فقال له: يا ابن رسول الله أما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يَقُل؟ سيدي إن القتل لكم عادة وكرامتكم من الله الشهادة، ألم يقتل جدك علي بن أبي طالب؟ ألم تقتل جدتك فاطمة؟ ألم يقتل عمك الحسن؟ فما هذا البكاء؟ التفت إليه الإمام زين العابدين وقال: شكر الله سعيك يا أبا حمزة، كما ذكرت إن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة ولكن يا أبا حمزة هل رأت عيناك أو سمعت أذناك أن علوية لنا سبيت من قبل؟ قتل الرجال لنا عادة، ولكن هل سبي النساء لنا عادة؟ هل حرق الخيام لنا عادة؟ والله يا أبا حمزة ما نظرت إلى عماتي وأخواتي إلا وذكرت فرارهن من خيمة إلى خيمة وهن ينادين: واجداه وامحمداه...».

يقولون: لما مرّوا بالإمام السجاد مع السبايا على مصارع القتلى ونظر إلى أبيه الحسين جثة بلا رأس عاري اللباس ملقى على رمضاء كربلاء وقد رضَّتْ الخيل صدره وظهره تغير لون الإمام زين العابدين عليه السلام وجعل يجود بنفسه وكادت روحه أن تخرج من بدنه...

آه . . حسين يا اشتياق الروح يا تنهيدة أشجاني حسين يا انسياب الدمع من أشفار أجفاني

حسين يا التهاب الشوق في أعماق وجداني

* * *

ويلي يا بوية وداعة الله رحت عنك بحسرة ولا قضيت وداع منك

مروني على جسمك لونك عاري مسلّب مطيّر معفّر

يبوية نروح كل إحنا فدالك إخذنه للقبر يا حسين وياك

* * *

هل تعودون يا كرام إلينا أم قضى ذو الجلال ألاّ تعودوا

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد .

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد وبلّغ بإيماني أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل اليقين، وانته بنيتي إلى أحسن النيات وبعملي إلى أحسن الأعمال . . اللهم وفر بلطفك نيتي وصحح بما عندك يقيني واستصلح بقدرتك ما فسد مني يا أرحم الراحمين بحق محمد وآله الطاهرين وصلى الله على محمد وآل محمد .



النفحة الثامنة عشر

مجلس لقاء هند بالسبايا



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك يا أبا عبد الله وعلى أولادك المقتولين المظلومين، صلى الله عليك وعلى عترتك الطاهرة لعن الله الظالمين لكم من الأولين والآخرين وضاعف عليهم اللعن والعذاب الأليم يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

حلّ المصاب بمن أصبنا فاعذري ... أهذه وعن الملامة فاقصري

أفما علمت بأن ما قد نالنا ... رزء عظيم مثله لم يذكر

هذا الحسين ملقى بشاطئ كربلا ... ظمآن دامي الخد ثم المنحر

عارٍ بلا كفن ولا غسل سوى ... مورِ الرياح ثلاثة لم يقبر

مقطوع رأسِ هُشّمت أضلاعه ... وكسير ظهر كسره لم يُجبر

وحريمه من حوله وحماته ... ماتوا ظماً فورودهم من كوثر

ما بين مسحوب ليذبح بالعرى ... أو بين مشهور وآخر مؤسر

أو بين من يكبو لثقل قيوده ... أو بين مغلول اليدين معقّر

ورضيع حان بالحسام فِطامُه ... وصغير سن عن أذى لم يكبُر

لم أنس زينب وهي حسرى حائرة ... في نسوة متألماتِ حسر

تمشي إلى نحو الحسين وتشتكي ما نالها من ظلم ذاك المعشر
يا غايتي يا بغيتي يا منيتي يا من يقيني نائبات الأعصُرِ
لم أنسها وسكينة ورقية يبكينه بتحسّرٍ وتزفّرِ

* * *

الحزن يحسين سل قلبي ولي تام أو صار النوح إلي عاده وليتام
بقيت ارعه ابحرايركم ولي تام أو تظل نار الغصة بكلبي سرية



قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز الكريم، ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[١] إن البرّ هو مقام يسعى الإنسان للحصول عليه ولا يمكن أن يناله حتى ينفق مما يحب وليس مما يكره، ولكن ما هو البرّ؟ من المعلوم أن الإنسان الموالي تكليفه وواجبه الشرعي أن يبرّ أبويه (أي برّ الوالدين)، وبرّ الأب والأم هو من الواجبات المحتومة والتي لها الأثر الكبير على الإنسان في الدنيا والآخرة، بحيث أنه إذا أسخطهما فإنه لن ينال إلا الغضب من الله والشقاء في الدنيا والآخرة. وإن هذين الأبوين قد جعلهما الله واسطة لخلقنا، هذا في الظاهر، في حين أنه لنا أبوان حقيقيان خلقنا الله لأجلهما وهما رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما «**يا محمد لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما**»، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أنا وعلي أبوا هذه الأمة**»[٢]، وعلينا أيضاً أن نبرّهما، وإن التوفيق لنيل برّهما سلام الله عليهما لا يكون إلا بالإنفاق مما نحب، كما قال الله تبارك وتعالى ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٣]. وحتماً إن برّ الوالدين الظاهريين هو مقدمة لبرّ الأبوين الحقيقيين لأنهما مظهر لتلك الأبوة ومرتبة من مراتبها.

قال محمد بن علي عليه السلام: «**من أراد أن يعرف كيف قدره عند الله فلينظر كيف قدر أبويه الأفضلين عنده محمد وعلي عليهما الصلاة والسلام**»[٤].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.
(٢) بحار الأنوار: ج١٦، ص٩٥.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.
(٤) بحار الأنوار: ج٢٣، ص٢٦٠.

وقال علي بن محمد عليه السلام: **«من لم يكن والدا دينه محمد وعلي أكرم عليه من والدي نسبه فليس من الله في حل ولا حرام ولا قليل ولا كثير»**[١].

ولكن السؤال: أين رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام لنبرّهما؟! والجواب: أن برّهما يتحقق ببرّ إمام زماننا عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فهو البقية الباقية من آل أحمد. وهو بقية الله فينا. وإذا لم نبرّ هذا الإمام المعصوم المفترض الطاعة وكنّا عاقين له، لا يمكن أن نحصل على مقام البرّ وبالتالي لن نصل إلى الله تبارك وتعالى. والبرّ ينبغي أن يكون مسبوقاً بالمعرفة، وبمقدار معرفتك بالإمام يكون برّك له عليه السلام وبالتالي يكون لك مقام شامخ عند الله تعالى.

ولكن المعرفة المطلوبة التي توصلنا إلى مقام البرّ ليست المعرفة الظاهرية، (اسمه، متى ولد، مدة غيبته... الخ).

مع العلم أن هذه المعرفة مطلوبة ومهمة ولكن المعرفة المقصودة هنا والمشار إليها في الروايات نستنبطها من كلامهم سلام الله عليهم. فكما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية»**[٢]. وكما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **«نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يقبل من أحد إلا بمعرفتنا»**[٣]. وكما قال الإمام علي عليه السلام لسلمان: **«يا سلمان الويل كل الويل لمن لا يعرفنا حق معرفتنا وأنكر فضلنا»**[٤]. والمقصود بالمعرفة في هذه الرواية المعرفة الحقيقية النورانية،

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٣، ص٢٦١.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٦، ص٢٤٦.
(٣) العياشي: ج٢، ص٤٢، ح٩.
(٤) إرشاد القلوب: ج٢، ص٤١٦.

التي أخبرنا عنها أمير المؤمنين ومولى المتقين عليه السلام في حديثه لسلمان الفارسي وجندب بقوله: «**يا سلمان ويا جندب من لا يعرفني بالنورانية شاكّ أو مرتاب**»[1]. وحتى يتضح المطلب فلنتأمل في هذا المثال: لو أُدخل جمل إلى غرفة مظلمة، وحَضر مجموعة من الناس لا يعرفون ما هو الجمل ولا يعرفون شكله، فإن كل واحد من هؤلاء الناس سيعرّف لنا ما في الغرفة بطريقته، أما الموالي فيرى بحسب إدراكه ومدركاته، فكل يرى بحسب شدّة وضعف نوره كما ورد: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بعين الله**». وبمقدار إيمانه تكون رؤيته، فقد يقول أحدهم أنه يشبه التلة لأنه وهو يتلمسه وقعت يده على ظهر هذا الجمل، وآخر سيقول غير ذلك وآخر وآخر... ولكن عندما نضيء الغرفة، الكل سيرون الجمل على حقيقته وسيتعرفون عليه وسيعرفون أن الحقيقة ليست كما توهموا أو ظنّوا، ويصبح عندهم معرفة حقيقية بهذا الأمر لا لبس فيه ولا شبهة... إذاً ينبغي علينا معرفة إمام زماننا المعرفة النورانية الحقيقية، لتتحول هذه المعرفة إلى يقين وهذا اليقين ينبغي أن يتحوّل إلى شهود، أي شهود هذه المعرفة النورانية بالإمام عليه السلام عندها نصل إلى معرفة الله تبارك وتعالى.

وإن معرفة الإمام النورانية هي معرفته بالأسماء والصفات الإلهية، لأنه هو المظهر الأتم لهذه الأسماء والصفات الإلهية يعني هو الاسم الأعظم لله تبارك وتعالى. ولكن هذه المعرفة مراتب وفيها تدرج بحسب قوة سلوك السالك ومحبته وولايته، فتبدأ بالتعرف على اسم بعد اسم وصفة بعد صفة من الأسماء والصفات الإلهية ليصبح بعد ذلك عنده يقين بهذه الأسماء والصفات ثم يصل إلى شهود هذه الأسماء والصفات.

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٦، ص٢.

ولكن هل يا ترى نحن نسعى ليكون ارتباطنا بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه ارتباطاً حقيقياً؟ ومعلوم أن الذي يحب إمام زمانه وسيده ومولاه يتحدث معه ويناجيه في كل وقت. فهل يا ترى نحن كذلك؟ وهل الذي يحب حبيبه لا يتحدث معه إلا في وقت الشدّة؟ هل نحن حقاً نفتقده؟ هل نحن حقاً نطلبه؟ هل نحن حقا محتاجون إليه؟ هل نحن مستعدون أن ننفق ونبذل ونضحي بكل غالٍ ونفيس لننال برّه ونصل إليه؟ هل غيبته نفت رقادنا كما فعلت بمولانا الصادق عليه السلام إذ يقول مخاطبا إمام الزمان عليه السلام: «**سيدي غيبتك نفت رقادي وضيّقت عليّ مهادي وابتزّت مني راحة فؤادي**»؟[1] وأنتم تعرفون أننا إذا لم نرتبط به فلن نستطيع أن نرتبط بالله عزّ وجل، لأنه الباب الأوحد الذي منه يؤتى «**أين باب الله الذي منه يؤتى**» ومن لم يتيقن حقيقة إمام الزمان عليه السلام في الدنيا فلن يشهده في الآخرة، ومن لم يكن عنده معرفة به هنا، فلن يعرفه هناك، ومن لم يكن عنده يقين به هنا فلن يكون عنده يقين به هناك فالآخرة عبارة عن ظهور الأعمال التي اقترفناها في الدنيا. فالمشكلة إذاً تكمن في هذه النقطة ولهذا ينبغي أن نعيد النظر بطريقة تفكيرنا وعلاقتنا به وسيرنا العملي إليه بل ينبغي أن ندقق جيداً بمدى تصديقنا به عليه السلام ولنسأل أنفسنا هل نحن نعتقد ونصدق أنه عليه السلام يجلس بيننا ويرانا ويسمعنا كما ورد في زيارة آل ياسين: «**أشهد أنك ترى مقامي وتسمع كلامي وترد سلامي**»؟ فلو كان عندنا معرفة حقيقية فإنها حتماً ستؤدي بنا إلى اليقين، ويقيننا سوف يؤدي بنا إلى شهوده سلام الله عليه ولكننا في الحقيقة لسنا كذلك.

الذي يحب حبيبه يختلي به فكما قال تعالى في الحديث القدسي «**كذب من زعم أنه يحبني وإذا جنّ عليه الليل نام عني**»[2]. أنظروا إلى بعض أحوال

---

(١) ميكيال المكيارم.

(٢) بحار الأنوار: ج١٣، ص٣٢٩.

المحبين، واستمدوا العزم منهم وتعلموا كيف تصبحون عشاقاً حقيقيين، أحد الأشخاص كان يريد أن يعرف أمراً واحداً من صاحب الزمان عليه السلام، فبقي من بعد ظهر ذلك اليوم إلى صباح اليوم التالي جالساً على شاطئ البحر، والسماء تمطر وهو مستعد أن يبقى مكانه أكثر حتى يسمع كلمة واحدة من إمام زمانه، وهي أنه هل هو راضٍ عنه أم لا؟

يقول السيد ابن طاووس وهو من علماء الشيعة الكبار: «كنت أنا بسر من رأى فسمعت سحراً صوت الإمام الحجة يدعو بدعاء فحفظته وكان ذلك في ليلة الأربعاء الثالث عشر من ذو القعدة سنة ستمائة وثمانية وثلاثون هجري».

أما نحن فكيف هو ارتباطنا بإمامنا وسيدنا ومولانا؟! يقول الإمام الحجة عليه السلام للشيخ المفيد قدس سره وهو من العلماء الكبار والذي تشرف بلقاء الإمام الحجة عجّل الله تعالى فرجه: «**وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن ذلك فرجكم**». فهل نحن نكثر الدعاء بتعجيل الفرج، أم أننا لا نكثر الدعاء بتعجيل الفرج إلا حين تشتدّ علينا الأمور وتتكالب علينا الدنيا ومصائبها؟.

سيدي نحن نبخل عليك بالدعاء فكيف بالأرواح؟!.

يقول الله عزّ وجل ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[1] أي أنهم أنفقوا ولكن لم يقبل منهم، لماذا؟ لأن شرط الإنفاق أن ننفق بحُب ومما نُحب، والإنسان ماذا يحب في هذه الدنيا أكثر من نفسه وأهله وولده ووالديه؟ ونحن لن ننال مقام البرّ حتى ننفق هذه الأمور كما قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2]. وعلى سبيل المثال، الصلاة التي نصليها هل نؤديها

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

بتثاقل أم بتوجه؟ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾[١]. لسنا مستعدين لأن ننفق وقتاً إضافياً للصلاة، وإذا طالت أحسسنا بالملل، لماذا؟ والمصيبة أنه إذا فاتنا وقت صلاة الصبح لا نشعر بأن هناك خطباً جليلاً قد وقع، ولكن لو أننا أَضعنا مبلغاً من المال يكون حالنا صعباً إلى حد أنه يحرق القلوب. وإذا صمنا فإن أجمل لحظة عندنا هي عندما نسمع آذان المغرب لنأكل ونشرب. نحن نخاف على أجسادنا، لا نحب أن نتعبها، ونعطيها كل ما تريد، ونحن نلبي نداء أنفسنا وشهواتنا أكثر مما نلبي نداء الله ورسوله والأئمة عليهم السلام، وهذا لا يدل إلا على عدم الإيمان الصادق والحقيقي.

نحن لماذا لا نصلي صلاة الليل مثلاً، هل لأننا لا نريد؟ لا، ولكن أنفسنا تحب النوم ولسنا مستعدين أن ننفق مما نحب. إن الإنسان غير المتعلق بجسده وشهواته لا يتأثر بقلّة النوم والطعام والشراب والزواج لأن قلبه متعلّق بعزّ قدسه تبارك وتعالى وليس بحطام هذه الدنيا الفانية. «**ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى**»[٢]. هذا الجسد سيموت ويفنى، والروح هي الباقية، وقلب الإنسان وما فيه هو الذي سيحدد حاله ومآله ومنتهاه ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٣] سليم من هذه الدنيا ومتعلّقاتها، ومسلّم لأوليائه محمد وآل محمد. فهل هذه الروح على اتصال بإمامها؟! هل هي على اتصال مع الله عزّ وجلّ؟! كثير من الناس عندما يرون ميتاً ينزلونه إلى القبر، هل يفكرون بأنفسهم كيف سيُنزلون هذا المنزل؟ نادراً ما يفكرون لأن الخوف سوف يسيطر عليهم فهم لا يستطيعون تحمل فناء أجسادهم مع العلم أن هذا

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٢.
(٢) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٣٥٩.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٨٩.

الجسد، ليس له أي قيمة والروح هي الباقية، ولكن السبب في ذلك الخوف هو بعدنا عن الله ورسوله وأهل بيته، وإلا لكنا كعلي بن أبي طالب عليه السلام نستأنس بالموت «**إن علي بن أبي طالب ليستأنس بالموت كاستئناس الطفل بثدي أمه**»، بعض الشهداء قد شُوّهت أجسادهم، والناس تقول أيعقل أن تكون صورة الشهيد هكذا في الدنيا؟ ولكن علينا الإلتفات إلى أنه كما ورد في الحديث «**لو أن الدنيا كانت تعادل عند الله جناح بعوضة لما سقى الفاجر منها شربة من ماء**»[1]. فلماذا نحن متعلقون إلى هذا الحد بأجسادنا وأنفسنا وبهذه الدنيا؟! وإذا أردنا أن ننفق في سبيل الله لا ننفق إلا ونحن كارهون؟! أنقبل بما هو أدنى ونترك ما هو خير.

تعالوا نقف عند أعتاب العلياء المكرّمة زينب، نلوذ بها ونطلب منها النجاة في الدنيا والآخرة.

سيدتي شيعتك ببابك، أليست هي من أوصاها أبو عبد الله بحفظ الأيتام، سيدتي نحن أيتامك فعلمّينا كيف ننفق حتى نصل إلى برّكم ونلتحق بركبكم ونواسي جراحكم ولا نكون ممن قال الله تعالى فيهم ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾[2].

أنظروا بعيون قلوبكم زينب سلام الله عليها عندما خرجت من الخيمة ورأت رأس أبي عبد الله عليه السلام مرفوعاً على القنا وأصحابه وأهل بيته صرعى، ماذا فعلت؟! تقدمت من أبي عبد الله عليه السلام وضعت يديها تحت صدره الشريف ونظرت إلى السماء قائلةً: «**اللهم تقبل منا هذا القربان**» هذا ما قدّمته زينب سلام الله عليها.

---

(١) أعلام الدين: ص١٩٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٦ ـ ٧٧.

بالله عليكم ما الذي لم تنفقه زينب سلام الله عليها؟! ألم ترَ كل ما جرى على أمها الزهراء سلام الله عليها؟ ألم ترَ كيف تواثبوا على أمير المؤمنين وأوثقوه بالحبال وأخرجوه من الدار؟ ألم تنظر إلى عمر لعنه الله وهو يعصر فاطمة سلام الله عليها خلف الباب؟ ألم تسمع أنين الزهراء وقد التصقت أحشاؤها بالباب حتى أسقطت المحسن؟ رأت كل ما جرى ولم تعترض أبداً على أي أمر تشريعي أو تكويني لله تبارك وتعالى بل كانت راضية بقضاء الله وقدره، وكانت مستعدة أن تنفق كل شيء حتى تصل إلى محبة الله تعالى.

ألم ترَ أمير المؤمنين عليه السلام والدماء تسيل على لحيته الشريفة، وقد حملوه إلى بيته فلما وصلوا إلى مقربة من الدار قال لهم أنزلوني ها هنا، فسألوه: لماذا يا أبا الحسن؟ فقال لهم: لا أريد أن تراني زينب على هذه الحالة. ألم تره وهو بتلك الحال.

ألم تكن زينب سلام الله عليها موجودة تشاهد الإمام الحسن يتلفظ كبده؟

تعالوا لنحط رحالنا في كربلاء ونرى إنفاق زينب سلام الله عليها. ألم تقدّم ثلاثة من أبنائها؟ ألم تقدم أخاها سيد الشهداء؟ ألم تنفق عزيزها أبا الفضل العباس؟

أيها الأعزاء، إذا كانت دموعكم لم تنهمر حتى الآن لهذه المصائب فاسمعوا هذه المصيبة التي آلمت قلب زينب سلام الله عليها، وذلك عندما أقبلوا بهم أُسارى إلى الشام. نعم لقد عزّ على زينب سيدي يا علي يا أبا الغيرة أن تقف بالشام... وكأني بها

آه... علامك يا دهر حطيت بيه شمتت العدى يا خوية والناس بيه

وأنا يا زمن لشكيك لحيدر بيه أبا الحسن وداحي الباب

يقولون أن هند زوجة يزيد أرادت أن تزور السبايا لتتفرّج عليهم، فشقّ لها يزيد طريقاً خاصاً وخرجت معها واحدة من نساء قومها تحمل لها كرسياً أقبلت بموكبها هذا، لما رأتها زينب التفتت إلى الأطفال واليتامى قالت لهم: تلثّموا وتكتموا إن التي كانت تخدمنا أقبلت تتفرّج علينا. أقبلت هند ووُضع لها الكرسي، جلست عليه وأخذت تطيل النظر إلى السبايا وبينهم زينب سلام الله عليها، فجعلت تبكي. التفتت إلى زينب وما كانت تعرفها، ومن أين تعرفها؟ قالت لها: أخية إدني مني. أقبلت زينب سلام الله عليها ومعها الأطفال والأيتام يريدون أن يعرفوا ماذا تريد منهم زوجة يزيد. قالت: أخية أنا جئت أتفرّج عليكم ولكن تغيّر الحال لما رأيتكم، كسرتم خاطري وقطّعتم قلبي وبكيت رحمة بكم، من أي المدائن أنتم؟ قالت زينب سلام الله عليها: نحن سبايا المدينة. قالت: المدائن كثيرة، من أي المدائن؟ قالت: من مدينة رسول الله ﷺ. لما سمعت هند ذلك قامت على قدميها، وجهّت وجهها إلى مدينة رسول الله ووضعت يديها على رأسها وقالت: السلام عليك يا رسول الله ثم جلست على الأرض. قالت لها زينب سلام الله عليها: لم تركت مكانك وجلست على الأرض؟ قالت: تكريماً لكم لأنكم من مدينة رسول الله ﷺ لكن قولي لي، لي بهذه المدينة أهل ودار أسألك عنهم. قالت زينب سلام الله عليها: أي دار؟ قالت: هي دار سيدي ومولاي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أسألك عن سيدي أبي عبد الله عن مولاي أبي الفضل العباس، أسألك عن العقيلة زينب، فخر المخدرات زينب، أسألك عن الرباب، أم كلثوم، سكينة، أخذت تسأل عن الجميع وكلما تسأل عن واحدة يضج الأطفال بالبكاء والنحيب. أطفال الحسين لما سمعوا هذه الأسئلة قاموا يمشون. قالت لها زينب سلام الله عليها: يا هند لقد آذيتنا، يا هند تسألين عن دار علي فلقد خلّفناها تنعى أهلها، تسألين عن الحسين رأسه بين يدي يزيد،

تسألين عن قمر العشيرة تركناه على شاطئ العلقمي والسهم نابت بعينه بلا كفين وبجنبه الراية.

تسألين عن أم كلثوم هذه الجالسة بجانبك، تسألين عن الرباب هذه الرباب تسألين عن سكينة هذه سكينة الجالسة ورأسها بين ركبتيها، بعد عن من تسألين؟ تسألين عن زينب آه... أنا زينب

أنا زينب تقلها وتهمل العين وهاي الحرم عنها يالتسألين

أنا زينب ليحكون عني عظيم المصايب المرمرتني

مصايب حسين الهدمتني نزلت على عيوني وعمتني

لما سمعت هند ذلك شقّت جيبها، ثم تناولت حجراً وضربت به رأسها فسال الدم على وجهها وأغمي عليها، فلما أفاقت صاحت: واحسيناه... وا إماماه... صاح الناس يا أميرة ما بك أجننتِ؟ قالت: سوّد الله وجوهكم أهل الشام، أتفرحون وهذا رأس الحسين عند يزيد! دخلت على يزيد وهو في مجلس عام، حافية القدمين قالت: يا يزيد، أنا خادمة علي، أنا خادمة الحسين أنا شيعية، رأس الحسين ينصب على باب داري؟ فلما رآها يزيد على تلك الحالة غطّاها وقال: لقد عجّل عليه ابن زياد ألا فابك واعولي على الحسين بن علي. فقالت: ويحك يا يزيد أخذتك الحميّة عليّ، فَلِما لم تأخذك الحميّة والغيرة على بنات علي وفاطمة الزهراء، هتكت ستورهن وأبديت وجوههن فوالله لا أدخل حرمك حتى أدخلهن معي..

عمت عيني أرد للدار وخليكم بنات حيدر الكرار

ظل قلبي عليكم يسعر بنار وأريد أنصب عزيه بالدار عليكم

* * *

آمر هند من شاهد بكاها لعند الدار تاخذهن وياها
أخذتهم وقامت زينب عزاها على اخوتها القضوا بالغاضرية

* * *

قامت شاركتهن هند بالنوح وبذيك المناحة التاخذ الروح
حرم وقلوبها على الأهل مجروح بعد وشلون ما تنصب عزية

* * *

فلو أن موتا يُشترى وعيشي بعد الظاعنين منكدّ

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلّ على محمد وآل محمد . . إلهي ما ألذّ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب، وما أطيب طعم حبك، وما أعذب شرب قربك، فأعذنا من طردك وإبعادك واجعلنا من أخص عارفيك، وأصلح عبادك وأصدق طائعيك برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآل محمد.

النفحة التاسعة عشر

مجلس السيدة رقية

عليها السلام



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك وعلى آلك المظلومين، صلى الله عليك يا أبا عبد الله وعلى ابنتك وقرّة عينك رقية بأبي أنتم وأمي يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

لهف نفسي لزينب وهي ثكلى ... يتلظى قلبها دموعا وآها
ورأت ما يمضّ من ألم اليتم ... مصابا يعزّ عن أن يضاها
طفلة بنت أربع أو ثلاث ... يشهق العطر من عبير شذاها
هي بنت الحسين لم تعرف اليتم ... ولم تدرِ كيف تنعى أباها
وغفت عينها لتهجع بلواها ... وتنسى مصابها وأساها
رأت الوالد العطوف بعينها ... فهبّت مذعورة من رؤاها
وانبرت تشكو له الذلّ واليتم ... فتذوب القلوب من شكواها
واستفاقت من غفوة الضيم تبكي ... وتنادي ولا يجاب نداها
يا أبي يا أبي أريد أبي ... الآن فقد كان لي ظلالا وجاها
فاستفزّ الصراخ نوم يزيد ... وهو في قصره فأبدى انتباها
قال: ذا رأسه احملوه إليها ... فعسى تستعيض عنه عساها

* * *

آه... وحق راسك يا بوي ونور عيني ... طول الدهر ما يبطل ونيني
شلون تلومني من أعمي عيوني ... على فرقاك ما انته نور العيون

جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**من زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه ضمنت له على الله الجنّة**». إن الورود إلى هذه الجنة شرطه زيارة الحسين بن علي عليه السلام. وهذه الزيارة شرطها معرفة حقهم عليهم السلام، ومن حقهم مودتهم ومحبتهم ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[1] فبمقدار ما يكون لدى الإنسان معرفة بمقدار ما يضمن له الإمام الصادق عليه السلام على الله الجنّة إذا زار قبر الحسين أو أي قبر من قبور الأئمة عليهم السلام. فالشرط هو المعرفة، ولكن أي معرفة؟ ورد أن الإمام علي عليه السلام قال لسلمان وأبو ذر «**من لم يعرفني بالنورانية فهو شاك أو مرتاب**»[2] وبمقدار ما يعرف يكون له مقام كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «**قيمة كل امرئ ما يحسنه**»[3].

أحدهم رأى أحد الشهداء في عالم الرؤيا فقال له: هل أنت نادم على شيء في الدنيا؟، قال له: نعم أنا نادم على عدم تعمقي بمعرفة أهل البيت عليهم السلام لأن هنا قيمة كل واحد منّا تُقاس بمدى معرفتهم وبمقدار ما يكون لدى الإنسان محبة وعشق لهم عليهم السلام بمقدار ما يرتقي.

فكل إنسان لديه هدف يعمل له، منّا من هدفه في هذه الدنيا الوصول إلى الجنّة، فالله سبحانه وتعالى يوصله إلى الجنّة ويعطيه ما طلب من مراتب الجنّة ولكن تكامله يكون بهذه المرتبة فقط.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٢) بحار الأنوار: ج٢٦، ص١٧.
(٣) نهج البلاغة: ص٧٨٧.

شخص آخر هدفه الشهادة، فالله يعطيه الشهادة ولكن تكامله يكون فقط بمقام الشهادة. وآخر غايته التوبة، فالله يوصله إلى مقام التوبة ولكن تكامله يكون فقط بمقام التوبة. ولكن السؤال ما هو العمل الذي من خلاله يستجمع الإنسان جميع المقامات: التوبة، المعرفة، الشهادة والجنّة... ؟! لمعرفة ذلك علينا أن نتدبر بهذه الروايات ونستنبط منها هذا العمل. ألا وهو الحب، حب محمد وآل محمد والذي إن حصل عليه الإنسان الموالي جمع الخير كله في الدنيا والآخرة وحصل على كل المقامات.

قال رسول الله ﷺ: «**من مات على حب آل محمد، مات شهيداً**. (يصل إلى مقام الشهادة).

ألا ومن مات على حب آل محمد، مات مغفوراً له (يصل إلى مقام المغفرة).

ألا ومن مات على حب آل محمد، مات تائباً (يصل إلى مقام التوبة).

ألا ومن مات على حب آل محمد، مات مؤمناً مستكمل الإيمان. (إيمانه تام).

ألا ومن مات على حب آل محمد، بشّره ملك الموت بالجنة ثم منكرٌ ونكير.

ألا ومن مات على حب آل محمد، يزفّ إلى الجنّة كما تزف العروس إلى بيت زوجها.

ألا ومن مات على حب آل محمد، فتح له في قبره باباً إلى الجنة.

ألا ومن مات على حب آل محمد، جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة.

ألا ومن مات على حب آل محمد، مات على السنّة والجماعة.

ألا ومن مات على بغض آل محمد، جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيساً من رحمة الله.

ألا ومن مات على بغض آل محمد، مات كافراً.

ألا ومن مات على بغض آل محمد، لم يشم رائحة الجنة»[1].

فبالمحبة يصل الإنسان، ويجمع جميع المراتب فيصل **إلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.**

وإن الله تبارك وتعالى لحبه لمحمد وآل محمد أراد أن يظهر لهم أثراً من هذه المحبة، فخلق الأرض، السماء، والكواكب و... وهذا ما نقرأه في حديث الكساء عن الباري عزّ وجل **«يا ملائكتي ويا سكان سماواتي إني ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلكاً يدور ولا بحراً يجري ولا فُلكاً يسري إلا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء، فقال الأمين جبرائيل: يا ربي ومَنْ تحت الكساء؟، فقال عزّ وجل هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها».** ونحن إذا أردنا في هذه الدنيا أن نصل إلى مقام نستجمع به جميع مراتب الكمال، فمفتاح ذلك كله محبة أهل البيت عليهم السلام، لأن كل شيء في هذا الوجود ظهر بالمحبة، فبالمحبة ظهرت الدنيا وبالمحبة ظهرت جميع المقامات وبالمحبة خُلقت الأرض والسماء. وكل ما في هذا الوجود هو ظهور لمحبة الله عزّ وجل كما جاء في الحديث القدسي **«كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق كي أعرف»**[2]، فالإنسان يصبح له قيمة إذا

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٣، ص٢٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٨٤، ص١٩٨.

أحب وعشق ولكن هذه المحبة هي لله ولرسوله ولأهل بيته وليس للدنيا وأهلها.

جاء في الخبر أن رسول الله ﷺ، سأل أصحابه في أحد الأيام عن أوثق عرى الإيمان فمنهم من قال الصوم، ومنهم من قال الصلاة، ومنهم من قال الحج، فقال ﷺ: «**كلٌ له فضل ولكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله والتولي لأولياء الله والتبري من أعداء الله**»[1].

ولكن هل بمجرد أن نقول أننا عشاق لأهل البيت عليهم السلام، تتحقق المحبة وآثارها فينا؟ وهل إذا كنا بعيدين عن أهل البيت عليهم السلام، نكون من محبيهم وعشاقهم؟ إن المحب الحقيقي لا يغفل لحظة عن محبوبه ومعشوقه، لا يطيق أن يكون بعيداً عنه، حتى ولو بعدت المسافة ولم يتمكن من رؤيته فهو دائم الذكر له، وهو يرتبط بذاك الحبيب بكل وسيلة ممكنة ويتمنى أن يقدّم له أي خدمة ولو كان ذلك على حساب راحته وكل ما يملك بل كل عمره، فكيف نكون من عشّاق محمد وآله ونحن لا زلنا حتى الآن لا نذكرهم لا بلساننا ولا بقلوبنا ولا بأعمالنا بل ولا نزورهم ولا نحيي أمرهم إلا بشكل قليل ويسير؟ ولا نلتجئ إليهم إلا في أوقات الشدة، فهل هذا من علامات الحب؟!!!.

فلننظر إذاً إلى قلوبنا ونرى مقدار ارتباطنا بهم عليهم السلام، ولنسعَ لنقويه ليكون ذخراً لنا إلى يوم لا ينفعنا فيه كل ما تركنا في هذه الدنيا فبمقدار الإرتباط يكون الحب والولاء والعشق والتوحيد.

وإذا سألتم كيف نحصّل هذه المحبة؟ أقول تأملوا في محبة الأم لولدها، هل هناك من يعلّمها تلك المحبة؟ وانظروا إلى محبة الولد لأهله، وكيف

---

(١) الكافي: ج٢، ص١٢٥.

يرتبط بهم؟ إن المحبة الحقيقية لا تحصل تحصيلاً بل تُلقى إلقاء ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[١] هي كنز من عند الله يقذفها الله في قلب من يشاء، في القلب الطاهر الذي يطلب هذه المحبة والمعرفة بصدق وإخلاص، فإنه سبحانه وتعالى بقدر ما يرى في قلوبنا معرفة لهم عليهم السلام بقدر ما يلقي في هذه القلوب المحبة، وقد ورد في الزيارة الجامعة «**وجعل صلاتنا عليكم وما خصّنا به من ولايتكم طيباً لخَلقنا وطهارة لأنفسنا وتزكية لنا وكفارة لذنوبنا**» فهذه الصلاة التي نصليها عليهم «**اللهم صلِ على محمد وآل محمد**» هي صلة وربط واتصال وارتباط بهم صلوات الله عليهم فهي طهارة لنا وتزكية وكفارة لذنوبنا وهي تورث معرفتهم عليهم السلام ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٢]. نحن نصل إلى مقام التوابين والمتطهرين بمحبتهم والصلاة عليهم، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما من قوم يذكرون فضل محمد وآل محمد عليهم السلام إلا هبطت ملائكة من السماء تخبرهم وتحدثهم، فإذا عرجت الملائكة إلى السماء تقول لهم الملائكة: إنا نشم منكم رائحة ما شممنا أطيب منها! فيقولون: إنا كنا عند قوم يذكرون فضل محمد وآل محمد عليهم السلام فعبق بنا ريحهم، فيقولون: اهبطوا بنا إلى القوم، فيقولون: إنهم قد تفرقوا، فيقولون: اهبطوا بنا إلى المكان الذي كانوا فيه لنتبرك به**»[٣].

وكما قال صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه للشيخ المفيد «**فليعمل كل امرئ منكم ما يقرّبه من محبتنا**» فكل ما يقرّبنا منهم ويرضونه يجب علينا أن نفعله حتى نرضيهم «**فالحق ما رضيتموه والباطل ما أسخطتموه**»، ولا

---

(١) سورة طه، الآية: ٣٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٣) بحار الأنوار: ج٣٨، ص١٩٩.

يمكن أن يكون هناك من يحبهم ولا يزورهم، أو لا يتودد لهم ولا يسأل عنهم، هذا ليس محباً. وإنه عندما يقع بمشكلة فإنه أول ما يذهب إلى فلان ليشكو له همَّه وغمَّه، ولكن هل أحد منّا يذهب ويجلس مع صاحب الزمان ليشكو له همّه وغمّه؟ تقولون أين هو لنذهب إليه ونشكو له؟ أوَلم نسمع ما قاله لنا: «**أنه لا يعزب عنا شيء من أخباركم**» ألم نسمع قوله تعالى ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾[1] والمؤمنين هم أهل البيت عليهم السلام فأي عمل نعمله صالح أو طالح هم يروننا عندما نعمله، هناك بعض الروايات تقول إذا كان لك حاجة اكتبها على ورقة وطيّنها وارمها بالنهر أو في ضريح أحد الأئمة عليهم السلام وهذا يدل على الارتباط. الذي يحب الآخر يسأل عنه، يعلم أين هو، يشكو له ويرتبط به.

فالمحبة هي التي تدفع الإنسان للعمل، إذا أحببت ولياً بمقدار معين فستعمل وستخلص له بنفس هذا المقدار. انظروا، ما الذي دفع الشهداء أن يبرزوا إلى الشهادة، ماذا فعلوا؟ لم يفعلوا شيء، ولكن عشقهم للإمام الخميني وحبهم له دفعهم لهذا العمل. ولا يمكن الوصول إلى محبتهم ومعرفتهم عليهم السلام قبل الوصول إلى حب أوليائهم، والذي لا يجد قلبه محباً لوليهم فليشك بمحبته لهم سلام الله عليهم، وليشك بمحبته للإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

قال الإمام علي عليه السلام «**سلمان باب الله من جحده فقد كفر**»[2]، سلمان باب علي عليه السلام، وإن بابنا إلى إمام الزمان هم أولياؤه، فإذا كان حبي مطلق فعملي مطلق واتصالي مطلق.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٢، ص٣٧٤.

وإن الذي يدفع الإنسان للعمل هو المحبة وليس العكس، و «**جذبة من جذبات الرحمن تعادل عمل الثقلين إلى يوم القيامة**»، وهذه الجذبة هي العشق، هي الولاية، هي الحب.

جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ قوله: «**حب علي يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب**»، فبحب أمير المؤمنين عليه السلام يتخلص الإنسان من ذنوبه ومن معاصيه، يتخلص من كل شيء غير جيد اللهم إن كانت محبة حقيقية. هذه الولاية وهذه المحبة تطيّب الخلق وتزكي الأعمال والنفس وتكون كفارة الذنوب، وقد قال الإمام الرضا عليه السلام «**من لم يجد شيء ليكفّر به عن ذنوبه فليصل على محمد وآله**» وعندما يموت الإنسان، تقرأ الملائكة عنوان صحيفته فإذا كان العنوان حب علي بن أبي طالب عليه السلام أغلقت كتابه وإلا فتحاسبه حساباً عسيراً، فالعنوان الأساس هو المعرفة والحب والعشق الحقيقيين، ورد في الحديث «**عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب**».

فهدف الإسلام أن يوصل الإنسان إلى الغاية أي إلى السعادة المطلقة، إلى الكمال المطلق، إلى التوحيد، إلى الولاية. والمحبة والإخلاص هما شرطان أساسيان للوصول إلى الله تعالى كما هو معلوم في كتاب الله ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[1]، فإتباع الرسول ﷺ يوصل إلى محبة الله. ومودة رسول الله ﷺ ومودة أهل بيته هي التي توصل الإنسان إلى كماله الحقيقي ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[2] «**وكانوا هم السبيل إليك**» فأهل البيت عليهم السلام هم السبيل، وهم ذوو القربى الذين ينبغي

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٧.

علينا أن نودّهم ونحبهم ونعشقهم ونتولاهم ونبغض أعداءهم. ومَثَلهم عليهم السلام كما هم قالوا: «**مثلنا في كتاب الله مثل المشكاة والمشكاة في القنديل، نور علي وفاطمة، يهدي الله لنوره من يشاء ومن أحبنا كان حقا على الله أن يبعثه نيرا برهانه، ثابتة حجته، فنحن النجباء ونحن النور والضياء ونحن أفراط الأنبياء وأولاد الأصفياء وبقية الأوصياء وشيعتنا الشهداء والسعداء**»[١]. فإن شرط السلوك إلى الله تعالى هو مودتهم عليهم السلام وعندما يصل الإنسان إلى هذه المحبة وهذه الولاية يصبح عنده كرامات عالية ويصبح من المقرّبين.

نلاحظ الكثير من الصوفيين ومن أصحاب الطرق لديهم أعمال شاقة لتعذيب النفس ولكن هل ذلك يوصلهم إلى التوحيد الخالص حتماً لا لأنه لا يوجد في قلوبهم محبة حقيقية لأهل البيت عليهم السلام، كل أعمالهم ستذهب هباءً منثورا ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[٢].

إن الله سبحانه وتعالى أمرنا بقراءة سورة الفاتحة في الصلوات الخمس للوصول إلى التوحيد. ولا بد من قراءة الفاتحة التي فيها دعاء وطلب ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[٣] وعندما سئل الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير هذه الآية قال: «**علي هو الصراط المستقيم**»[٤] أي ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٥]، بهم نبدأ، وهم الذين يوصلوننا إلى التوحيد، «**من أراد الله بدأ بكم**» وبهم الختم.

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٦، ص٢٤١.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٦.
(٤) بحار الأنوار: ج٣٠، ص١٥٦.
(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾[١] من هو النبي؟ هو الذي ينبئ، قال علي عليه السلام: «**ما لله نبأ هو أعظم مني**»[٢] فكلهم إنما ينبّأون بالولاية.

وقد قال تعالى ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾[٣]، العصر هو صاحب الزمان عليه السلام، فالله تعالى يُقسم به أن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا، والسمة الأساسية للمؤمن هي التواصي بالحق، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**علي مع الحق والحق مع علي يدور معه كيفما دار**»[٤] يتواصون بحب علي عليه السلام، وعندما يعرف الإنسان الحقيقة لا يسأل عن شيء إلا ويجاب «**من أحبنا وازداد في معرفتنا ما سأل منّا مسألة إلا ونفثنا في روعه جواباً لتلك المسألة**».

يروى أن رجلاً أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وشكا له بأنه ليس من نسبه فقال له صلى الله عليه وآله: «**نسب الحب خير نسب**»، ويروى أنه أتى شخص للإمام الصادق عليه السلام سائلاً له نفس السؤال فقال عليه السلام: «**ولايتي لعلي عليه السلام خير من ولادتي منه**»[٥].

وإذا ما تحدثنا عن ثمار هذه المحبة والولاية لأهل البيت عليهم السلام فهي كثيرة وعظيمة. وكما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**شيعة علي هم الفائزون يوم القيامة**»[٦] ولنتدبر بهذه الرواية التي تُظهر نبذة من مقامات شيعة أمير

---

(١) سورة النبأ، الآيات: ١ ـ ٢ ـ ٣.
(٢) تأويل الآيات الظاهرة: ص٧٣٣.
(٣) سورة العصر، الآيات: ١ ـ ٢ ـ ٣.
(٤) بحار الأنوار: ج١٠، ص٤٣٠.
(٥) بحار الأنوار: ج٣٩، ص٢٩٩.
(٦) بشارة المصطفى: ص١٩.

المؤمنين عليه السلام : «يا علي أنا منك وأنت مني، روحك روحي وشيعتك شيعتي وأولياؤك أوليائي من أحبهم فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني ومن عاداهم فقد عاداني، يا علي شيعتك مغفور لهم على ما كان منهم من عيوب وذنوب أنا الشفيع لهم غداً إذا قمت مقام المحمود فبشرّهم بذلك، يا علي شيعتك شيعة الله وأنصارك أنصار الله وحزبك حزب الله وحزب الله هم المفلحون، يا علي سعد من والاك وشقي من عاداك، يا علي إن الله وهب لك حب المساكين والمستضعفين في الأرض فرضيت بهم إخواناً ورضوا بك إماماً فطوبى لمن أحبك وويلٌ لمن أبغضك، يا علي محبوك جيران الله في الفردوس لا يأسفون على ما خلّفوا من الدنيا، يا علي أنا ولي لمن واليت وعدو لمن عاديت يا علي بشّر إخوانك بأن الله قد رضيَ عنهم . . . ، يا علي أنت أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين وأنت وشيعتك الصادقون المسبّحون ولولا أنت وشيعتك ما قام لله دين، يا علي أنت وشيعتك القائمون على الحوض تسقون من أحبكم وتمنعون من أبغضكم وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر، يا علي إن الجنة مشتاقة إلى شيعتك وإن حملة العرش المقرّبين يستغفرون لهم ويفرحون بقدومهم وإن الملائكة يخصّونهم بالدعاء، يا علي شيعتك الذين يتنافسون بالدرجات ويلقون الله لا ذنب عليهم، يا علي أعمال شيعتك تعرض عليّ في كل جمعة فأفرح لصالح أعمالهم وأستغفر لكل آثم، يا علي ذكرك وذكر شيعتك في التوراة»[1].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الثابتين على محبة علي بن أبي طالب عليه السلام ومن المحبين والعاشقين لصاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه.

هلمّوا ننتقل بعيون قلوبنا إلى كربلاء، إلى مصيبة من أفجعت قلب إمامنا

---

(١) القطرة.

زين العابدين وأدمت قلب عمتها الحوراء زينب وهيّجت أحزان قلب جدتها فاطمة الزهراء سلام الله عليها. وأوقفت الملائكة عن التقديس والتسبيح والتهليل وصارت تبكي لبكاها...

انظروا بعيون قلوبكم ها هو موكب سبي نساء آل الرسول، يتقدمون على يزيد في الشام وقد جعلوهم في خربة قريبة من قصر الإمارة. وكانت هذه الخربة لا تقي من حر ولا برد، وكان للإمام الحسين طفلة صغيرة لها من العمر أربع سنين تسمى رقية. وكانت منذ يوم استشهاد والدها الحسين لم تره، فعظم ذلك عليها واشتاقت لأبيها وكلما طلبته قالوا لها: إنه في سفر بعيد. بالله عليكم، إذا كان لكم طفلة أبوها في سفر أو شهيد وتريد رؤيته كيف تشعرون؟ وأي حرقة تصير في قلوبكم عندما تسمعون بأنها مشتاقة إلى أبيها؟...

ظل الأمر كذلك إلى ليلة من الليالي، رأت رقية أباها في عالم الرؤيا، أجلسها في حجره ومسح دموعها وطيّب خاطرها. لكن الفرحة لم تدم لأنها أفاقت ونظرت حولها لم تر أباها، صاحت: عمة زينب أريد أبي الحسين، الآن كان معي وهو يضمني إلى صدره...

قامت الطفلة وتهمل العين وتنادي أريد أبوي حسين

عمة زينب كان الحين يمي ويقلي يا بنية لا تخافي

وبيده مسح على راسي

عمة يا زينب وين أبوي حسين تركني وحيدة بالفلا غريبة

وانا طفلة صغيرة

ارتفع البكاء والصراخ في الخربة بين النساء. هيّجت رقية بندائها مصاب

الحسين وأشعلت القلوب. وصل صوت البكاء إلى مسامع يزيد لعنه الله فقال: ما الخبر؟ قالوا: إن طفلة للحسين استيقظت وهي تريد أباها فقال لعنه الله: خذوا إليها رأس والدها وضعوه بين يديها لتنظر إليه وتتسلّى به فجاؤوا بالرأس الشريف إليها مغطى بمنديل، وضعوه بين يديها قالت رقية: عمة أنا لا أريد طعاماً، أريد والدي الحسين. فكشفوا لها عن الطشت وإذا بها ترى رأس والدها الحسين. رفعته من الطشت، ضمته إلى صدرها ثم وضعته في حجرها وصارت تمسح الدم والتراب عن وجهه وتقبّل منحره المنحور وهي تقول: أبه يا حسين إذا أظلم الليل من يحمي حماي، أبه من الذي خضّبك بدمائك؟ من الذي قطع وريدك؟ أبه يا حسين من للصغيرة حين تكبر؟ أبة يا حسين أيتمتني آل أمية على صغر سني، أبه يا حسين لو عاينت عيناك كيف سحبوا عمتي زينب والفواطم تبدي الأنين. أبه يا حسين من للأرامل المسبيات؟ من للعيون الباكيات؟ أبه يا حسين من للنساء الحاسرات؟ وجعلت تمسح بيدها الناعمة على شيبته المخضبة بالدماء وكلما مسحت الدم عن شيبته إحمرّ الشيب كما كان...

وهي تقول: أبه من الذي ارتقى صدرك قابضاً على لحيتك

آه... يا بوية اليتم يصعب عليه وأنا الشفت يوم الغاضرية

وراسك يا بوية بين ايدية

فضجت النساء بالبكاء والعويل ثم إنها وضعت فمها على فمه الشريف وبكت طويلاً فناداها الرأس: بنية إليّ إليّ فأنا لك بالإنتظار...

هل من مشتاقة إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام كما اشتاقت رقية لأبيها أبي عبد الله؟ نعم سيدي يا حسين، نحن المشتاقون إليك يا مولاي وها هي قلوبنا تتألم لبعدها عنكم، فمتى سيدي اللقاء؟ متى تنادينا إليك سيدي يا حسين؟

بعد بكت رقية بكاءً شديداً حتى غشي عليها. حرّكوها لم تتحرك دنت منها عمتها زينب، نادتها فلم ترد جواباً عندها صاح الإمام زين العابدين: عمة زينب ارفعي الطفلة عن رأس والدها فلقد فارقت الحياة. فتعالى الصراخ وضجت الخربة وكأني بالإمام زين العابدين عليه السلام ينادي عمته زينب بلسان الحال:

آه... عمة زينب قومي ليها شيليها عن راس وليها

ماتت رقية من بكيها ولا ضل يعمة نفس بيها

وراس السبط ما بين ايديها واختي انكسر قلبي عليها

يقولون جاؤوا بمغسلة لتغسلها، فجرّدتها من ثيابها ونظرت إلى جسدها قد اسود فسألت عن صاحبة القافلة، فأشارت النسوة إلى زينب سلام الله عليها فلما حضرت قالت لها: أليس لها أب؟ قالت زينب: ولماذا؟ فقالت: إن آثار السم بادية على جسد هذه الطفلة فبكت زينب سلام الله عليها وقالت لها: هذه ليست آثار السم إنها آثار سياط بني أمية...

وكأني بزينب تتوجه إلى أخيها الحسين...

آه... خوي حسين والله حيرتني أنا حرمة بيتامى كلفتني

خوي رقية تبكي على راسك لمن شافته

وظلت اليتيمة تصيح لمن شافته حتى يا خويّ راحت للمنية

* * *

شهقت شهقة فماتت عليه حين أهوت على صعيد الفناء

حرّكوها وما بها من حراك فنعاها السجاد للحوراء

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد وارزقني الرغبة في العمل لك لآخرتي حتى أعرف صدق ذلك من قلبي، وحتى يكون الغالب عليَّ الزهد في دنياي وحتى أعمل الحسنات شوقاً، وآمن من السيئات فرقاً وخوفاً، وهب لي نوراً أمشي به في الناس وأهتدي به في الظلمات، وأستضيء به من الشك والشبهات برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآل محمد.



النفحة العشرون

مجلس أربعين الإمام الحسين

عليه السلام



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب صلى الله عليك يا أبا عبد الله يا أبا الشهداء يا حسين يا غريب يا مظلوم يا عطشان كربلاء روحي وأرواح شيعتك لك الفداء يا شهيد كربلاء، لعن الله الظالمين لكم من الأولين والآخرين يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

هنيئاً لزوّار الحسين فقد حظوا ... من الله بالغفران والبركات
كأني بهم قد أقبلوا وتسارعوا ... مواكبَ كبرى غير منقطعات
فمن كل قطرٍ أقبلوا وتبادروا ... بلطمٍ ونوحٍ عاليَ النغمات
لمشهد مولايَ الحسين قد اعتنوا ... وفي تربة قد عفروا الجبهات
ولا سيما في يوم عشرين إنه ... ليوم عظيمٌ جدّد الحسرات
به جاء زين العابدين وأهله ... من الشام بعد السبي والكربات
وزينب جاءت والفواطم خلفها ... وأدمعها تجري على الوجنات
تنادي ألا يا نازلين بكربلاء ... دفنتم مقتولِ بغير تراب
فهل رُشّ فوق القبر ماءٌ فإنه ... قضي ظامئاً في جنب شَطِّ فرات
فوافوا بأرض الطف جابر زائراً ... كئيباً حزيناً دائم الزفراتِ
أقاموا العزا والحزن من فوق قبره ... وفي تربة قد سكبوا العبرات

* * *

يقولون لما اقتربت قافلة نساء بني هاشم ولاحت طفوف كربلاء كأني بزينب سلام الله عليها تقول :

لاحت طفوف الغاضرية والحزن زاد يم قبر خويّ حسين وصلّني يا سجاد
لاحت بعيني كربلاء وتفتّت حشاي بعيني يا شيعة شفت حسين عطشان
يا ناس من الشام لقبر حسين جينا نبكي ونلطم على خويّ الذابحينا
ونريد نقيم العزا بأربعينا

* * *

يا روح روحي ونور العين يا سراج نور العرش يا حسين



عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام **«ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضى الرحمن، الطاعة للإمام بعد معرفته، أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية الله فيواليه وتكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان»**(١).

إن الحديث الذي تقدم يُشير إلى أنه لو قام المرء ليله كلّه وصام نهاره أبد الدهر، وتصدّق بكل ماله، وحج في كل سنة، ولم يكن عارفاً بولاية ولي الله فيواليه فإنها لا تنفعه بل يجب أن يكون جميع ما يبذله (مادياً أو معنوياً) للإمام عليه السلام، كما قال الإمام الحسين عليه السلام **«من كان فينا باذلاً مهجته»**(٢)، وإلا فلا يكون من أهل الإيمان ولا ثواب له على الحق تعالى، وليس له أجر بل ليس له شيء أبداً إلا الخسران المبين. والطاعة لله عزّ وجل لا تتم قبل معرفة الإمام عليه السلام، فحينها يقبل الله منك عباداتك. وإلا تصدق عليك الآية ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(٣).

يُروى أن حبراً من أحبار بني إسرائيل . . . عَبَدَ الله حتى صار مثل الخلال، أي ضعف على قدر ما عَبَدَ الله، فأوحى الباري عزّ وجل إلى نبي ذلك الزمان أن اذهب لعبدي وقل له إني لن أقبل ذلك حتى تدخل من الباب الذي أمرتك أن تدخل منه، أي أريد أن تعبدني كما أريد أنا وليس كما تريد أنت.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١، ص١١٩.
(٢) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٦.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

وهذه القصة نفسها هي قصة إبليس حين أمره الله تعالى بالسجود لآدم فقال له: إلهي أنا لا أسجد إلا لك، وهذا توحيد بالنسبة إليه!! فإبليس لا يريد السجود إلا لله تعالى ولهذا استنكر على الله أمره، أي أراد أن يعبد الباري كما يشاء هو، ولكن «**أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب . . ذلك رسول الله ونحن**»[١] كما قال أبا عبد الله عليه السلام فإبليس لم يدرك أن عين التوحيد هو السجود لآدم فهذا أمر الله وإن كان السجود بالحقيقة لآدم الأرواح محمد صلى الله عليه وآله لا آدم التراب.

إن مثل هذه القصص لم تنتهِ مع حَبر بني إسرائيل ومع إبليس، فإلى يومنا هذا، الكثير من الناس يخرجون من المجلس ولو بقلوبهم عندما تُذكر بعض مناقب أهل البيت عليهم السلام لأنهم يرون في فضائلهم ما يتنافى مع التوحيد الإلهي، مع أن ذلك عين التوحيد. فالله هو من أشار لنا إلى هذا الباب وأمرنا بالدخول منه، قائلاً ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾[٢] ورسوله الأكرم قال «**وعلي بابها**». وبالتالي ليس موحداً ولا عابداً لله من أنكر وأنقص فضلاً من فضلهم عليهم السلام «**ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتّبكم الله فيها**»[٣].

إذاً أهل البيت عليهم السلام هم «باب الله الذي منه يؤتى»[٤]، ولكن في الوقت نفسه هم ابتلاء للإنسان الذي لا يؤمن بهم وينكر مناقبهم وفضائلهم. فهم «الباب المبتلي به الناس»[٥]، وإن كل من يعبد الله ويدخل إلى محضره عزّ

(١) بصائر الدرجات: ص٣٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٨.
(٣) زيارة عاشوراء.
(٤) دعاء الندبة.
(٥) الزيارة الجامعة.

وجل، إذا لم يجد الباري في قلبه محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين وزينب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... فإنه سيخرجه من محضره قائلاً ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[1]، وللأسف، إن الكثيرين يعتقدون أن هذا الكلام موجه لإبليس فقط، ولكنه في الحقيقة موجّه لكل من يعصي أمر الله، ولكلّ من يرفض وينكر مقامات أهل البيت عليهم السلام الذين لا يقاس بهم أحد، لا ملك مقرّب ولا نبي مرسل ولا مؤمن، أبداً، هؤلاء هم أهل البيت الذين يقول عنهم السيد الخوئي رحمه الله أن لهم ولاية على ما دون الله، وهذه الولاية هي مطلقة سارية فيما بينهم، فكيف نقيسهم بنا، مع أن وجودنا غير وجودهم وصلاتنا غير صلاتهم وعبادتنا غير عبادتهم وخلقنا غير خلقهم فأصل خلقنا نطفة، بينما أصلهم نور خلقه الله **«خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين حتى منّ علينا بكم»**[2] **«وأشهد أنكم كنتم نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة»**[3].

أهل بيت العصمة والطهارة مختلفون عنّا في كل شيء، وقد ورد في كثير من الروايات لدينا أن ولادتهم عليهم السلام غير ولادتنا فهم يولدون من الفخذ أو من الجنب، فكما ورد عن الإمام العسكري عليه السلام: **«إنا معاشر الأوصياء لا نُحمَلُ في البطون، وإنما نُحمَلُ في الجنوب، ولا نخرج من الأرحام، إنما نخرج من الفخذ الأيمن من أمهاتنا، لأنا نور الله الذي لا تناله الدناسات»**[4] وأن موتهم غير موتنا فكما قال علي عليه السلام **«يموت من مات منا وليس بميت»**[5].

---

(١) سورة ص، الآيتان ٧٧ـ ٧٨.
(٢) الفقيه: ج٢، ص٦١٣.
(٣) التهذيب: ج٦، ص١٣٣.
(٤) الهداية الكبرى: ص٣٥٤.
(٥) بحار الأنوار: ج٢٧، ص٣٠٣.

وقال أيضاً سلام الله عليه: «. . **إنا معاشر الأوصياء ننشأ في اليوم ما ينشأ غيرنا في الجمعة، وننشأ في الجمعة ما ينشأ غيرنا في السنة. .**»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**إن قلوبنا غير قلوب الناس، إنا مصفّون مصطفون، نرى ما لا يرى الناس، ونسمع ما لا يسمعون، وإن الملائكة تتنزل علينا في رحالنا. . وما من أرض من ستة أرضين إلى السابعة إلا ونحن نؤتى بخبرهم**»[٢].

بعد كل ما تقدم ينبغي أن لا يفكر أحد أن يقيس محمداً وآله بأحد من الناس، فكما أن الله لا يقاس بأحد، كذلك هم أهل البيت عليهم السلام، ومثل هذا القول يشكل على الكثير منّا لأننا نأخذ أهل البيت عليهم السلام ونقيسهم على حسب عقولنا في حين أنهم سلام الله عليهم فَنوا في الذّات الإلهية تبارك وتعالى، فأمرهم هو أمر الله ونهيهم هو نهي الله وقولهم هو قول الله عزّ وجل. لذا أيها الإنسان لا تضع إشكالاً على أمير المؤمنين عليه السلام كيف ترك القوم يدخلون إلى دار فاطمة سلام الله عليها، لا تعترض على صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، بل أصمت لأن عقلك لم ولن يتحمل حقيقة فعلهم، وإن عدم فهم أمرهم راجع إلينا، فكما ورد في الحديث «**إذا أذنب العبد ذنباً خرج من عقله شيء لا يرجع إليه أبداً**» فإن المذنب بمقدار ذنبه بمقدار ما يؤدي ذلك إلى عدم فهمه وإدراكه للأمور وعدم تحمّله لمقاماتهم ولأمرهم أو لفضائلهم وإن الجاهل عندما تعجز مدركاته عن فهم شيء ينكره حتى لا يعترف ويقرّ بعجزه وضعفه.

الملائكة سألت الحق تعالى ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ

(١) الهداية الكبرى: ص٣٥٤.
(٢) الهداية الكبرى: ص٣٥٤.

وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾[١]، سؤال الملائكة هنا هو عن حكمةٍ وليس سؤالاً اعتراضياً، وهكذا المرء تارة يسأل عن الحكمة من فعل الإمام عليه السلام وهذا أمر لا بأس به، وتارة يراد بالسؤال الإعتراض والإشكال على فعل المعصوم وهذه مشكلة عظيمة. وهذا ما حصل مع أولئك الذين كانوا في المدينة، يعترضون على الإمام الحسين عليه السلام على خروجه إلى كربلاء وهو يعلم أنه سيستشهد.

أُم موسى وضعت طفلها في الصندوق وألقته في اليمّ، وهذا أمر الله وهي كانت مطمئنة لأن هذه هي مشيئة الله تبارك وتعالى ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾[٢]، مع العلم أن عملها مخالف لعقولنا. وكذلك قصة منام إبراهيم عليه السلام لولده بأنه يذبحه فهل عقولكم تقبل هذا ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾[٣]، فهل يقبل العقل أن يذبح المرء ولده لمجرد أنه رأى ذلك بالمنام. ولكن ذلك أمر الله ومشيئته. وعقولنا نحن قاصرة عن معرفة علّة ذلك. فإن كانت أم موسى والنبي إبراهيم قد امتثلا للأمر الإلهي فما بالكم بالإمام الحسين عليه السلام؟ فكيف تقبلون ألاّ يخضع للمشيئة الإلهية التي بيّنها عليه السلام **«شاء الله أن يراني قتيلاً وشاء الله أن يراهن سبايا»**[٤].

أيها الإنسان، لا تقس الأمور بحسب عقلك فإن عقلك قاصر عن فهم حقيقة الأمور، بل كن كالمقداد رضي الله عنه الذي كان يرى أمير المؤمنين عليه السلام ولياً

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٢) سورة طه، الآية: ٣٩.
(٣) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.
(٤) اللهوف: ٦٣.

مطلقاً، وبالتالي لا وجود لنفسه ولا رأي له أمام المعصوم عليه السلام، فلمّا دخل القوم على دار فاطمة سلام الله عليها سكت ولم يفكر بشيء بل وقف ينتظر محبوبه ليخبره بما يفعل. لقد بقيَّ ثابتاً متمسكاً بولاية علي بن أبي طالب ولم يرتدّ عنها بعد شهادة النبي صلى الله عليه وآله، والمقصود بالإرتداد الرجوع إلى الكفر وعندها لا تكون لدينا ولاية ولا يكون لدينا معرفة لذا علينا التزود من المعرفة الحقيقية حتى لا نقع عندما نُمتحن، فعلى قدر المعرفة يكون المقام عند الله عزّ وجل «**قيمة كل امرئ ما يحسنه**»(١)، والمعرفة هنا هي معرفة أهل البيت عليهم السلام. وإنما ثبت المقداد ولم يتزعزع عن ولاية الأمير عليه السلام لأنه كان على معرفة ويقين وشهود بأهل البيت عليهم السلام وذلك لأن معرفتهم هي معرفة الله «**يا سلمان ويا جندب معرفتي بالنورانية معرفة الله**»(٢)، فبعد كل هذا كيف لنا أن نُشكل على أهل البيت ونسأل كيف؟ ولماذا؟ فهم لا يفكرون مثلنا بل إنهم لا يفكرون أصلاً بالمعنى الذي نفهمه فما نعرفه نحن هو أن الذي يفكر هو من كان لديه شيئاً أو علماً يجهله، فيفكر به حتى يصل إلى المعلوم، فما هو الشيء أو ما هو العلم الذي يجهله أهل البيت عليهم السلام حتى يفكروا به؟ وهم الذين يعلمون ما كان وما يكون وما سيكون إلى يوم القيامة كما ورد بالأحاديث الشريفة والآيات القرآنية «**إلهي أنت الذي تعرّفت إليّ في كل شيء فرأيتك ظاهراً في كل شيء، إلهي علمت أن مرادك مني أن تتعرّف إليّ في كل شيء حتى لا أجهلك بشيء**»(٣) الإنسان العارف بالله يصبح عارفاً بكل شيء فقد أحصى الله به كل شيء كما ورد في سورة يٰس ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ

(١) بحار الأنوار: ج١، ص١٦٥.
(٢) بحار الأنوار: ج٢٦، ص١.
(٣) بحار الأنوار: ج٩٥، ص٢٢٥.

﴿مُّبِينٍ﴾ لذا أمير الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام العارف الأول كان يعرف قاتله، وكذلك الإمام الحسن عليه السلام كان يعرف أن جعدة ستُسمّه، والإمام الحسين عليه السلام كان يعرف بما سيجري عليه بكربلاء وكذلك كل الأئمة عليهم السلام، فلماذا لم يغيّروا بالقدر الإلهي؟ لأن إرادتهم إرادة الله ومشيئتهم مشيئة الله وأمرهم أمر الله، بل انظروا وعاينوا الرحمة المطلقة التي عاملوا بها قاتليهم!.

ابن عباس في المدينة أشار على الإمام الحسين عليه السلام ألا يخرج إلى العراق لأنه سيقتل، وإذا بصوت زينب سلام الله عليها يأتي من داخل الدار: يا بن عباس أَوَ تُشير على شيخنا ماذا عليه أن يفعل؟ وهل ترك لنا الدهر غيره؟

فلماذا لا نتعلم من الحوراء زينب سلام الله عليها ألا نشير على أهل البيت عليهم السلام بما نراه نحن مناسباً، ونقرّ بأن أي شيء يفعلونه هو فعل الله تعالى وأمره. لذا دعونا لا نسأل عن حكمة ولا عن غاية ولا عن تفاصيل ولا عن شيء أبداً. فإن كانوا عليهم السلام راضين فلنرضى لأن رضاهم رضى الله عزّ وجل «**رضى الله رضانا أهل البيت**»[1]، فلنترك كل شيء ولنبحث عن السبل التي تجعلنا خداماً طائعين لهم، لنبحث عن السبل التي تجعلنا عشاقاً ومحبين حقيقيين لهم، لنكون ممن تتحدث عنهم الرواية القائلة بأن الحور العين تأتي يوم القيامة فتشتكي إلى الله من الذين يجلسون مع الحسين عليه السلام ولا يتوجهوا إليهم.

نحن إذا وقعنا في مصيبة ما، تبقى هذه المصيبة ماثلة وحاضرة لدينا طوال النهار، ونظل نتوسل بحرقة ليرفعها الله عنّا ولكن هل دعونا الباري عزّ وجل وتوسلناه بحرقة لنكون من أصحاب إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه؟ هل توسّلنا بحرقة ولو لمرة واحدة لنرى صاحب الزمان عجّل الله تعالى

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٦.

فرجه؟ مع علمنا بأن من لم يطلبه لن يجده. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**من لم يطلب لم يجد**» وعندما تجد الإمام فقد وجدت كل شيء وكذلك إذا فقدته فقدت كل شيء بفقده، «**ماذا فقد من وجدك، وما الذي وجد من فقدك؟**». وقد ورد في الحديث القدسي: «**من طلبني وجدني**».

الإمام هو نعمة ورزق من الله المتعال، ولكن بقاء هذا الرزق متوقف علينا وعلى صدق طلبنا ونوايانا. ولنعلم إن الإمام ينقص عمره أو يزيد بسبب معاصي شيعته وهذه المعاصي تُمرض الإمام وتدمي قلبه وتحزنه وتؤخر ظهوره الشريف. ويوم القيامة هناك عقاب لكل من يذنب ذنباً أو يرتكب خطيئة ما، وهو يعلم أنه بذلك يؤخّر الظهور المبارك للطلعة الغرّاء لقائم آل محمد عجّل الله تعالى فرجه، فالجميع شركاء بتأخير الظهور.

وإن كل بلاء يُبتلى به الإمام إنما مردّه إلى ذنوب شيعته، وعدم اجتماع قلوبهم حتى أن تصرفات الإمام راجعة إلى ولاية شيعتهم ومدى تحققهم بها لذا ورد «**إنا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم**». فكما ورد في رسالة إمام الزمان للشيخ المفيد «**لو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته، على إجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا، على حق المعرفة وصدقها منهم بنا فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم والله المستعان**»[1].

الإمام الكاظم عليه السلام يقول: «**إن الله عزّ وجل غضب على الشيعة فخيّرني نفسي أوهم فوقيتهم والله بنفسي**»[2] لقد فدى عليه السلام شيعته بنفسه واختار البقاء في السجن طيلة حياته. أما نحن لو خيّرنا بين أنفسنا وبينهم عليهم السلام فماذا نختار؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٣، ١٧٦.
(٢) الكافي: ج١، ص٢٦٠.

عندما يخرج صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه ماذا سنفعل به؟ أترانا نكون معه، أنكون من الذين محّضوا الإيمان محضاً أو من الذين محضوا الكفر محضاً؟...

الإنسان المؤمن يوجد في قلبه نور يهديه إلى الصراط المستقيم ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾[1] كما حصل مع الإمام الخميني قدس سره حيث أحبه الناس، لا لمقامه العلمي الشامخ وإلا لأحبوا عندها كل المشايخ ورجال الحوزة، بل للنور الذي كان في قلبه وفي وجوده المقدس.

«ليس العلم بكثرة التعلم ولكن العلم نور يقذفه الله في قلب من يريد أن يهديه»[2]، فالعلم الذي يسمو بالإنسان أو يهبط به هو أمر بيد الله تعالى وليس بيدنا، وهو معرفتهم عليهم السلام **«من زار الحسين عارفاً بحقه وجبت له على الله الجنة»**[3] فالشرط هو المعرفة الحقّة.

عبيد الله بن زياد أحضر ميثم التمّار وسأله: أنت تقول أن أميرك عنده علم المنايا والبلايا فقل لي كيف أخبرك أنك ستموت؟ فأجابه ميثم: قال لي أنك ستصلبني على النخلة الفلانية وأنك ستقطع يدي ورجلي وتقطع لساني، فقال عبيد الله: والله لأكذبنّه، فوضعه على النخلة وقطع له يديه ورجليه وترك له لسانه، عندها بدأ ميثم يجمع الناس ويُخبرهم عن فضائل ومناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، ولم يترك منقبة ولا فضيلة إلا وتكلم بها، عندها أتى القوم إلى عبيد الله بن زياد قائلين: إذا بقي ميثم التمّار على تلك الحالة شهراً واحداً فسينقلب الناس كلهم عليك، عندها أمر ابن زياد بقطع لسانه بعد فشله في

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٣٧.
(٢) منية المريد: ص١٦٧.
(٣) كامل الزيارات.

محاولته لتغيير القضاء الإلهي. فإن قطع يديه ورجليه لم يسكتانه عن ذكر مناقب وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام لأنه كان عارفاً بعلي عليه السلام، وهذه المعرفة هي التي كانت تحمل ميثم التمّار كل يوم إلى النخلة التي أخبره الإمام عليه السلام أنه سيصلب عليها، فيسقيها الماء ويهتم بها كأنها خلقت له وخلق لها.

سيدي يا أبا عبد الله ليس لنا في الوجود غيرك نلوذ به ونتوسل إليه، ونرجو بحبنا لك وبدموعنا التي نقدمها بين يديك أن نراك وأن تسقينا من كأسك الأوفى في ذلك اليوم الذي ننظر فيه عن يميننا وعن شمالنا ليحمل أحد عنّا أثقال ذنوبنا، فنرى كل واحد له شأن يغنيه، سيدي عندها من ننادي غيرك يا حسين.

حبيبي حسين حياتي حسين

مماتي حسين روحي حسين

أيها الموالي، يكفيك ذخراً أن يسقيك سيد الشهداء عند احتضارك. فقد ورد أن الإنسان يشتدّ عطشه في ساعة احتضاره، فيتقدّم الشيطان ومعه كوب من الماء ويقول: يا هذا إشرب ولكن أكفر بالله وكثير منهم يكفر بالله تبارك وتعالى. وهذه هي العديلة عند الموت، وأما الذي يثبت فإنه يتقدم منه رجل عليه الهيبة والوقار وبيده كوب من الماء البارد، أتدرون من هو هذا الرجل؟ إنه الحسين بن علي عليه السلام، يحضره فيسقيه شربة لا يظمأ بعدها أبداً. أترانا نشرب من ذلك الكأس سيدي يا أبا عبد الله؟!. متى ستمنّ علينا وتحلّ أرواحنا بكربلاء؟ آه لكربلاء التي اتخذها الله سبحانه وتعالى حرماً قبل مكة والكعبة الشريفة التي تشرفت بولادة علي بن أبي طالب عليه السلام فيها ففي أحاديث كثيرة معتبرة: «**إن الله تعالى ينظر إلى زوار الحسين عليه السلام نظر الرحمة**

في يوم عرفة قبل نظره إلى أهل عرفات». وفي حديث معتبر عن رفاعة قال: قال لي الصادق عليه السلام: **«يا رفاعة أحججت العام؟، قلت: جعلت فداك ما كان عندي ما أحجّ به، ولكني عَرَّفتُ عند قبر الحسين عليه السلام فقال لي: يا رفاعة ما قصّرت عمّا كان أهل مِنى فيه، لولا أني أكره أن يدع الناس الحج لحدثتك بحديث، لا تدع زيارة قبر الحسين صلوات الله عليه أبداً، ثم سكت طويلاً، ثم قال: أخبرني أبي قال من خرج إلى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه غير مستكبر صحبه ألف ملك عن يمينه وألف ملك عن شماله وكتب له ألف حجة وألف عُمرة مع نبي أو وصيّ نبي»**[1]. لذلك لم يتكلم صادق أهل البيت عليهم السلام عن فضل زيارة الحسين عليه السلام لأن الناس عادةً لا تفهم الأمور بتمامها.

آه لكربلاء التي بقيت قبلة عشاق الحسين بن علي عليه السلام وقبلة زينب سلام الله عليها. ولكن اليوم إذا دخلتم إليها فإنكم ستجدون قبوراً، قبراً لأصحاب الحسين وقبراً لحبيب بن مظاهر وقبراً لقمر العشيرة، وأما القبر الأخير فمحفور عليه هذا قبر الحسين بن علي العطشان المظلوم. ألستم مشتاقون إلى سيدكم ومولاكم؟ ألا تريدون أن تنكبّوا على قبر الحسين؟ تعالوا ندخل مع «جابر» ذلك الصحابي الأعمى الذي لمّا عَلِمَ بخبر شهادة الحسين بكى وأطال البكاء، وتوجه نحو كربلاء مع خادمه عطية. فلما وصل إلى كربلاء قال: يا عطية ألمسني القبر، فأخذ جابر شيئاً من التراب وراح يشمّه ثم صاح: يا حسين يا حسين، ألا تريدون أن تنادوا حبيبكم؟ ثم قال: حبيب مالكَ لا تجيب حبيبك ووقع مغشياً عليه. ثم اعتذر جابر من الحسين وقال: وأنّى لك بالجواب، كيف تجيبني أبا عبد الله وأنت جثة بلا رأس وقد قُطّعت

(١) وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥١٣.

أوداجك وفُرِّق بين رأسك وبدنك؟ ثم سلّم على الحسين، هل تريدون أن تسلّموا على الحسين مع جابر؟ قال: السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك وأناخت برحلك. وبينما جابر على قبر الحسين عليه السلام، كان موكب آل رسول الله صلى الله عليه وآله قد وصل إلى كربلاء، ما إن لاحت لهم كربلاء حتى تجدّدت آلام زينب ونادت: واأخاه واحسيناه...

يا نازلين بكربلا هل عندكم ... خبر بقتلانا وما أعلامها

ما حال جثة ميت في أرضكم ... بقيت ثلاثا لا يُزار مقامها

أجيبوها يا شيعة...

ما غسلوه ولا لفّوه في كفن ... غسّلته دماؤه والخيل كفّنه

سيدتي يا زينب هذا الغسل فمن الذي صلّى عليه؟...

آه... صلّت على جسم الحسين سيوفهم...

التفت عطية إلى سواد هذه القافلة، قال: يا جابر هذا سواد أقبل من بعيد فقال له: إذهب وائتني بخبر هذا السواد، فإن كان جند ابن زياد لجأنا إلى ملجأ وإن كان زين العابدين وعمّاته فأنت حرٌّ لوجه الله. مضى عطية مسرعاً وعاد يلطم على وجهه وهو ينادي: يا جابر قم واستقبل حرم رسول الله هذا زين العابدين مع عمّاته وأخواته...

قوموا مع جابر لنستقبل زينب وزين العابدين عليهما السلام...

قام جابر يمشي حافي القدمين، مكشوف الرأس نازعاً عمامته، ودموعه تجري على خديه إلى أن دنى من الإمام نظر إليه الإمام قال: أجابر هذا؟ قال: نعم يا بن رسول الله فقال: يا جابر ها هنا والله قتلت رجالنا، وذبحت أطفالنا وسبيت نساؤنا وحرقت خيامنا. وجابر ينادي وامصيبتاه إلى أن قال

الإمام: يا جابر قم معي. ومضى به إلى مسافة وقال: يا جابر أوتدري ماذا حدث في هذا المكان؟ قال: لا يا سيدي قال: في هذا المكان صعد الشمر صدر الحسين، يا جابر في هذا المكان حزّ نحر الحسين. لطم جابر على رأسه وصاح: واحسيناه...

يقله يا جابر يعمي بهذا المكان ذبحوا حسين واهله العدوان

ولا ضل واحد من آل عدنان حتى الطفل ذبحوا عطشان

لكن يا صاحب الزمان، لم ينته العزاء بعد هذه الليلة. إنها زينب سيدي كأني بها لما وصلت إلى أرض كربلاء، تذكرت عاشوراء، تذكرت خروجها من كربلاء وأخاها جثة بلا رأس عاري اللباس وأوداجه تشخب بالدماء، رمت بنفسها من على ظهر الناقة.

الآن زينب عادت إلى كربلاء، لكن جسد الحسين تحت التراب وأين الرأس؟ دنت من الإمام السجاد قالت: يا بن أخي دلّني على قبر أخي الحسين فلقد غُشي على بصري...

زينب تنادي على قبر حسين دلوني أشكيله الحال واقله اسودّت متوني

أخذ الإمام السجاد بيدها إلى قبر أبيه الحسين وضع يدها على القبر وهي تنادي: واأخاه واحسيناه يا حبيبي يا حسين... أخي يا حسين هل غسّلوك أو كفنوك أو بغير كفن دفنوك؟... وكأني بها تقول:

أخي حسين رحلت عنك والأسى يُرافقني وتحمّلت الأذى والكرب في سببي

ولم تغب ذكراك يوماً عني حتى رجعت إليك والهم أصبح قطعة مني

وأردت لمسة منك تظلّلني إلا أني وجدتك تحت الثرى قد غِبت عني

ومما زاد حزني وويلي مكوثي بعدك بالحياة يا نور عيني

آه. . . لو ينكشف يا حسين قبرك لشمك يا حسين وانام قربك

ترى قلبي انقطع من بعدك يا خوية خليني أضمّك واشم نحرك

وكأن صوتاً يخرج من القبر. . . أخية زينب أين رقية؟ . . . بماذا تجيب زينب؟

تقله الكان تسأل عليها يا خوية حسين مَوْتَهَا بكيها

شفت راسك يا خوية بين ايديها وبهالحال يا خوية اجتها المنية

يقولون وإذا بزينب تخرج شيئاً من تحت ردائها، ما هو يا شيعة الحسين؟ إنه رأس أخيها أبي عبد الله. .

تقله يا خوية جيتك وجبت الراس وياي ومن السبي كانت بيه بلواي

يا خوية وأنا أربعين ليلة مفارقاك واجيت اليوم يا عزّي ونور عيناي

بكت زينب بكاءً عالياً. وبينما هي كذلك وإذا بالإمام زين العابدين عليه السلام يقول: عمة زينب تنحّي عن القبر مع النسوة والأيتام قالت: يا بن أخي ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أحفر قبر أبي الحسين لكي أرد الرأس إلى الجثة. لما سمعت زينب صرخت: وأخاه واحسيناه.

فما أن غرس الإمام يده بالقبر حتى فارت الدماء من قبر الحسين. ثم كشف القبر ونزل إلى اللحد وهو يبكي. فجأة يرون أن صوت الإمام قد اختفى ظنوا أن الإمام قد مات فنظروا في وسط القبر وإذا بالإمام زين العابدين واضعاً شفته على نحر الحسين يقبله ويشمّه ولسان حاله. . .

يا بويه نروح كل احنا فدالك أخذنا للقبر يا حسين وياك

ثم صارت زينب تبحث عن كفيلها، بدأت تنظر يمنة ويُسرة ثم قالت للنساء: قوموا بنا إلى قبر أبي الفضل العباس. . .

أنا بدي أوصل لأبو الفضل واعتبه وقله عباس يا عيوني
ترضى يذلوني وللشام يسبوني عباس وحدي لا تخلوني
عندك يا بو فاضل اشتكي حالي حرمة بلا والي والشمر يبرالي

وكأني بالعباس قد سمع عتاب زينب فأجابها:

تعتبين يا زينب عليّ أنا وين راسي ووين ايديه
تعتبين وحقك لو عتبت أنا مقطوع الراس يا ختي

وعلى هذه الحال ظلّت زينب بين قبر الحسين والعباس مدة ثلاث أيام إلى أن أمر الإمام زين العابدين بالرحيل إلى المدينة فقيل له: دع النساء تتزوّد من أهلها، قال لهم: أما ترون ما أرى إني أخاف على عمتي زينب أن تموت، تقوم من على قبر وتجلس على آخر؟.

أقبل إليها قال: عمة قومي. قالت: إلى أين يا بن أخي؟ قال: إلى المدينة قالت: وهل بقي عندنا أحد في المدينة؟..

لله صبرك يا زينب كم تحمّلت؟ نعم، صعب على مولاتنا زينب القيام عن قبر أخيها الحسين وهي التي لم تفارقه طيلة حياتها. تعالوا نساعد زينب ونودّع معها قبر حبيبنا الحسين...

بأمان الله يا شهيد الله نور عيني حسين يا حبيب الله
والله لو حصل بيدي ظليت عند جسمك والله ولنحرك أردّ الراس واهتف باسمك
كنت أمشي وتظل يا خوية غارق بدمك وحدي حرمة وغريبة ومالي وليّ

* * *

ما غسّلوه ولا لفّوه في كفن يوم الطفوف ولا مدّوا عليه رِدا

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد . . يا فارج الهم ويا كاشف الغم يا رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما صلِّ على محمد وآل محمد وافرج همي واكشف غمي يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أعصمني وطهّرني وأذهب ببليّتي برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآل محمد.



النفحة الواحدة والعشرون

مجلس حليلة الكرار أم البنين

عليها السلام



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أخيك وابن عمك علي بن أبي طالب، صلى الله عليك وعلى زوجتك الوفية الصالحة أم البنين التي فدت أربعة من أولادها فداءً للحسين، صلى الله عليك يا أبا عبد الله، لعن الله الظالمين لكم يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

موكب للشجون تهفو عليه ... عذاباتٌ من راية سوداء
حين وافى بِشر لها وهو ينعى ... بمراثيه سيد الشهداء
قال شجوا فهزّ مسجد طه ... بالمآسي وريَّعَ كلُّ بناء
ليس في يثرب مقام كريمٌ ... بعد قتل الحسين في كربلاء
فتعالى الصراخ في كل بيت ... بنحيب يعج بالأصداء
وأتى الناس يُهرعون رجالا ... ونساءً في ندبة وشقاء
للإمام السجاد وهو المعزّى ... بأبيه الذبيح من غير ماء
لليتامى والأرامل ثكلى ... من صبايا وصبية ونساء
حيث ناحت أم المصائب ناحوا ... لعويل العقيلة الحوراء
ضجة للشجون والوجد منها ... ضجّت الأرض والسماء بالبكاء
وأقيمت مآتم في بيوت ... هي كانت مآتم الأرزاء

* * *

آه... تون أم البنين بحزن ونها ... على الراحوا فدى لحسين ونها
شباب على الأرض هيجوا ونها ... لتخلص عيالكم من هالرزية

قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز الكريم ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[١].

تتحدث هذه الآية الكريمة عن أولئك الرجال الذين عشقوا الله عزّ وجل، فلا يقدّمون عليه شيئاً أبداً، وليسوا مستعدين للنظر إلى غير محبوبهم ومعشوقهم طرفة عين.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**العارف (يعني العاشق الفاني في معرفة الله) شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه**»[٢]، وكما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما سُئل عن العارف بالله، قال: «**هم قوم أخلصوا لله تعالى في عبادته ونظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها**»[٣]، فهم يرَوْن حقائق الأمور والأشياء، ولكن هذه الرؤية لا يمكن أن تحصل عند من يستأنس بالدنيا أو من يكون مشغولاً بهمومها وغمومها وآلامها وأحزانها.

فعدم اللهو وعدم الغفلة منشأه المحبة، والمحب لا يرى في وجوده شيء غير المحبوب. لهذا علينا أولا، أن نقطع كل العلائق بهذه الدنيا حتى تحصل عندنا المحبة وآثارها وتجليّاتها، وإلا فلا يمكن أن نشمّ رائحة العشق الإلهي. علماً أن هذه المحبة هي رزق ومِنّة من الله ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً

(١) سورة النور، الآية: ٣٧.
(٢) بحار الأنوار: ج٣، ص١٤.
(٣) بحار الأنوار: ج٦٦، ص٣١٩.

مِّنِّي﴾[١]، فالله هو الذي يُلقي المحبة من عنده ولكن مع ملاحظة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٢]، وكما جاء في الحديث القدسي: «**من تقرّب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً**»[٣] وإن حب الله عزّ وجل إذا تجلّى على قلب أحد منا يزيل ما سواه فكما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**حب الله إذا أضاء على سرّ عبد أخلاه عن كل شاغل وكل ذكر سوى الله. . . . والمحب أخلص الناس سراً لله، وأصدقهم قولاً، وأوفاهم عهداً، وأزكاهم عملاً، وأصفاهم ذكراً، وأعبدهم نفساً، تتباهى الملائكة عند مناجاته، وتفتخر برؤيته. وبه يعمر الله تعالى بلاده، وبكرامته يكرم الله عباده، يعطيهم إذا سألوه بحقه، ويدفع عنهم البلايا برحمته، ولو علم الخلق ما محله عند الله، ومنزلته لديه ما تقربوا إلى الله إلا بتراب قدميه**»[٤] فالذي يكون قلبه مشغولاً بغير ذكر الله لا يمكن أن يكون مخلصاً أو صادقاً أو وفياً أو عابداً بحسب هذه الرواية، فلذا يجب على الإنسان أن يدعو بصلاته وبزياراته وأعماله أن يرزقه الله محبته وعشقه «**اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك**»، وعليه أن يعلم أن «**الحب نار تحرق ما سوى المحبوب**» كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

وهذا الحب كما وصفه أهل المحبة: **المحبة ميلك إلى الشيء بكُلّيتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك، ثم موافقتك له سراً وجهراً فيما سرّك أو أساءك ولا يزيده الإحسان، ولا ينسيه القرب، ولا يسليه البعد**. وهو الإكسير الذي يذوّب ويحوّل كل شيء من حالة إلى حالة أخرى، ومن وجود إلى

---

(١) سورة طه، الآية: ٣٩.
(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.
(٣) مستدرك الوسائل: ج٥، ص٢٩٨.
(٤) مصباح الشريعة: الباب ٩٢، ص١٩٢.

وجود ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾[١]، يبدّل أنفسهم وعقولهم وقلوبهم، فتصبح أجسادهم في الأجساد وأنفسهم في النفوس وأرواحهم في الأرواح الطاهرة لأهل البيت عليهم السلام. هذه هي المحبة، هذه هي الولاية، ومعلوم أن الولاية هي جذبة إلهية تجذب نفوس أهل العرش إلى أصلهم. وللوصول إلى هذه المحبة وهذه الجذبة ينبغي الالتزام بالعبودية لله ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[٢] وهذه العبودية شرطها جهاد النفس التي تمثّل ألدّ الأعداء «**أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك**»[٣].

إن ثلّة قليلة من الناس يصلون إلى ربهم بجذبة واحدة تجعلهم في أعلى عليين، كأصحاب الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء (زهير، الحر...) فهذه الجذبة هي فوق العمل والعبودية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[٤] وهم عليهم السلام يجذبوننا إلى ربنا ويفكوننا من قيد عبوديتنا لغير الله ويحرّروننا من قيود شياطين الجن والإنس ليدخلوننا في عبودية الله وحده. لذا علينا بالدعاء والإخلاص علّ هذه الجذبة وهذه المحبة تُلقى علينا، فعند ذلك يتولّانا الله ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٥]، فالله يتولّى فقط الصالحين، ومن هو أبو الصالحين؟ هو أبٌ لكل صالح، فهنيئاً لمن كان صالحاً وأبوه أبو صالح، صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه. هنيئاً لمن كان بارّاً بوالده وليس قاطعاً لرحمه، هنيئاً لمن غيبة أبيه ووليّه ضيّقت عليه مهاده وأوصلت مصائبه بفجائع الأبد، هنيئاً

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٩.
(٣) عدة الداعي: ص٣١٤.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠١.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.

لمن يتأوّه كل يوم وكل ساعة شوقاً لرؤيته، هنيئاً لمن قام ليله ونهاره لأجل لقياه، هنيئاً وطوبى لمن يشعر بأن صاحب الزمان معه بكل لحظة، وطوبى لمن نال شرف محبته وعشقه وارتوى من لذيذ مناجاته، وطوبى لمن صار قلبه مستودعاً لمحبته وسُمِحَ له بالدخول إلى ساحة رأفته ورحمته. ولو كنّا نحن نحب صاحب الزمان عليه السلام، لكنّا صدّقنا بالوعد ولتحمّلنا المشقة والتعب والصبر وذلّ الناس من أجله، ولكنه يرانا دائماً نعترض ولا نرضى بما قسمه الله لنا ولو بقلوبنا ونتذمّر ونشكو ونسيء الظن به ونتّهمه، وهل هذا هو الحب الحقيقي والصادق؟ بل وأكثر من ذلك، فإن كل واحد منّا يطلب من صاحب الزمان عليه السلام أن يخلّصه من كل ما يكره ويعطيه كل ما يحب، ألسنا نتعامل معه على أنه خادم لنا؟! في حين أن عشاقه ومنتظريه يفكرون فقط بما يحبه ويكرهه هو، هم يفرحون بما يفرح ويحزنون بما يحزن ويطلبون خدمته مرددين عباراته التي يخاطب بها جده الحسين عليه السلام كما جاء في زيارة الناحية المقدسة «**ولئن أخرتني الدهور وعاقني عن نصرك المقدور ولم أكن لمن حاربك محارباً ولا لمن نصب لك العداوة معادياً، لأندبنّك صباحاً ومساءً ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً، حتى أموت بلوعة المصاب وغصّة الإكتئاب**»، وكما هو ثابت عند أهل المذهب أن قول الإمام وفعله وتقريره حجة على شيعته ومحبيه وعشاقه، وإن فعله وقوله وذاته لدستور وقانون في ذات الحضرة الإلهية، وعليه فإن فعلنا ينبغي أن يكون كفعله وقولنا كقوله. فإذا كان الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه يخاطب جده الإمام الحسين عليه السلام بهذه العبارات ويقول أنه إن حالت بيني وبين نصرتك في كربلاء ومعاداة أعدائك السنين والأحوال فإنني «**لأندبنّك صباحاً ومساءً ولأبكين عليك بدل الدموع دماً**»، فإن هذا يعني أن على كل محبٍ عاشق قد

سرى وجوده بإمام الزمان ولم يستطع إلى الآن أن يقدّم النصرة والعون، أن يفعل كما يفعل إمام زمانه، والإمام يقول **لأندبنك**.. **لأبكين عليك**... ولطم الإمام وندبه وبكاؤه بدل الدموع دماً ليس أمراً مجازياً أو اعتبارياً، ويبقى على حالة اللطم والبكاء حتى يموت بلوعة المصاب وغصة الإكتئاب، لست أدري عندما يموت من الذي يحييه؟ لعن الله ظالميكم سيدي يا صاحب الزمان.

ورد عن النبيﷺ أنه قال «.. **من ضعف عن نصرتنا أهل البيت ولعن في خلواته أعداءنا، بلّغ الله صوته إلى جميع الملائكة فكلما لعن أحدكم أعداءنا صاعدته الملائكة ولعنوا من لا يلعنهم**»[١].

والإمام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه عندما يقول «**ولأبكين عليك بدل الدموع دماً**»، فهذا معناه أنه يصل إلى مرحلة يذرف فيها الدم بدل الدموع، وهذا الإمام علي بن موسى الرضاعليه السلام يقول: «**إن يوم الحسين أقرح جفوننا**»[٢]، وكلمة أقرح تعني جرح هذه الجفون من كثرة البكاء، وإذا ما جُرحت العين ومن ثم بكت، فإن الدمع يخرج ممزوجاً بالدم، وإن اللطم على سيد الشهداء والبكاء بدل الدموع دماً أمر يقوم به الإمام الحجةعليه السلام في كل صباح ومساء، وهذا يعني استمرارية هذا الفعل في كل لحظة، وهذا العمل حجة علينا إلى يوم القيامة.

ومعلوم أن أصحاب الإمام المهديعليه السلام شعارهم يا لثارات الحسين، ولو لم يكن عملهم في كل صباح ومساء البكاء على سيد الشهداء كما يفعل

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠، ص٣١٦.
(٢) الأمالي للصدوق: ص١٢٨.

إمام الزمان عليه السلام لما اختيروا ولما كانوا من الطالبين بثأره. . . فالإمام المهدي عليه السلام يبكي ويلطم إلى حد الموت، وهذا الموت هو للوعة المصاب أي لعظمته، فهذا هو الإمام الصادق عليه السلام يقول «**لو عرفتم عظم هذه المصيبة لزهقت أرواحكم**»[1].

إذاً زهق النفس والموت مرتبط بمدى علمنا بهذه المصيبة، وما هو هذا العلم؟ ما هي تلك المعرفة التي تؤدي إلى الموت؟ ما هي حقيقة واقعة كربلاء التي إلى الآن لم تظهر لنا بتمامها وكمالها؟ في حين أن الإمام المهدي يعلم ما هي، وعلمه عليه السلام ليس معرفة المصطلحات والعلوم بل إن علمه هو علم الله عزَّ وجل وبالتالي فهو يشهد ولا يعلم، فعلمه شهود، هو يشهد في كل صباح ومساء ما حصل في كربلاء، وكما هو معلوم أن الشهود لا يتكرر وهذا يعني أن ما يشهده الإمام عليه السلام صباحاً غير الذي يشهده مساءً.

أحدهم رأى صاحب الزمان في المنام فسأله: ما الذي تراه حتى تبكي بدل الدموع دماً؟ فأجابه عليه السلام: «**أذهب إلى عمتي زينب فتخبرني بشيء مما جرى عليها في كربلاء. . .**».

المؤمن غير الممتحن لا يمكن له أن يعرف هذه الأمور إلا إذا وصل إلى درجة الفناء بالإمام المعصوم، فإنه يرى ما يراه ويسمع ما يسمعه عليه السلام، فكما ورد «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بعين الله**» وقد ورد في الروايات «**إن ما أخفيناه عنكم أكثر بكثير مما أظهرناه لكم**»، وذلك بسبب ضعف ولايتنا وعدم قدرتنا واستعدادنا لتقبّل تلك الأمور.

أحدهم يسأل الإمام الصادق عليه السلام عما جرى في كربلاء، فيجيبه الإمام:

---

(١) توثيق.

«لقد شاب شعر عمتي زينب سلام الله عليها واحدودب ظهرها لِما رأته يوم عاشوراء». فإذا كانت زينب سلام الله عليها قد جرى عليها ما جرى لما رأته في كربلاء، فكيف بنا نحن؟ حتماً إذا عرفنا بما حصل لن نستطيع التحمل. وهم عليهم السلام لا يخبرون إلا من ﴿كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1].

ولا يمكن للإنسان المحب والعاشق أن يدخل غمار هذه المعرفة ويعلم ما جرى في كربلاء إذا كان متعلقاً بهذه الدنيا، يقول أمير المؤمنين عليه السلام **«وكيف يعمل للآخرة المشغول بالدنيا»**[2]، لأن من يريد أن يعرف شيئاً من وقائع كربلاء عليه أن يترك التعلّق بكل شيء في هذه الدنيا، وهذا أمير المؤمنين عليه السلام يقول: **«لو تعلمون ما أعلم مما طوي عنكم غيبه، إذاً لخرجتم إلى الصعدات (الصحراء) تبكون على أعمالكم، وتلتدمون أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها وأهليكم لا خالف عليهم وَلَهَمّت كل امرئ منكم نفسه لا يلتفت إلى غيرها»**[3]. ولكن هذه المعرفة يُشترط بها أن تكون حقيقية. فالمعرفة إما ظاهرية يجب أن يسعى الإنسان إلى تحصيلها، وإما معرفة باطنية وهي نور يقذفه الله في قلب من يشاء.

فأما المعرفة الظاهرية فإنه من الممكن أن يعرفها أي إنسان عندما يقرأ الأحاديث والروايات دون الإنغماس في معانيها وحقائقها كما هو حال عموم الشيعة، يُحصّلون معارف أهل البيت عليهم السلام ولكن لا يوجد عندهم يقين وهم ليسوا مرتبطين بهم إرتباطاً قلبياً، فهم يصدّقون بهم ولكنهم ليسوا على علاقة معنوية يقينية حقيقية بهم سلام الله عليهم.

---

(١) سورة ق، الآية: ٣٧.
(٢) غرر الحكم: ص١٤١.
(٣) بحار الأنوار: ج٣٤، ص٩١.

وإن إقامة هذه الروابط القلبية مع أهل البيت عليهم السلام وشهود حقائقهم بعين القلب لا بهذه العين، متوقف على التوفيق الإلهي بجذبة من جذباته تعالى.

لذا ورد «**اللهم ارزقنا توفيق الطاعة**»[١]، فالتوفيق هو رزق من الله، وهذا الرزق والتوفيق متوقف على صدق الطلب منا، والإنسان إنما يوفّق لهذه المعرفة الحقيقية من خلال عدة أمور، منها:

١ـ الحب الموهوبي: فكما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام «**إن حبنا أهل البيت ينزله الله من السماء من خزائن تحت العرش كخزائن الذهب والفضة ولا ينزّله إلا بقدر، ولا يعطيه إلا خير الخلق، وإن له غمامة كغمامة المطر، فإذا أراد الله أن يخصّ به من أحب من خلقه، أَذَن لتلك الغمامة فهطلت كما تهطّل السحاب، فتصيب الجنين في بطن أمه**»[٢].

٢ـ دعاء الأجداد والآباء: كما نُقل عن والد العلامة المجلسي أنه قال: عرضت لي حالة، عرفت أني لا أسأل الله فيها شيئاً إلا استجاب لي، وإذا بصوت محمد باقر في المهد، فقلت من غير مهلة: إلهي بحق محمد وآل محمد إجعل هذا الطفل مروّجاً لدينك وناشراً لأحكام سيّد رسلك ووفّقه بتوفيقاتك التي لا نهاية لها. وقد بلغ قدّس الله نفسه الزكية مرتبة لو سُمي دين الشيعة بدين المجلسي لكان في محله.

٣ـ دعاء الإخوان الصلحاء: كما في قوله سبحانه وتعالى ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾[٣].

---

(١) المصباح للكفعمي: ص٢٨٠.
(٢) تحف العقول: ص٣١٣.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

٤ ـ وقد تُلقى محبتهم سلام الله عليهم في القلوب بمجرّد ذكر أسمائهم: كما في الحديث عن إسلام سلمان المحمدي، بأنه كان يسير مع أبيه في يوم عيد لهم وإذا بهما يمرّان بصومعة فيها رجل ينادي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً حبيب الله، فوقع حب محمد واستقرّ في لحم سلمان ودمه.

٥ ـ بالتحنيك بماء الفرات: فكما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **«الفرات من شيعة علي عليه السلام وما حُنّك به أحد إلا أحبنا أهل البيت»**[1].

٦ ـ أن تُلقى محبتهم في القلوب بمشاهدتهم في المنام.

٧ ـ أن يُلقى دفعة واحدة في القلوب بمشاهدتهم باليقظة: كما اتفق لزهير بن القين مع الإمام الحسين عليه السلام.

وهذه المجالس الحسينية إنما هي فرصة لنا حتى نطلب منهم سلام الله عليهم أن يقذفوا في قلوبنا معرفتهم ومحبتهم. وسنحط رحالنا في هذا المجلس، عند امرأة كانت عاشقة لآل رسول الله ووفيّة القلب لأمير المؤمنين ولولده الحسن عليه السلام فَدُفِنت عنده وغذّت أولادها الأربعة حب الحسين عليه السلام فبذلوا أرواحهم في سبيله، ثم إنها بكت على سيد الشهداء ولم تبك أولادها. . . . يقول بشر بن حزلم، وكان قد التقى بموكب بني هاشم في الطريق وتوجه معهم نحو المدينة: لما قربنا من المدينة نزل علي بن الحسين عليه السلام وحطّ رحله وأنزل نساءه ثم التفت إليّ وقال: يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟ قلت: بلى يا بن رسول الله. فقال عليه السلام: أُدخل المدينة وانْعَ أبا عبد الله الحسين عليه السلام. قال بشر: فركبت فرسي حتى بلغت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ورفعت صوتي بالبكاء وقلت:

---

(١) بحار الأنوار: ج١٠٠، ص٢٣٠.

يـا أهـل يـثـرب لا مـقـام لـكـم بـهـا قـتـل الـحـسـيـن فـأدمـعـي مـدرار

الـجـسـم مـنـه بـكـربـلاء مـضـرّج والـرأس مـنـه عـلـى الـقـنـا يُـدار

هذا علي بن الحسين مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أعرّفكم بمكانه، وبينما بشر كذلك وإذا بامرأة طويلة القامة على يدها طفل صغير قالت: يا بشر أعندك علم بالحسين عليه السلام؟ قلت: أمة الله من أنت حتى تسألين عن الحسين؟ قالت: أنا أم البنين، أم أبي الفضل العباس فقال لها: يا أم البنين تسألين عن الحسين وعندك أربع شباب مع الحسين لا تسألين عنهم؟ يا أم البنين عظم الله لك الأجر بولدك جعفر.

قالت: يا بشر، أخبرني عن الحسين.

قال: يا أم البنين عظم الله لك الأجر بولدك عبد الله.

قالت: يا بشر أسألك عن الحسين.

قال: يا أم البنين عظم الله لك الأجر بولدك عثمان.

فقالت: يا بشر مالك لا تجيبني أسألك عن الحسين.

قال: عظم الله لك الأجر بولدك العباس قمر العشيرة، لما سمعت أم البنين ذلك وضعت يدها على قلبها.

وقالت: يا بشر لقد قطّعت نياط قلبي، أخبرتني بموت أربعة من أولادي ولكن إعلم أن أولادي جميعهم فداء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام.

عند ذلك قال لها: عظم الله لك الأجر بالحسين عليه السلام فقد خلّفناه بأرض كربلاء جثة بلا راس...

يـام الـبـنـيـن الـمَـاحَـد دفـنـهـم دمهم غسلهم والترب صاير كفنهم

أم البنين الأربعة انذبحوا ظمايا وظلوا ثلاث تيام على الغبرا عرايا

لو تشوفين على النهر صاحب الراية مقطوع راسه ومقطوعة شماله ويمينه

صاحت وآولداه وآحسيناه. يقولون ثم أقبلت أم البنين ببكاء وأنين إلى زين العابدين عليه السلام واعتنقته مواسية، . . .

طاحت عليه تبكي وتقله وتهمل العين أنا خاف أولادي قصّروا عن نصرة حسين

ويلي أنا إجاني الخبر بحسين مذبوح ودمه على التربان مسفوح

أنا لانعاه وقضي العمر بالنوح واعمي عيوني واتلف الروح

أما زينب سلام الله عليها فقد أقبلت نحو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فلما وقع نظرها على قبر جدها صرخت وبكت وأخذت بباب المسجد ونادت: يا جداه إني ناعية إليك أخي الحسين ابن علي فلقد تركناه بأرض كربلاء عريانا مذبوحا من القفا. آه. . .

يا جدي قوم شوف حسين مذبوح يا جدي وما بقتله من الطعن روح

ثم أقامت زينب سلام الله عليها في المدينة وطلبت أن لا يدخل عليها أحد وبينما هي في الدار وإذا بامرأة تطرق الباب. فقالت الجارية: من أنت؟ إن سيدتي زينب أمرتني أن لا أفتح الباب لأحد. قالت لها: اذهبي إلى مولاتي زينب سلام الله عليها وأخبريها أن أمك أم البنين، أم العباس قد أقبلت إليك، سمعت زينب صوتها صاحت: أي والله أمنا، أي والله شريكتنا بالمصاب. آه. . .

قامت تلقتها الحزينة وبحسين وعباس تعزيها

قامت زينب سلام الله عليها بنفسها وفتحت الباب ونادت واعباساه وأم البنين تنادي واحسيناه. وكأن حوارا جرى بين زينب وأم البنين عليها السلام.

تقلها أنا الوصيت يعباس الشهم زينب تراعيها وبالأحزان بس إنت لتواسيها
بنص العين لزينب يبني خليها وحقق يا بني لختك كل أمانيها
والله شهق عباس وخنقة صدره العبرة وقلّي توصيني يمه ببنتها للزهراء
لاجل زينب أضحي اليمنة واليسرة وطول الدرب بنص العين أباريها

وإذا بزينب سلام الله عليها تقول: يا أم البنين لقد أتيتك بذكرى من ولدك العباس. وأخرجت ترس العباس الملطخ بالدماء من تحت إزارها.

وكأنها تقول أحمل إليك سلاماً من أخي أبي الفضل. آه...

يا ختي يا زينب لمن توصلين المدينة لاتنسي تسلميلي على إمي
وتقليلها عباس قام بالوصية ولا تقولي يا زينب عباس من غير كفن
ولا تقولي عباس من غير عينين

فلم تتحمل أم البنين سلام الله عليها ذلك وتفطّر قلبها حزناً، فوقعت مغشياً عليها وظلّت على تلك الحالة تبكي على الحسين عليه السلام. وروي أنها كانت تخرج إلى البقيع وقد مثّلت قبرين أحدهما لأبنائها والآخر للحسين عليه السلام وصارت تقوم من على قبر وتجلس على قبر وهي تنادي: واحسيناه وإماماه. كأني بها توجه وجهها نحو الزهراء سلام الله عليها تعزّيها وتعتذر منها ولسان حالها:

تقلها أنا ضحيت بالبنين وردت بس حسين يسلم ولا ردت سهم المثلث يمضي بقلبه ويتألم

يقولون وإذا بصوت امرأة حزين ينادي: ولدي حسين، ولدي حسين.

آه... ما أنا الوالدة والقلب لهفان ودوّر عزا ابني وين ما كان
جسمه طريح ومالـه كفان ولعبت عليه الخيل ميدان

ولكن انظروا وفاء الزهراء سلام الله عليها إلى أم البنين. يقول إمامنا الصادق عليه السلام: «**تأتي جدتي فاطمة يوم القيامة إلى الشفاعة وعلى كتفها الأيمن قميص الحسن وعلى كتفها الأيسر قميص الحسين وبين يديها طبق فيه جنينها المحسن الذي أسقطته بين الحائط والباب، فيأتي إليها جبرائيل ويقول لها: يا سيدة النساء بم تبدأين بالشفاعة؟! أبإسقاط جنينك المحسن؟ تقول: لا. يقول: أبكسر ضلعك المكسور؟ تقول: لا. فيقول: أبقتل ولدك الحسن؟ تقول: لا. فيقول: أبقتل ولدك الحسين؟ تقول: لا. فيقول: إذاً بم تبدأين يا زهراء؟ يقول إمامنا الصادق عليه السلام: عند ذلك تُخرج الزهراء كفي أبي الفضل العباس عليه السلام وتقول: يا عدل يا حكم، إحكم بيني وبين من قطع هذين الكفين، ما ذنب هذين الكفين حتى يقطعا من الزندين؟**».

آه... كفوف مقطعة ويلي من الزنود ... ودمعة فاطمة تجري بالخدود

وبالمحشر تنادي يا رب يا معبود ... اشذنب كفين قطعوهن سوية

قبل ما ذكرت عصرتها بالباب ... وقبل ما تذكر المحسن والمصاب

ما ذكرت علي وأولاده الأطياب ... لمن ذكرت كفيل الفاطمية

نعم: إن الزهراء سلام الله عليها تبكي لقطع كفي أبي الفضل العباس عليه السلام لأنهم كفّان أديا خدمة كبيرة في كربلاء لأبي عبد الله عليه السلام وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كان العباس يحمل بكفه الأيمن السيف يذب به عن وجه الحسين عليه السلام ويحامي عن خدر زينب سلام الله عليها وبكفه اليسرى كان يحمل اللواء وكان يأتي بالماء بين الحين والآخر.

آه... كفوفك يابو فاضل سخية ... يا لكنت تسقي الفاطمية

* * *

لـن أكـتـفـي بـالـنـعـي أن أنـدبـا نـوراً بـوادي الـطـف عـنـي خـبـا

لـمـن مـضـوا عـنـد اشـتـبـاك الـضـبـا أربـعـة مـثـل نـسـور الـربـى

قـد واصـلـوا الـمـوت بـقـطـع الـوتـيـن

* * *

لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

اللهم عجّل في فرج مولانا صاحب الزمان واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمبغضين لأعدائه والمسارعين إلى خدمته بحق محمد وآل محمد.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد . . اللهم إني أعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره، ومن معروف أُسدي إليّ فلم أشكره ومن مسيء إعتذر إليَّ فلم أعذره ومن ذي فاقة سألني فلم أُؤثره، ومن حقِ ذي حقٍّ لزمني لمؤمن فلم أوفره ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآل محمد.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللهم صلّ على محمد وآل محمد، اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن، صلواتك عليه وعلى آبائه الطاهرين، في هذه الساعة وفي كل ساعة، ولياً وحافظاً، وقائداً وناصراً ودليلًا وعيناً، حتى تسكنه أرضك طوعا، وتمتعّه فيها طويلا.

اللهم يا ربَّ الحسين بحق الحسين اشف صدر الحسين بظهور الحجة

اللهم يا ربَّ زينب بحقّ زينب أشف قلب زينب المكسور بظهور الحجة

اللهم يا ربَّ الحجة بحق الحجة اشف صدر الحجة بظهور الحجة



